









# السياسة في اسرائيل

تأليف

ليونارد ج. فين

القسم الأول

ترجم بمعرفة المختبرات العامة



بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرست

رقم الصفحة	الموضوع	١
١ - ج	المعرض العام	١
١	استبصار	٢
٤	مقدمة	٣
	<u>الجزء الأول - أصول النظام</u>	٤
١٢	<u>الفصل الأول : المسمى</u>	٤
٤٥	<u>الفصل الثاني : الثقافة السياسية</u>	٥
٨٨	<u>الفصل الثالث : الأحزاب والأيديولوجيات</u>	٦
	<u>الجزء الثاني - كيف يعمل النظام</u>	٨
١٢٦	<u>الفصل الرابع : التكيف السياسي</u>	٧





## المعرض المصام

هذا الكتاب دراسة سياسية مقارنة عن المياسة فى اسرائيل قبل ومحمد  
انشائها وعلى الرغم مما يدعيه المؤلف من حيده وموضوعية ، الا أن حديثه عن  
اسرائيل لا يخلو من التحيز المأثور عن الكتاب اليهود الذين يدعون أنهم يتكلمون  
عنها بموضوعية تامة •

ويستهل المؤلف كتابه بمقدمة يقارن فيها بين عملية انشاء الدولة فى اسرائيل  
على أسس ثريده مميته ، وانشاء الدول الأخرى الجديدة • وهو هنا يحرض على  
ابرار طبيعة القرد فى وضع اسرائيل كأمة وكدولة • ويتكلم عنها على أنها • فعلا •  
التجسيد الواقعى لحلم اليهود فى انشاء وطن قومى يضم شتات اليهود فى المالم  
ويمعد الى الحياة ملكة اسرائيل القديمة •

ويشتمل الكتاب على جزأين : الأول بعنوان " أصول النظام " ، ويشمل الفصول  
الثلاثة الأولى ، والثانى بعنوان " كيف يعمل النظام " ، ويشمل الفصول الثلاثة  
الباقية • ثم ينهى المؤلف كتابه بخاتمة مؤثرة عن الوضع فى اسرائيل والمصاعب التى  
تواجهها مستقبلا ، والمشكلات التى تمنعها حاليا ، ثم يعمد الى نعمة تشاؤمية  
حول مستقبل الدولة اليهودية لكى يثير شفقة وعطف ومساعدات الآخرين •

ويتناول المؤلف فى الفصل الأول ، تحت عنوان " المسح " ، قصة حركات  
الهجرة اليهودية الى اسرائيل منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وكيف بدأت هذه  
الهجرات ، ويسمىها اليهود " الصمود " ، والدوافع التى دفعت يهود المالم -  
وبخاصة يهود أوروبا الشرقية - الى الهجرة الى فلسطين لاقامة مستوطنات تكون  
نواة للدولة اليهودية فيما بعد • والمؤلف يتكلم بالتفصيل عن حركات الهجرة الأولى  
والثانية والثالثة والرابعة والخامسة • وعن الحركة الصهيونية ومبادئها وتأثيراتها  
على يهود المالم • ثم يتكلم عن وضع يهود فلسطين - من أهالى البلاد  
والمهاجرين على السواء - قبل " الاستقلال " •



أما الفصل الثاني ، تحت عنوان " الثقافة السياسية " ، فيتكلم فيه المؤلف بأسهاب عن أصول الثقافة السياسية للشعب اليهودي في إسرائيل • وهو هنا يبرز بصورة جلية الفروق الكبيرة المعززة بين المجموعتين الرئيسيتين في إسرائيل اليسوم • أي بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين • ويستشهد المؤلف بأحصاءات وبيانات وأرقام وما إلى ذلك للتدليل على عمق الهوة التي تفصل بين المجموعتين ، ثم ينتقل من ذلك إلى الكلام عن تأثيرات ذلك على العلاقة بينهما حاليا ومستقبلا •

وأما الفصل الثالث ، بعنوان " الثقافة السياسية — الأحزاب والأيديولوجيات " ، فهو استمرار للفصل السابق ، إذ يتناول فيه المؤلف بالتفصيل الفروق البارزة بين ثقافتى اليهود الشرقيين والغربيين • ثم ينتقل إلى الأحزاب السياسية في إسرائيل ويبرز الاختلافات القائمة بينها من الناحيتين السياسية والأيديولوجية • والواقع أن هذا الفصل يحظى بصورة واضحة وتفسيرا لا بأس به للأحزاب السياسية المختلفة في إسرائيل •

وفى الفصل الرابع ، بعنوان " التكيف السياسي " ، يتناول المؤلف الوسائل التي تبنيها الدولة والأحزاب لاستيعاب المهاجرين سياسيا واجتماعيا • مع العمل على تهيئتهم وأعدادهم للظروف السياسية والاجتماعية الخاصة بإسرائيل • وهنما يبرز المؤلف دور الأحزاب والمدارس والمؤسسات المختلفة في هذه العملية • ومدى النجاح الذي حققته فيها •

وفى الفصل الخامس يتكلم المؤلف بأسهاب عن " مراكز القوى " في إسرائيل • وهو هنا يقوم بعرض تاريخي موجز يفسر فيه الأسباب التاريخية والاجتماعية الستى أوجدت هذه المراكز ومكنت لها من السلطة • كما أنه يتكلم عن الأحزاب الرئوسية ثم عن الهستدروت ( اتحاد العمل الاسرائيلى ) • والأحزاب الدينية المتطرفة بصفة خاصة • ويمطينا المؤلف صورة أحصائية عن مراكز القوى في إسرائيل لبيسان قوة كل مجموعة سياسية أو نقابية أو اجتماعية أو دينية • وفى هذا الفصل جداول



بنتائج انتخابات الكنيست ( البرلمان الاسرائيلى ) ، وهى تشير بصورة واضحة الى  
قوة المراكز وأحوال المد والجزر فى شعبيتها ونفوذها •

والفصل السادس والأخير ، تحت عنوان " السياسة " ، يتناول — بصورة  
محددة عملية — اتخاذ القرارات ورسم السياسة فى اسرائيل ، ويسلط الضوء على  
المراكز والقوى التى لها اليد الطولى فى هذه العملية • وهو ، فى هذا الصدد ،  
يبرز دور الحكومة والكنيست — كل على حدة — فى هذه العملية الأساسية ، ثم  
يتناول — بإيجاز — الظروف والأسباب التى تدعو الى أن تكون الأمور مثلما هى عليه •

ويختتم المؤلف كتابه بنقطة تشاؤمية بعض الشيء عندما يتحدث أو يتكهن —  
بمستقبل هذه الدولة الجديدة التى تعيش وسط بحر من المداوة القائمة والمستمرة  
التي خلقت بصورة غوية • وأن على اسرائيل أن تحافظ على كيائها بشتى الطرق —  
وان كان المؤلف هنا لا يخفى تشككه فى إمكانية تحقيق ذلك !



## استهلال

لقد استغرق هذا الكتاب زمنا طويلا ليتم اعداده ، فأنى لا أذكر وقته حتى عندما كنت طفلا - لم تمثل فيه اسرائيل معنى خاصا بالنسبة لى . وبعد عشرين عاما لم يكن فى قدورى التمييز بأن ارتباطى الشخصى بدولة اسرائيل الحديثة التاميم سوف يترجم يوما ما الى اهتمام مهينى . وان تمكنى من وصل الخيطين معا فى هذا المجلد لتجربة صعبة ، وان أثارت بعض المشاكل ، فقد تمذرنى بعض الاحيان فصل دعامه التجريسة الشخصية ، والتصرفى الشخصى من القيم الحلى وصداء الحكم . وقد حاولت فى كل مكان أن أحافظ على المسافة التى تقتضيها قواعد الدراسة الحقة ، وأدركت احوال الوقت أن مسافة الدارسين بها مسام أكثر مما ينبغي (1) فليكن ذلك اذن ، حيث أننى لأجد غير ذلك سهلا . غير أن هناك بلا شك مواطن يوضح فيها الأمور وخلق الضرر لها . اهتمام عشرين عاما ، ولولا ذلك لكانت فى الذل . ومن المؤكد أيضا أن هناك مواطن أخرى حيث يثق الارتباط الشخصى فى سبيل الحكم المتدبر العائب . وعلى أى حال ، فهذه هى النتيجة لأقدمها مصحوبة باعتذار ، ولكن بتحديد واضح .

تمام بمساعدتى وتأبيدى فى حلى فى هذا الكتاب أشخصلى العديد من يسعدنى أن أسرد أسماءهم هنا . لقد استندت كثيرا من معارضنة هانويل جوتمان ، ولويس جوتمان ، وجوزيف بن دافيد ، ودافيد بيسن جويرين ، وشيمون بيريز ، وآبا ايبان ، هرون باركلت ، ويوشى زيفلين ، واسرائيل

شيفير ، موشى كيريم ، وزيد ، ليفين ، ومناحيم بييجين ، موشى روليتى ، وحاييم  
راداى ، وروبرتو باخى ، وشموئيل بندور ، وأندرية خوارثى ، موشى قسول ،  
ويهودا ايلان ، وديسها عام امير ، وروين شارى ، وتاديس لوز ، وشيمون  
ارجانت ، وآبا موشى ، وشراجاندير ، والياهو ساسون ، ودون هيرمونتز ،  
واسحق نافون ، وايرك كوهين ، واوديد ميسير ، ودانيد بوسلاد ، ويحرام  
بن بروت ، وشيفشون اراد .

كذلك قرأ أجزاء من مخطوط الكتاب وتقدم النصيح والارشاد كل من :  
دان شيمشونى ، واليكس فاينجولد ، ميرون دينر ، وهارولد اسحق ، واوش فاين .  
أما بن هالبرن وشموئيل ايزنستات ولويسيان باى فقد طالعوا النص بأكمله ، وكان  
لتفاعلهم الحساس واتقواحاتهم أذهل الفائدة . اننى لأريد ، باى حال من  
الأحوال ، أن أوثق هؤلاء الأشخاص الضييين فى أخطائى ، كما أعلم أن الكثيرين  
منهم سوف يخالفونى الرأى فيما أقول . على أننى آمل أن يكون هذا موجه الملمم  
بأنه لولا مساعداتهم لانحرفت الى أبعد من ذلك . كذلك أدين بالشكر المسمى  
هادلى كانفريل بمصهد البحوث الاجتماعية الدولى ، فقه وضع تحت تصرفى بطاقت  
المثل الالكترونى الخاصة بدراسه الأخيرة حول " الموقف فى اسرائيل " .  
فاستعنت بالمعلومات التى تفتتها طوأن صلى بهذا الكتاب . وكانت لسى ذات  
ناشدة كبيرة .

كما أدين بجزيل الشكر لعلمى بحوث الملمم الاجتماعية على منحهم  
المخطمة الأهمية ، ولمركز الدراسات الدولية ، وأخص بالشكر ماكس ميليكسان



ودونالد بلاكمز على كرمهما في مد يد المحن لهذا المشروح ، وعلى أغائيهما  
لى من يمتد الأبناء المزمجة التي تشقن عادة يمثل هذا العمل .

لقد كان هاموندز بموصفه " ليتل بيراث " مشجعا ملما وعتيقا ،  
أما لوسيان باي الذي كان أول من اقترح القيام بهذا المشروع فقد ظل داسوال  
الوقت منهما لاهتمام وعن الزميل ، ولهذا أقدم شكرى لكليهما .

أما زوجتى وأولادى فقد كانوا صبورين الى درجة مروفة أثناء كل من  
فترة التصوير والتكوين وفترة الزواج ، كما كانوا - كما دتهم دائما - مصدرا  
لللهامى .

بالرغم من علمى يقينا بجرأة هذا الاهداء ، فلا أجد بإمكانى أن أفضل  
غير ذلك . ان هذا الكتاب دليل صغير وغير كاف بالقرعة الأثير من احترامى  
وحى لأولئك الرخا والى النساء الذين أسودت قصتهم بدائله .

ليونارد ج . فاين

## مقدمة

ان جميع الدول تفكر وتميز الواحدة من الأخرى بموقع خاص من  
الجغرافيا ، والتقاليد والتدينم الاقتصادي والسياسي ، والتكوين الجنسي ،  
والايدولوجية ، والثقافة . ولكن بعضها يزيد غرنا من الأخرى ، ويجب  
الدراج اسرائيل بينها .

وهناك ، بلاشك ، دول أخرى تميز واحدا أو أكثر من بين تلك  
الظروف التي تجعل من اسرائيل — قبل أى شىء آخر — دولة متمزلة  
ولكن واحدة منها لاتواجهها جميعا : حدود أرضية تشترك جميعها مع  
جيران ماديين ، لاتتعلق غيرها أن تطير طائرة أو يرسل خطاب  
أو ينشأ طريق . ولغة لايتكلمها أى شعب آخر ، ولاخر خلو من أية زوايا  
خاصة بأى شعب آخر ، سواء داخل أو خارج حدود الدولة ، كما أنها تقع  
فى منطقة غربية ثقافيا ومعادية سياسيا . وكذلك يجب اضافة حجم الدولة  
الى كل ذلك ، إذ أن صغر اسرائيل ( ثمانية آلاف ميل مربع ، أو ثلث مساحة  
بحيرة ميتشيجان ، أى أصغر من كل ولايات أمريكا الخمسين ، باستثناء ست فقط )  
يميز عزلتها بصورة صغيرة .

وليس هذه العزلة الشهيرة هى وحدها السمة المميزة لاسرائيل ،  
فهى وحدها — من بين دول العالم — التى ولد أغلب مواطنيها الباشكين  
فى أماكن غيرها وأتوا الى الوطن حاملين من مختلف ثقافاتهم الأصلية أجسزء  
لم تمس ، وعلى غرار شعبيها ، فان المؤسسات السياسية الاسرائيلية ترجع أصولها

الى نفس الأمر ، وبدون ما الى مكان آخر أيضا . ونتيجة لذلك يتعين على اسرائيل ، في بحثها عن شخصية وطنية ، أن تسلك سبيلا موحشا مليئا بالمخاطر ، فلا تدرب أنارة آخرون ، ولا رفقا يشاركونها رحلة المخاطر .

والى جانب ذلك ، فإن اسرائيل دولة ذات متناقضات شديدة حادة ، ومحصلة هذه المتناقضات لاثيمة له ، وإن كان شيئا بالنسبة لوجوده الى ذلك . التجاور الشريب لمد يد من الأشياء : فإن أعلى مبنى بمدينة القدس اليهودية هو مبنى جمعية الشبان المسيحيين ، ومدينة القيصرية .. Caesarea الأكثرية تضم ملعب جولف أنيقا ، أما أنوار القين في مدينة تل أبيب فتكلم لغة القوة . أما المبنى الآخر له أهمية كبيرة ، ونشأ لأن الصراعات التي تولدها وتغلبها هي مادة الحياة السياسية لاسرائيل فسوف نغمض لها مرة تلو المرة ، خلال معناها في هذا الفصل . على أن أكثر المتناقضات إثارة وأقلها وضوحا يحتاج الى تأكيد خاص منذ البداية .

وبما يدل على هذا التناقض أو خال أقسام من اسرائيل في الدراسات من " الأمم الحديثة " ، " والأم الناشئة " (١) على السواء ، أن الواقع بالنسبة للأمر الأول مثيرا ، فإن اسرائيل واحدة من أكثر دول العالم تحسيرا ، ونسبة الأطباء فيها بالتقاس الى عدد الرضى تفوق أى دولة أخرى . وفى تنبه دول الحرب الحديثة أكثر من تشابهها لأى المجتمعات الأحداث فيها (٢) سواء من حيث التسليم أو الاتحادات النقابية ، أو التطور الزراعى ، أو البحث العلمى الأساسى ، أو عدد الطلاب بالتعليم الابتدائى ، أو التشاخص الاقتصادى ، أو عدد الصحف بالتقاس الى عدد السكان ، والوفسهم من

ذلك فهناك واقع يدفع الى ادراج اسرائيل في عدد الدول الناشئة ، يتشكل في الأعداد النخبة من السكان البالغين الذين هاجروا اليها من المناطق الأقل نموا كاليمن ، وشمال افريقيا ، وكردستان ، وميانمار ، وهي اقرب اجتماعيا ونفسيا الى شعوب مسقط رؤوسهم من مواطنيهم الجدد . وميانمار المكيان العرب الـ ٢٥٠٠٠٠ ( ١٢ ٪ من عدد السكان ) من الريفيين التقليديين كما أن من السكان اليهود اقلية صغيرة - وان كانت ذات أهمية - من اليهود الأرثوذكس المتحمسين ممن يعتقدون الماضي أكثر من المستقبل ، والايان أكثر من السلم ، وما زال الانتماء ينافس الانجاز كدافعة أساسية للانخراط في الادوار الاجتماعية البارزة ، وما زالت الايديولوجية القديمة الرشيقة المنبع تمرقل التسليم الكامل للسلم والتكنولوجيا . وأخيرا يظل على الجهاز السياسي نفسه لمن يبلغ ويتخطى مرحلة الانتقال الحرجة عندما يسلم طاق القيادة من أيدي الأسياد من عهد ما قبل الاستقلال الى جيل أحدث وأصغر ، فما زال عليه أن يجد وسيلة لرضا أهداف ما قبل الاستقلال بموارد ما بعد الاستقلال .

وبح ذلك فلا يكفي مجرد القول بأن اسرائيل قد حققت " المعجزة " من وجهة النظر الاقتصادية ، وما زالت حياتها الاجتماعية السياسية تمر بمرحلة الانتقال ، فليس فصل مجالات الوجود الوطني على هذه الدرجة من البصر ، حتى وان كان لفرض التحليل - ذلك بأن حقيقة أن التقاليد لا تزال تسيطر بشدة على منطقة ما أكثر ما تسيطر على منطقة أخرى تغير من كاتيهما كما تفسير من مضمون ومادة السياسة . ولهذا السبب - من بين أسباب أخرى - فأننا نجد أن تعانج السياسة الانتقالية التي تكونت داخل اطرارات تقليدية نوعا

لأجل الاستعدادات المباشرة لشهم السياسية في إسرائيل .

ربما يكون التأكيد على غرض إسرائيل بذلك شعبا مهالفا فيه ، فلسو  
أن إسرائيل مفرطة في خصوصيتها إلى درجة تمنع رسم نماذج موازنة مفيدة  
في أية جهة ، بينها وبين البلاد الأخرى ، لوجود الغرض المحموم في تبرير  
المجهود المبذول في استكشاف ثامنها الخاص . ولكن القطع والأجزاء السقي  
تميز إسرائيل عن غيرها من البلاد ، من خلال تركيبها الخاص ، لها - نسي  
حد ذاتها - سوابق وأشياء . وثلا من ذلك فإن بعض نواحي التجزئة  
الإسرائيلية يمثل نماذج أولية قد شيد في شهم التفسير والتطور السياسي نسي  
دول أخرى . وهكذا ، فإن القول بأن جماع تجزئة إسرائيل " أكثر ثراء من  
غيره " لا يعني أن دارسى السياسة المقارنة لن يجدوا شيئا يتماثلونه  
أو أى شيء يستعينون به على شهمها .

قد تحير هذه الفقرات الانتحائية القارئ الأمريكي الذى ليست لديه  
معرفة خاصة بإسرائيل ، فبالنسبة لأغلب الأمريكيين تركز الاحساس والوقاسى  
بإسرائيل حول الحدث الدرامى الذى عرف " بميلادها الجديد " خلاوة فلسى  
دورها فى مشكلة الشرق الاوسط المستمرة . فسورة إسرائيل كدولة شابة محاربة  
تسكنها سلالة قوية مرنة قد اكتسبت قوة دفع أولية من خلال الكفاح من أجل  
الاستقلال ، وهزتها بعد ذلك التاريخ الملاحق والأخبار المحزنة كـ  
استحدثت تأكيداً نهائياً من الرواية الرائجة والقيم السيفغنى " الشـرج " .  
( Exodus ) بالوغم من نوط بساطة الوصيلة . كذلك شكلت سياسات

الشرق الأوسط الدولية الموحى الأمريكى بإسرائيل : فحملة سيناء ، ومشكلة اللاجئين العرب ، وتطاع غزة وغيرها — قد احتل كل ذلك مكانا فى ذلك المحتجم المعير الدائم النمو ، الذى يشمر المواطن المسئول بضرورة التمكن منه .

ان هذا البحث لا يبدأ بتلك الاجتلاحات الشائعة ، وليس الاختيار بمحض الصدفة كذلك ، فان الدراما الاسرائيلية أكثر تعقيدا وتأثيرا مما قد يوحى به أى طوان صحفى ، أو قصة روائية ، وان مثلها أناس طامعون وليسوا من الخوازيق ، كما أنها تشتمل المأساة والفشل كما تشتمل النجاح والانتصار . والأمريكى الذى يفضى عنهم طالع له قدرة اذا زاد اهتمامه بدمر إسرائيل ففى سياسة الشرق الاوسط من اهتمام بمشاكلها الداخلية ، ولكن التقدير السليم للجانب الاول يتطلب ، على الأقل ، بعض المعرفة بالجانب الثانى — معرفة يستلزم الأمر ان تتخلى الصورة الشائعة . كذلك يتطلب تحليل الموقع الداخلى وعيا بالبيئة الدولية المعتمدة الجوانب . وهكذا ، وعلى سبيل المثال ، نبيضا يهدو جليا أن على المدارس لسياسة إسرائيل أن يأخذ فى الاعتبار العلاقات الاسرائيلية — العربية ، نانه يتمين علينا ألا نصرف فقط ماتشله هذه العلاقات بالنسبة لاهتمامات الدولة ، بل وكيف تشكل شخصيتها أيضا .

ويقدر المستطاع ، سوف تؤكد العلاقات المتراصة بين مختلف المجالات المتعلقة بمالم السياسة ، وسيكون علينا ألا نعال بمسألة من كيفية اتخاذ

البرلمان ( الكنيست ) للقرارات، بل - على الأرجح - من كيفية اتخاذ  
القرارات في مجتمع ما زال الاجتماع على الرأي فيه شاملا ضعيفا ، حيث بدأت  
الايدولوجيات القديمة في الاضمحلال وان لم يخل محلها جديد ، وحيث يؤثر  
الخطر المهدق بالدولة من الخارج باستمرار في كل ما يحدث في الداخل .  
ولن ينأ عن أن نذكر فقد أن برامج التنمية لاندماج المهاجرين الجدد في المجتمع  
الأقدم بهذا تشكل مشكلة سياسية ذات أبعاد ضخمة بل سيكون حلها كذلك  
أن نفحص الوسائل التي تكيف بها دول المهاجرين - أو التي فشلوا في  
التكيف بها - مع النظام السياسي القائم ، والوسائل التي غيرت بها تصرفاتهم  
من النظام نفسه .

وتستند محاولة التمكن من هذه المسائل وشيلا منها ضعيفا من العادة  
المتوافرة حاليا حول موضوع سياسة اسرائيل . فكما هو متوقع ، نجد أن الجزء  
الأكبر من هذه العادة محل جدل حثيف من حيث مضمونه ونالها في لهجته  
وأسلوبه أيضا . أما القليل من المهاجرين النظام ككل وبدون تحيزات طائفية  
فيتركزون ، أساسا ، على وصف هجمات الدولة السياسية ، ويكادون يهملون  
كلية سلوكها السياسي .

إلا أن هناك بعض استثناءات ملحوظة في هذا الجو المقتر ، كما  
أن هناك كمية ضخمة - وإن كانت متزايدة - من التقارير القيمة على بحوث  
التجارب العملية في مجالات معينة (٣) . وتخرج منظم المواد الجديدة  
من الجامعة العبرية ، كبرني معاهد التعليم العالي العامة ، وقد ازداد عددها

خلال السنوات الأخيرة زيادة يرجع بعضها إلى تخفيف القيود المفروضة على البحوث الاجتماعية في الأمور ذات الدلالة الأيديولوجية ، ولكن جزءا كبيرا من هذه المادة العلمية محدود الأفق ، مما يفرض استنتاجات هزيلة ، ولكن لاثنى منه بالنسبة لدارس السياسة الإسرائيلية<sup>(٤)</sup> الجاد . كما أن هناك موردا آخر لا يقل أهمية ، وذلك هو التقارير المدهشة التي يعدها مكتب الإحصاء المركزي ، وهو وكالة الإحصاء الرسمية في إسرائيل .<sup>(٥)</sup>

والرغم من التوسع الحالي في مجال البحث الاجتماعي والسياسي ، لا يزال هناك الكثير من المجالات المهمة لا تتوفر فيها أية معلومات بتاتا ، مما يخلق هوة سحيقة أمام أية محاولة لترتيب المنهجى . وأفضل ما يفعله المرء في مثل هذه الأحوال هو أن يستخدم ما يتوافر من المعلومات وأن يستغل معرفته زملائه ويستفيد من ملاحظاتهم الخاصة ، ويحذر القارئ من أن الاستنتاجات المستمدة من مثل ذلك الاجراء لابد أن تكون تجريبية بالضرورة .

إن ندرة المعلومات اندسة ليست الا واحدة من المصائب التي يواجهها علماء السياسة ، أما المشكلة الثانية التي تساويها في الأهمية فهي إمكانية توافر إطار مفاهيمي ذي معنى يمكنه أن يقوم بتدعيم وتوضيح ما يتوافر من مثل تلك المعلومات ، مما يزيد وثرة المصادر أمامنا . فخلال السنوات العشرين الماضية استفاد دارسو السياسة المقارنة استفادة جمة من كتاب " جبريل الموند " وأعمال لجنة السياسة المقارنة التابعة لمجلس بحوث العلوم الاجتماعية<sup>(٦)</sup> ، فلقد اعتمد هذا الكتاب الكثير منها ، وإن قل ما كان ممكنا . أما المواد التي



أوجت بها اللجنة فتتميز ، على وجه الخصوص ، بإعمالها لحدود الملمس الاجتماعي التقليدية ، وباهتمامها بتعريف وإظهار العلاقات المتعاضدة بين جوانب النظام الاجتماعي - السياسي الواضحة التباين ، وكذلك بتأكيد مساهمات المتغيرات العملية دون المتغيرات التنظيمية البحتة ، وبذلك تكون النتيجة ولا تزال ، هي تكوين مجموعة مصنفة ممددة للتحليل السياسي تعمل على الإسراع بإقامة علوم سياسية مقارنة أصيلة .

إن الوصف الحرقي جامد بالضرورة ، ولذلك يستحيل ، بأية حال ، أن يكن الوصف الحرقي ، لنظام ديناميكي قاطما ونهائيا . لهذا يتعين على العرف أن يواظب على تعديل التكهينات القاطمة ظاهريا ، أو أن يستشف منها ، إذا التمدد ، وهذا يمكن فقط إذا ظلت جميع الأشياء والمواضع الأخرى من غير تعديل ، في حين تكون الأشياء الأخرى متساوية . ومع ذلك فهناك أشياء أخرى لا تكن الاحتمال للذات العملية وترفع ، أن تظل متساوية ، وهذه " الأشياء الأخرى " لا يمكن إيقاف تحركها ، ولو لوقت محدود ، في نظام سياسي مازال في مرحلة التقلب ولم تثبت التقاليد دعائمهم . ولهذا فمن دواعي المداقة أنه يحتم أن تظهر في كل فترة من فترات هذا الكتاب ملحوظات تحذير أو عبارات تعريف أو تحفظات أو إنكارات ، ولكن الأسلوب ، هو الآخر ، ينبغي أن يأخذ مجالا . ولذلك أرجو أن يتقبل القارئ برحابة صدر هذا الاستمرار بعدم القطع بشئ نهائى على أنه يسرى على جميع الصفحات التالية .



الجزء الأول

أصول الفقه



## الفصل الأول

### المسرح

" لقد جئنا الى الأرض لنبنى ولكنى  
تولد من جديد .. .. "

جرى الحرف اليهودى على تسمية الهجرة الى اسرائيل بـ " هاليه " Aliyah ( وجمعها " هاليوت " ) ، وهكذا تشهد اللغة نفسها بالدلالة الخاطئة جدا لمصهون فى التاريخ اليهودى . وطوال القرون الطويلة لتشرن اليهود كان الحرف والمقيدة الدينية يرتبطان المجتمعتا المختلفة بمصهون بالهمز . وقد ربطها نفس هذا الحرف وهذه المقيدة الى مصهون .. الى فلسطين . وكان الايمان بأنه فى يوم ما ، " فى نهاية الالام " ، سوف تكون هناك عودة الى مصهون ، ايمانا راسخا صيق الجذور ، وحتى يأتي ذلك اليوم اعتبر اليهود فى كل العالم أنفسهم فى " جولاه " أو منفى (Golah) .

ولم يكن مفهوم المنفى شيئا غامضا ثانيا بالنسبة لحياة المجتمع الطبيعية فى أجزاء كبيرة من أوروبا ، التى كانت موطن لأغلب اليهود خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، كانت معاداة السامية وسمية للدولة ، كما أنها تسلية شائعة ، وخصوصا فى أوروبا الشرقية ، حيث عاش التسميون من يهود أوروبا . فقد كان الاضطهاد نظاما راسخا ، أما ما كان بين آن وآخر

من الاتجاهات الى التحرر ، فانها كانت قديمة الأجن ولم تعد أو عجزت مأخذ الجدد . ونتيجة لذلك ، لم يشمر سوى عدد قليل جدا من اليهود باخلاص هيق للبلاد التي ولدوا بها ، وعدد أقل أخلاص للهيات الحكومية . وهكذا أسرع العقدرات من الألف بل والملايين أخيرا ، لانتهاز فرص الهجرة ههنا اتاحتها .

المحررك : لم تكن فلسطين وجهة المهاجرين اللهم الا القليلين منهم ، فقد فطروا الرحيل الى الولايات المتحدة ماعدا استثناءات متفرقة ، وفي حالات أقل الى انجلترا والأرجنتين أو أوروبا الغربية . ونطاق ذلك واضح ، فلم يكن لفلسطين القرن التاسع عشر ما يركزها ، فبالأرض مقفرة قاحلة ، وغالبية السكان المسيطرة مختلفة ثقافيا ، كما أن الحكام الأتراك لم يكونوا مؤيدين لاستقرار اليهود فيها ، وذلك علاوة على انتقارها الى مجرد حياة فكرية بدائية ، بالإضافة الى أنها لم تكن ولنا الا لخمسين ألفا من مجموع يهود العالم البالغ عددهم حوالي أحد عشر مليونا .<sup>(١)</sup> وكان أولئك السكان اليهود في الغالب شيوخا غير منتجين من أتقيا . اليهود حضروا الى الأرض المقدسة بغرض الدراسة الدينية ، ولكن يتوفوا بها ، أما السكان العرب فكانوا يمارسون ، بالكاد ، حياة زراعية تقليدية ، ومن الواضح إذن أن مثل هذه البيئة القاسية لم تكن لتضمد أمام منافسة اسطورة الحرق الموضوعة بالذهب في أمريكا .<sup>(٢)</sup>

وبالرغم من ذلك ، فبين الحين والآخر كان يقال ان اليهود حكم ذاتي مستقل للشعب اليهودي سوف يضع نهاية لمعاداة اليهود (الاسامية) وكان ذلك الحكم الذاتي القوي يعنى حكما ذاتيا في فلسطين . وههنا كانت

مساوي فلسطين ، فقد كانت لها ، على الأقل ، ميزتان أساسيتان كموطن  
لمجره جماعية لليهود . وأولى هاتين الميزتين ، على وجه التحديد ،  
هي أنها منطقة غير مستقلة ، مما يوفر فيها مكانا لمجتمع جديد يشكل نفسه  
طريقه الخاصة في الحياة طبقا لعنايته وتطلعاته الخاصة . ولم يكن احتمال  
هذا التشكل بأقل أهمية ، بالنسبة للكثير من نازحيه الهجرة الجماعية السني  
اسرائيل ، من حل مشكلة الاضطهاد ، فقد يعنى الحكم المستقل الذاتي جمل  
الثقافة اليهودية " الطبيعية " أى خلق طبقة من الفلاحين حيث لم يسبق لها  
وجود ، وإحياء الجبهة كلفة متداولة في الحديث ، وتنمية عقلية عامه وجمع  
يتخلو من التشوهات التي يولدها الاضطهاد . وكانت الحجة هي أن مثل هذه  
العملية تتطلب ثوره في ظروف الحياة اليهودية .

ويزيد أهمية من ذلك أنه لا يوجد مكان آخر يعيد فيه اليهود كلاس  
الرابط التاريخي والمناطق ، علاوة على الحالة الدينية القوية - هذه الصلة  
التي بنيت ، إلى حد كبير ، على أساس حقيقة أن كل الأماكن المقدسة اليهودية  
تقريبا كانت موجودة في فلسطين . أما قوتها الحقيقية فتكمن في أن فكر قسسيون كانت تحتل  
مكان المركزي اللاهوت اليهودي ، فالصديق للمواضع اليهودي الذي توزع طقوس  
ختان شماتري ، مثلا ، يتضمن وعدا من الملقط : " سوف أهبك ولذرتك من بعدك وكل  
أجبالهم اللازمة ، وأرضا الاقامتكم ، كل أرض كنعان لتملكوها إلى الأبد " .  
أضف إلى هذا الرابط الديني القوة التاريخية للمادية للديانة اليهودية ،  
فعلى خلاف أية ديانة أخرى ، تنبأ الديانة اليهودية أصولها بتمسب بذاتيه  
وليس بلحظة من الوحي أو وظيفة عقائدية ، فأصاها تحقن ذكرى أحداث من

بتاريخ ذلك الشعب ، وكتبها المقدسة تسمو قصته ، وفلسطين هي أرض ذلك التاريخ النابض الذكري ( أرض الميعاد ) .

ولكن نداه القائل وجدانية الايديولوجية الصهيونية الثامية لم يكسرها كافرين للتمويه من حقيقة فلسطين الكثيرة حتى عام ١٨٨٠ . وقد تسبب الحرب امكانيات تعليمية ، وخدمت اجتماعية ، وهاية طيبة ، وغيرهـا من التسهيلات ، وكان أفضل ما تقدمه فلسطين هو المعنى الروحي فقط . فضلا من ذلك ، فان أكثر يهود أوروبا قابلية للحركة والانتقال كانوا في الغالب من اكتسبوا الطابع الغربية والدنيوية . واكتساب الشخصية الغربية والدنيوية يعني أن الارتباط الديني بفلسطين قد ضعف ، وأن الشعور بمدى الشخصية في الرحيل الى تلك الأرض البعيدة المقفرة قد ازداد قوة . وحتى هؤلاء من ذوي العقيدة الأتقى والأشد ارتباطا بالتقاليد اليهودية وجدوا الكثير مما يثبط الهمة بالنسبة لمشروع الانتماء في فلسطين ، فكانت الخلاصة من أجل العودة شيئا ، والمتخبط لها شيئا آخر بالمرء . وما كان من الممكن أن تنال الدعوة الصهيونية اهتماما أكبر لو لم تكن الأبواب مفتوحة للولايات المتحدة ، ولكنها كانت مفتوحة على مصراعها ، وهما كانت قوة رأبها التقاليد فلم يستطع مقاومة أفرادها سوى أشد الصهاينة تعصبا وإيمانا .

وان الاعتقاد بأن اليهود يجدون في الخرب الملجأ حيث تتوفر لهم حرية ممارسة الدين اليهودي ، أو أن يصبحوا جزءا من المجتمع الأكبر لمرحبوا في ذلك ، قد اكتسب قوة من تجارب المهاجرين السابقين . وبالرغم من أن الترحيب باليهود كان بدرجة أقل من الحواس ، إلا أنه كان يمنح الحرية



السياسية والاقتصادية والدينية ، ولم تمارس معه الحكومات الاضطهاد المكشوف . وحتى بعد مرور زمن قلى قيام الحركة الصهيونية ، حيث أصبحت الهجرة الى فلسطين أكثر تشجيعا من ذي قبل ، ظل معظم اليهود على اعتقادهم بأن حل " المشكلة اليهودية " يوجد في الولايات المتحدة وليس أوروبا الغربية .

الصهيونية : وعلى هذا الأساس الذى كان قائما خلال السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر ، تحولت الصهيونية من حين لآخر الى حركة سياسية (٣) . وقد شجع هذا التحول ، من ما سببه أيضا بعد ضواغ وثقت هذا الجور من القومية الذى ساد أغلب أوروبا طوال المقود السابقة . وكما قال " هاين " : " اذا كان الأمر هكذا مع المسيحى فانه كذلك مع اليهودى " . ولكن الصهيونية كانت حركة شاذة بين الحركات القومية ، فالقومية اليهودية لاتملك القاعدة الجغرافية ، ولم يكن اليهود يسمون لتوحيد أرض وطن مجزأة ، أو لادول سيد استعماري ، بل - على العكس - كانوا يهفون استرداد أرض لم يعيشوا فيها ، بأعداد تذكر ، لمدة تقرب من الألفى عام ، وتوجيه سد شعب تشتت في أنحاء الأرض ماديا طوال هذين الألفين من الأيام ، تفرقه قرون من التاريخ ، وبالتالي من اللغة والتجربة كذلك .

وبالنسبة لأغلب أصحاب النظريات الصهيونية ، كان انتظار اليهود الى أرض تخصهم وحدهم هو المسئول عن " المشكلة اليهودية " . وقد فسرت هذه المشكلة على أنها أعق يكبر من مجرد مشكلة أمن ، فكما قال " أحد هاسام " وهو واحد من أبرز الكتاب الصهاينة الأوائل : " على اليهود ألا يواحبسوا

مشكلة اليهودى فحسب قبل أيضا مشكلة اليهودية ، أى احياء ثقافة يهودية  
مستقلة " (٤) .

ولقد كان واضحاً أمام هذه المجموعة الصغيرة أنه على الرغم من أن  
الغرب كان يقدم لليهود ماوى ، فإنه لن يقدم ، فى أحسن الاحوال ، الا  
وطناً لليهود ، وليس وطناً يهودياً ( قومياً ) . كذلك لم يكونوا يميلون حقيقى  
الى الاعتقاد بأن مشكلة السلامة العادية الجوهرية قد تم حلها فى الغرب .  
وأخيراً ، فإنهم كانوا مقتنعين بأن جميع اليهود فى أوروبا الشرقية يمكن بمروءة  
الامن ، أن تتأثر بالدعوة الصهيونية ، لأنها لن تتأثر أبداً بمفاتيح الغرب ، مهما  
بلغت روعة تصورهما .

وبعد ما اكتملت تلك الأفكار الرئيسية ، تمكنت بالقفل من مسوتو حصاص  
بين أعداد صغيرة من يهود أوروبا الشرقية . وهكذا نظمت حركة سميت " منظمة  
صهيون " Hibat Zion ، وبدأت جهداً رفيع من الهجرة  
الى فلسطين (٥) . ولكن الصهيونية فى هذه الأيام لم تستطع الظهور كقوة  
كبيرة ، فهما الرغم من قوة اغرائها التقليدى فقد كانت غفيرة الى امكانيات القيام  
بعمليات اسكان أو استثمار واسع النطاق فى فلسطين ، كما لم يكن باستطاعتها  
اقتناع الحكم التركى بتخفيف معارضته لعل ذلك النشاط ، فكان المصدر  
الوحيد لذلك التأييد المدعولب فى الغرب ، بين المجتمعات اليهودية ليس  
الدول المستقلة . ولكن مع اتجاهاهم صوب الغرب ، اضطرا اليهود الروسون المس  
تمريض ايد يولوجيتهم للخطر ، فلم يكن بمقدورهم أن يطالبوا اليهود الامريكانيين

بالمساعدة في وقت يطلقون فيه اسم "الهروب" على الهجرة الى الولايات المتحدة ، وينادون فيه بأن الحل الوحيد " للمشكلة اليهودية " يتثل في اعادة بناء فلسطين . أنف الى ذلك أن وجود اليهود الامريكيين في وضع يمكنهم من الاستجابة لمطالب الصهيونية يحى في حد ذاته وأنه بإمكان اليهود أن يعيشوا حياة طيبة في الولايات المتحدة . وقد تلك تلك المصلحة الموصية بها على مشروع الصهيونية طوال فترة كبيرة من تاريخها (٦) .

ولم يكن الانتظار الى الموارد الا أحد المواقيل في سبيل اعادة الاستيطان في فلسطين على نطاق واسع ، فلم يكن عدد المستوطنين قد وصل الى الحد الأدنى الذي يتطلبه الشعور بمجتمع راسخ في فلسطين ، وكذلك فان المستوطنين الأوائل ممن أمكنهم شق طريقهم الى الأرض قد وجدوا أنفسهم مقترنين معزولين فقد أقاموا بدون أية مجتمعة نظامية " لاعادة بناء الشعب اليهودي " ، مسددة مستمرات تدعها مهنات من الخارج ، واستقروا في اطار ثابتة نظاما ، ولم تكن لديهم المهارة أو الامكانيات الاقتصادية أو الايديولوجية أو القوة الماملة لكن يؤثر في الواقع الفلسطيني تأثيرا ه أهمية .

ولقد بدأ هذا الوضع يتغير في منتصف التسعينات من القرن الماضي ، وكانت قضية " درايفوس " في فرنسا هي الحافز المعبر ، وإن لم تكن مسألة منجزة من غيرها بأية حال - ذلك بأن اعتقال " درايفوس " اليهودي ليرافس فرنسا ، قلعة الاستنارة والحرية ، ورد الفعل المادي لليهود الذي أثاره ذلك الاعتقال ، كانا بمثابة تذكرة مريفة لليهود في كل مكان بأنه حتى في القسرب المستير لم تحل مشكلة معاداة اليهود ولكنها احتجبت بحسب . وفي ذلك الوقت كتب " تيودور هرتزل " وهو صفي من نيينا ، كتابا صغيرا بعنوان " الدولة

اليهودية ، ونفى فيه فكرة الهجرة الى الغرب كحل "للمشكلة اليهودية" . وأصر على أنه بالعمل السياسي يمكن الوصول الى دولسة يهودية تجميع ذات سيادة (٧) . ولم تكن هذه الفكرة جديدة بصورة خاصة ، ولكن الجديد أن العنادى بها كان يهوديا " غربيا " ، وكان الناس أكثر اعتمادا للاتصا اليه ، وكان ذلك شيئا جديدا أيضا .

وقالوا على ذلك فان " هرتزل " كان رجلا غير قادى بالمرة ، فقد كان مغالطا بصورة غير عادية ، وكان يمتاز بجاذبية غريبة (٨) . وقد كلفت محاولاته لخلق منظمة سياسية من شأنها تشجيع البديل الصهيونى وتوحيد جميع يهوديه بنجاح فائق . فمع حلول عام ١٨٩٧ اجتمع المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بازل بسويسرا وحضره مندوبون من كل الطوائف اليهودية الرئيسية فى العالم . وهكذا أصبح للصهيونية منظمة ترفى ايدى ولوجيتها (٩) .

الحركة الصهيونية : لم تكن الحركة الصهيونية أبدا تمثل وحدة متراصة متجانسة ، فقد اختلفت أهداف المنظمة فى مسائل رئيسية مثل : أى الاستراتيجيات السياسية أسرع من غيرها فى إقامة الحكم الذاتى ؟ هل تتحتم المطالبة بالاستقلال الكامل والحكم الذاتى أصلا ؟ وعند توزيع الموارد المشححة جدا ، هل يجب الاستيطان الفعلى فى فلسطين الاولوية على المفاوضات السياسية من أجل الاستقلال ؟ ما الذى ينبغى أن تكون عليه طبيعة وشخصية الدولة اليهودية التى ستحقق يوما ؟ بل انه فى أول أيام عمل المنظمة ثار داخلها نقاش مرير حول ما اذا كان من الواجب قبول ما يبدو أنه عرض من الحكومة البريطانية لإنشاء دولة يهودية فى أوقندا . وثبما لطوائفهم فقد فضل الكثيرون من اليهود الغربيين هو " هرتزل " نفسه من بينهم ، فعرض

أوقندا هذا ، حيث أن السلامة العادية كانت مفهومهم الأساسي للمشكلة اليهودية \* . أما مندوبو أوروبا الشرقية الذين كانوا يعتقدون أن القضية اليهودية تتساوى مع ذلك في الأهمية ، فقد تمكنوا بإصرار بأن فلسطين فقط يمكن أن تكون مكان الخلاص ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يواجهون أشد المخاطر العادية .

وباستثناء مسألة أوقندا القصيرة الأمد فقد ساد الاتفاق على أن هدف المنظمة هو العمل على إيجاد وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين . ويعزو الوقت فسر هذا الهدف على أنه يقتضى ، فعلا ، تصديق بسماندة الاستيطان اليهودي في فلسطين ، والسعى للسماح للمجتمع اليهودي النامي هناك بقسط من الحكم الذاتي \* . وقد كان الجدل حول الاستراتيجية <sup>(١٠)</sup> والتكتيك حاصي الوطنيين ، ولكن الاتفاق الأساسي كان في نفس الوقت قويا .

وبعد زمن ، وإن دلال عشرات السنين ، أصبحت المنظمة الصهيونية بمثابة " القابلة التي أولدت " دولة إسرائيل ، فلولوا المساندة والتشجيع اللذين منحتهما إلى أيمد حدد لمستوطنى فلسطين لكان من المحتمل ألا يصير ذلك الخيط الرفيع من المهاجرين الذى بدأ في أواخر القرن التاسع عشر سبيلا قويا متدفقا في الأعوام التالية لمولد الدولة . وفي نفس الوقت جعلت مجهودات المنظمة السياسية منها شيئا أكثر من مجرد هبة خيرية أخرى ، فقد كانت مصدرا أساسيا للمعززة والنفساط والأيديولوجية والسروح المبتوية ففقدت كانت حكمتها . - أو على الأقل حكمة بعض أعضائها - تركت في يدهم بأنفسهم الأمر الواقع من الاستيطان المتصع الناجح فوق أرض فلسطين ، لن تشر أبدا

المفاوضات السياسية من أجل الاستقلال ، في حين كان العبرود السياسيين  
نفسه ، في نفس الوقت ، يشجع الاستيطان ومنع المجتمع الوليد في فلسطين  
مكانة وأمل .

ان دولة اسرائيل تدين بأكثر من تأسيسها للمنظمة الصهيونية ، فقد  
بدأ الكثيرين من زعمائها السياسيين حياتهم العملية بالعمل في واحد أو آخر  
من الأحزاب المعشلة في المنظمة ، كما أن عددا من المؤسسات التي بدأتها  
مازال قائما الى اليوم ، وربما كان أبرزها الصندوق القومي اليهودي ، الذي  
أمكن من طريقه شراء الاراضي في فلسطين واستصلاحها لصالح الشعب اليهودي  
ككل .

كذلك تنبثق أكثر تقاليد اسرائيل السياسية من عهد الصهيونية السابق  
لابناء الدولة .

وهكذا نجد أن أبرز الأنماط السياسية لاسرائيل — وهو نظام الانتخابات  
البرلمانية حسب التمثيل النسبي لقوائم الأحزاب — ما هو الا امتداد مباشر  
للحزبية التعصبية التي كانت تكتنف المنظمة الصهيونية . كذلك فان الميل اليس  
المجاهلات الايديولوجية المطولة يستمد جذوره من فترة لم تكن فيها المنظمة  
نفسها ، في داخلها ، تهتم بشيء آخر المهم الا القليل . وكما هي الحال مع  
الكثير من الحركات الثورية ، فان فترات الركود بين فترات العمل والنشاط  
المتفرقة كانت تشغل بالمجاهلات الدينية المذهبية الحامية — ذلك —  
الانشغال بالأخريات ( كالبحث والحساب ) هو دائما أفضل وسيلة لتشتيت  
أوقات أناس مكتوفين الايدي .

والآن ، يجب أن نحول اهتمامنا الى التلوات داخل فلسطين ،  
نفضلا عن هـم أهمية المفاوضات السياسية الخارجية بالنسبة للتفاح من أجل  
الاستقلال فانها تشكل فصلا من تاريخ اسرائيل السياسي سبق سرده سردها  
وانيا في مجال آخر (١١) . ومع ذلك فلا يمكننا افعال اعطاء صورة مختصرة  
اليشوف ( yishuv ) ، وهو الاسم الذي أطلق على المجتمع  
اليهودي في فلسطين خلال فترة ما قبل الاستقلال ، وخاصة وأن بقا ثقافته  
السياسية حية يشل احدى مشاكل اسرائيل الكبرى اليوم .

### المهود ( Aliyah ) الاول ( الهجرة الاولى )

ان أفضل طريقة لسرد قصة اليشوف هي وصف " الما ليت " ، أو موجات  
الهجرة التي استوعبها اليشوف . استمرت الموجة الاولى من عام ١٨٨٢ الى  
عام ١٩٠٣ ، وهي فترة لم تكن فلسطين فيها بيئة مشجعة بأية حال ، وبالرغم  
من ذلك فقد " محمد " اليها خلال تلك الاثنتين والعشرين سنة حوالي  
خمس وعشرين ألف يهودي ضد معادتهم من أهوا الشريرة . ولم يكن لهؤلاء  
المستوطنين الجدد تأثير اذ هو على بيئتهم الموحدة ، ولكنهم قد يوصلون  
بعد مرور السنين ، بأنهم كانوا الرواد الأوائل ، ويملكون حزم من التقدير  
لتضحياتهم النازفة الممهدة للمجهودات التالية . أما في أيامهم فقد بسيت  
انجازاتهم تافهة غير مجدية ، فقد تبخر حماسهم الأول بسرعة بسبب التسرف  
التي قابلتهم ، وسبب عدم خبرتهم بالزراعة ، فتحول معادهم الى حمية  
أقرب الى حياة المستعمرين منها الى حياة الرواد . ومع بداية عام ١٩٠٠ لم  
يكن بالترى القليلة التي أسسوها سوى ٤٧٣ عاملا يهوديا (١٢) ، فقد تحول

آلاف اليهود الآخرين إلى العمل في المدن ، أو أصبحوا من أصحاب المزارع  
يشتغلون اليد العاملة الصربية ، أو - في حالات غير قليلة - هادوا إلى  
روسيا .

### الموجة الثانية للهجرة :

خلال السنوات المشار إلى استغرقتها موجة الهجرة الثانية -  
( ١٩٠٤ - ١٩١٣ ) ، وصل إلى فلسطين حوالي أربعين ألف مهاجر  
يهودي جديد ، وهذا معدل يزيد من ضعف معدل الموجة الأولى . ( ان  
الخمس والستين ألف مهاجر في الموجتين الأولى والثانية ليسوا سوى جزء صغير  
جدا بالنسبة لأكثر من مليونين ونصف مليون يهودي تركوا أوروبا الشرقية السوفيتية  
الخراب بين عامي ١٨٨٢ و ١٩١٤ ) . وقد تكونت كلتا الموجتين للهجرة  
أساسا من المهاجرين القادمين من روسيا ، ولكنهما اختلفتا في جوهرهما ،  
فموجة الهجرة الثانية تستوجب منا اهتماما خاصا بسبب دورها الحاسم في تشكيل  
شخصية " اليبوشوف " .

هناك ثلاثة عوامل تسبب الاختلاف بين الهجرتين الأولى والثانية :  
الأول أن أفراد موجة الهجرة الثانية تأثروا تأثرا شديدا بالأيديولوجيات  
الاشتراكية الثامية في ذلك الوقت ، فكان تصورهم لأنفسهم كشخصيات مرتبطة  
من روايات تولستوي تدعو إلى حياة جديدة رومانسية أقل من تصورهم لأنفسهم  
كدعاة لنظام اشتراكي جديد ، وقد ميزهم عن غالبية معاصريهم في روسيا  
أنهم كانوا على استعداد لتضحية الأيديولوجية الاشتراكية التقليدية بأجسادهم



تومس ، وهو الاتجاه الذي تنكره الاشتراكية التقليدية صراحة .  
والمامل الثاني أن وفودهم الى فلسطين كان بعد تكوين المنظمة الصهيونية ،  
وبعد موجة الهجرة الأولى ، وبالتالي كان وضعهم يؤهلهم لاستعداد  
مفونة مادية ونفسية أكبر نوعا من سابقهم ، كما أن ذلك يعنى أن مكونات المجتمع  
كانت موجودة فعلا ، وأن مشاكل التثقيف المبكر قد تم حلها جزئيا ، وأن أمامهم  
مجموعة من السوابق والتجارب والأفكار المتعلقة بحل المشاكل المتنازع مواجهتها  
لم تتوافر لأفراد الهجرة الأولى . والمامل الثالث والأخير أن الأعداد القادمة  
مع الموجة الثانية كانت من الصخامة بحيث خففت من تلك الميزة القاتلة للترحيل  
الممنوعة .

ولم تحسن الظروف الطبيعية عند عدم الموجة الثانية من المهاجرين .  
أما انقطاع اليهودي للاقتصاد فكان يتركز أساسا على الأيدي العاملة العربية .  
وكما حدث لمن سبقهم فإن الكثيرين من المهاجرين الجدد انتظموا داخل  
الاطار الاجتماعي القائم ، ولكن أقلية مميزة تدفعها ايديولوجية الاشتراكية  
الصهيونية حاوت الانفصال لها صورة أعضاءها كواقع غير ملمس ، وكذلك أصروا  
على أن عودة الحياة اليهودية الى فلسطين تتطلب أكثر من مجرد الوجود  
المادى لليهود في البلد ، فهي تتطلب بذل الجهد لانتاج أصحاب الأوصال  
اليهود ، وبالأخص في قطاع الزراعة ، باستخدام الأيدي العاملة اليهودية  
لتكوين طبقة عاملة وديقة من الفلاحين ، كما تتطلب من اليهود أن يتولوا مسئولية  
الدفاع عن مستوطناتهم بأنفسهم بدلا من استئجار الحراس من العرب حتى  
يوضح مجتمعهم مستعدا على نفسه معتدا بذاته ، وكذلك لا يمكن تجاه النهضة

اليهودية الا على احياء المبرية كلفة قومية مشوكة بين المستوطنين اليهود .

ولم يكن فرض أى من هذه المتطلبات بالأمر اليسير ، فقد قامت اعتراضات على استخدام الأيدي العاملة اليهودية بسبب ما يصنيه ذلك من أجر مرتفعة هائلة على عدم خبرة الفلاحين المنتظرين ، كما أن عدم الثقة بتدو اليهود على حقل النظام ، والجموية الجمدة فى التحدث بلفة ليست لغة أصلية الا بالنسبة الى القليلون جدا ( اللغة المبرية ) ، فضلا من افتقارها الى الكثير من مميزات اللغة المادية — كل ذلك شكل عقبات خطيرة فى سبيل جعل هذه المتطلبات . ومع ذلك فقد تحقق كل منها بمساعدة ايديولوجية محكمة مدروسة .

لقد استحدثت موجة الهجرة الثانية الجديدة ، حيث واجهت العقبات الخطيرة . وهكذا كان تكوين الكيبوتز ( أو المستعمرات الجماعية ) أكثر ابتكارات اسرائيل الاجتماعية تطرفا ، كما كان يلقي معارضة من أول مبادئ الايديولوجية الماركسية ، فقد تكون كرد فعل لعدم كفاية فرض العمل فى مجال الزراعة التقليدية . وفى حالة سافد ، بدأ يتقرب من سجين مستوطنا فى بناء مدينة تل أبيب بالقرب من ميناء حيفا حيث لم يتوافر لهم العمل أو السكن بسهولة ، ولم تكن تل أبيب فى ذلك الوقت سوى روضة ممتدة قاحلة من الكثبان الرملية . وهكذا ، وبهذا ، بدأ ظهور احسان بالمجتمع وبدأت الدوافع القومية فى الظهور .

الموجة الثالثة : بوصول الموجة الثالثة من المهاجرين ( وقد بلغ عدد أفرادها حوالي خمسة وثلاثين ألفا بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٢ ) اكتسب قذراع الرواد في مجتمع اليبشوف تمزيقا جوهريا . وقد كان أغلب رجال ونساء الموجة الثالثة مكسبا بقمهم من المهاجرين الروس الموزين ، ولكن الكثيرين منهم كانوا قد ضلوا لأنفسهم جذورا قوية في الحركة الصهيونية فبطل وصولهم ، كما أن بعضهم كان قد تلقى بعض التدريب المميز في الزراعة . وهكذا لم يجد للواقع الفلسطيني سابق عروبه . كما أصبح الواسدون الجدد على خير استعداد لمواجهة ، وبذلك تبلوروا مع أصنافهم القديس كانوا قد اكتسبوا بعض الخبرة في ذلك الوقت ، فتوسعوا في مد المستوطنات الأولى على نمط الكيبوتز ، كما وضعوا أسسا جديدة في عدة نواح فافتتحت المدارس من مرحلة الحضانة إلى الجامعة ، وأنشئ المستودعات ، وهو احتصاد العمال الرئيسي في إسرائيل . كما اختبرت لرائق جديدة للتعليم الزراعي ، وهذا ما وضع إمكان تنفيذ الاستيطان الفعلي الناجح بحيث يطر بدايات تافهة اقتصادية لمجتمع اليبشوف العام ، بدلة الاهتمام بالاتجاه إلى تكوين تشابك للحكم الذاتي الكيبوتز . وإلى حد ما اعتبرت هذه التشابك كصهيون للاستقلال ، وكذلك اعتبرت ، إلى حد ما ، كرد فعل لفشل السلطة الحاكمة في توفير الخدمات الاجتماعية والتخطيط المركزي ، كما أنها نتجت بالطبيعة من الوضع الايديولوجي لمجتمع اليبشوف ، حيث أن الجماعات التي تكونت كانت مبنية على أساس قوي في الأصل .

لم يكن كل أولئك المهاجرين ، أو حتى أغلبهم ، القادمين ابتداء من عام ١٨٨٢ والأعوام التالية من ذوي الاتجاهات الايديولوجية ، فليس

يُستجيب أغلبهم لنداءات العمل الرائدة وإعادة البناء الشخصي . وبالرغم من ذلك ، فإن الأتلية هي التي أهتمت بتعاسكها ونشاطها لونا للمجتمع النامي وأثبتت على البلاد ما بها عند في وجه تغييرات جذرية في جميع الجهات شريها . لقد تمكن الرواد من التيام بهذا العمل ، لاسبب حماسهم فقط ، ولكن لأنهم كانوا يحملون داخل نوع من الفراغ الاجتماعي ، فقد كسان هناك انتقار كامل لأي تنافس ، وأضح حول النفوذ الثقافي ، حيث أن الموائق التقليدية التي يتمين على الحركات الثورية سواعها ومكانتها - من صلات القربة المتولدة ، والطبقية ، والارتباطات الماطفية في أماكن ومناطق معينة - لم تكن موجودة أصلا (١٣) .

وقد يبدو من الشريب وصف الصهاينة الاشتراكيين بأنهم ثوريون ، إذ لم يكن هناك ، في ذلك الوقت على الأقل ، أي نظام حكم قائم يمكنهم المضي نسي الاطاحة به ومع ذلك فقد اعتبروا أنفسهم ثوارا - ثورتهم ضد تقاليد وسلوك يهود " الدياسبورا " ( الغنى ) ، كما أنها ضد تقاليد وسلوك المجتمع اليهودي القديم في فلسطين . كذلك لم يندلوا الى أنفسهم كمهاجرين أو مستعمرين ولكن كرواد يصفون على قطع كل صلة لهم بالماضي قاطما جذريا . وبالرغم من اعتقادهم بأن الاستقلال السياسي خطوة ضرورية في سبيل تأسيس نظام جديد ، كان جل اهتمامهم موجها الى المجتمع وليس الى السياسة ، فقد كانوا في طريق خلق مجتمع من نوع جديد وليس ودولة جديدة نصيب ، وكان أملهم في مجتمع يعتمد على ذاته ويرتكز على المشاريع التعاونية والطوعية الاختيارية . كذلك كانوا على وعي كامل وقوي غوي بأن مثل هذا المجتمع سوف يأخذ المطالسة

بالاستقلال السياسى ، ما أخذ أكثر جذبية من أمة من " رجال الجو " .

وفى تلك الأثناء ، أصبحت التطورات السياسية خارج فلسطين أكثر تشجيعا ، وفى سنة ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور الذى صوّت فيه من تحييدها " لتأسيس وطن قومي للشعب اليهودى فى فلسطين " (١٤) .  
وهذا ما تمت عملية الامبراطورية العثمانية بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وأعطيت بريطانيا سلطة الانتداب على فلسطين من قبل عصبة الأمم . لتتصّب وعد بلفور على الفور أهمية عالمى فعلى مرّ السنين صار حجر الزاوية للحجّة شبه القانونية والمعنوية للحركة الصهيونية .

وبالمعنى من ذلك ، وفى خلال نهاية موجة الهجرة الثالثة ، كان مجتمع الميشوف لا يزال يهدو وكأنه مشروع وفق سريع الزوال ، فقد كان تعداد خمسة وثمانين ألف نسمة ، أى أقل من ١ % من تعداد يهود العالم ، وأقل من ١١ % فقط من تعداد السكان فى فلسطين . كذلك قلّ تأييد بريطانيا السياسى له . عندما تولّت مهام الانتداب من عصبة الأمم ، فحاولت شقّ طريق آمن بـمـيز المطامح الصهيونية ومعارضة العرب المتزايدة لهذه المطامح . ولم تكن قسوة احتمال الاستعدادات فى المؤسسات اليهودية الأولى قد تبينّت بعد ، كما أنه لم يكن من المؤكد أن مثل هذه المؤسسات ستكون كافية فى حالة بدء الهجرة الجماعية إذ لم يكن من السهل توفير رؤوس الأموال المستثمرة كما أن أصحاب القدرة على استثمار الأموال لم تشجعهم نذر الاضطراب السياسى فى المستقبل وضعية تصحر اقتصاد مبنى على العمالة اليهودية . ولقد اجتذبت الدعوة الراديكالية

للمسيحية الاشراقية أعداداً ضخمة من الشباب المهاجرين من روسيا ، ولكنها حتى ذلك الوقت فشلت في إيجاد أى استجابة ملموسة بين اليهود الأكبر سناً من الدول الأخرى ، وهم أصحاب المهارات المهنية والتكنولوجية ، وربما أيضاً النفوذ الذى يساعد على الاستقرار وتثبيت الأوضاع ، مما ستظهر الحاجة إليها جميعاً ، طال الوقت أو غير . وهكذا ، وحتى سنة ١٩٢٢ لم يكن التأكيد من احتمال حكم ذاتى يهودى ممكناً ، وهذا بصرف النظر عن قرب قيامه . وأخيراً ، تطورت الأمور بحيث أصبح الحكم الذاتى المستقل مقيداً وحدوداً على أية حال ، فقد قامت بريطانيا ضد توليها سلطة الانتداب بتقسيم فلسطين الى قطاعين اذاريين يفصلهما نهر الاردن . وبذلك ذلك الوقت كان القطاع الغربى فحسب هو الذى يعرف باسم فلسطين .

وقد انتعشت الجهودات المسيحية على ذلك القطاع ( كذلك سوف نرى أنه بعد مرور سنوات أصبح تقسيم فلسطين هذا نقطة هامة في المخطط السياسى لأحد الأحزاب السياسية الرئيسية في اسرائيل ) .

الهجرة الرابعة : قدمت موجة الهجرة الرابعة بين عامى ١٩٢٣ ، ١٩٢٥ التى ، الكثير فى سبيل تدعيم أسس مجتمع الميثاق ، فقد كانت أعدادها أكبر من موجات الهجرة السابقة ، إذ بلغت حوالى ستين ألفاً من المهاجرين ، ولكنها - على خلاف ما يفتاتها - تركزت فى الغالب من مهاجرى الطبقة المتوسطة البولنديين ، وقد انجذب معظم هؤلاء الى المناطق الحضرية النامية فى فلسطين حيث كان ٢٥ ٪ من السكان اليهود يقيمون بالفعل ، وبسبب غناهم النسبى فانهم لم يحتفظوا بقدرة البلاد على استيعاب المواطنين كما كان متوقفاً

في خير هذه الحالة ، بل انهم - على العكس من ذلك - قدموا خميرة نافعة من " النفسية " للمجتمع الوليد .

وبالرغم من أن موجات الهجرة الأربع الأولى قد أسفرت عن زيادة تليغ ٦٠٠ % في حجم اليبشوف ، إلا أن مدى سرعة تدفق الهجرة كان مغيبا لأمال الحركة الصهيونية ، فمن بين عدة ملايين من اليهود ممن تركوا بلادهم الأصلية بين عامي ١٨٢٢ و ١٩٣٢ وفد إلى فلسطين أقل من مائتي ألف منهم فقط . وقد خاب الأمل في أن يجعل هل المستوطنين الأوائل البلاد أكثر جاذبية من الولايات المتحدة بالنسبة لجموع المهاجرين . وبالرغم من تأسيس نظام اليهود في جميع أنحاء العالم للحركة الصهيونية فإن القليلين منهم كانوا على استعداد لاتخاذ خطوة " الهجرة " الحاسمة . ولذلك فعند نهاية موجة الهجرة الرابعة التي أطلقتها التغيرات التخريبية في السياسة البولندية وسياسة الولايات المتحدة الجديدة لتقييد الهجرة إليها ، قلت الهجرة هوما بشكل ظاهر . كذلك فانه بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ترك فلسطين بالقصير عدد من اليهود أكبر من عدد القادمين إليها . وعلى الرغم من أنه كان هناك ما يميل إلى الرضا ازاء ما يحرزه اليبشوف من تقدم كبير ، فقد كان هناك أيضا قلق متزايد من أن خيبة الأمل من حيث الكم قد تكون والا فلسفي الدعوة الصهيونية . وبحلول عام ١٩٣٢ كان ١٧ % فقط من تعداد سكان فلسطين من اليهود ، ولم يكن ذلك نذيرا خيرا بالنسبة للحكم الذاتي المستقل المأمول ، فحسب ، بل انه كذلك قد أثار تساؤلات خطيرة بالنسبة للافتراضات الأساسية للايديولوجيات الصهيونية .

الموجة الخامسة : لقد بدأت تلك القلق تلك الزيادة الحادة نفسى سرعة الهجرة بين عامى ١٩٣٢ و ١٩٣٩ ، وفى سنوات موجة الهجرة الخامسة . وقد كانت تلك سنوات الحزن والكرب فى أوروبا كما ظلت أبواب أمريكا محكمة الاغلاق تماما حتى سنة ١٩٣٩ على الأكل . ونتيجة لذلك ، وقد الى امريكى مائتان وخمسة وعشرين ألف مهاجر خلال تلك الفترة ، ولأول مرة يتدفق سبيل بعارف من وسط أوروبا يشمل الكثير من المهنين . ولذلك ، فمنذ نهاية تلك الفترة ، اقترب مجتمع اليشوف من رقم النصف مليون وشكل حوالى ٣٠ % ممن تعداد السكان .

وكان تعداد سكان تل أبيب يقارب الالفين ، فى حين بلغ تعدادهما تبيل نشوب الحرب العالمية الثانية مائة وخمسين ألفا . أما مدينة القدس فلم يكن بها سوى عدد يقل عن المئتين ألف يهودى فى سنة ١٩١٩ ولكن تعدادها من اليهود ازداد الى تسعين ألفا فى سنة ١٩٣٩ ، وخلال تلك الفترة أيضا تضاف سكان مدينة حيفا من اليهود الى ستة أضعاف فوصل الى ستين ألف يهودى عند نهاية فترة الهجرة الخامسة . وهكذا انتظم حوالى أربعين ألف تلميذ فى مدارس اليشوف ، وفى كنهال اقتصادى شريفا بدأت الفلك من المنظمات التعاونية فى العمل تحت رعاية المستاد روت ، أو منظمة اتحاد العمال بمجتمع اليشوف التى أسست كذلك جهازا شاملا للصحة العمومية . كذلك أصبحت الوكالة اليهودية جهازا شبه حكوى بمقد أن كلفت من قبل الانتداب بالتشاور والتعاون مع الادارة فى تخطيط فى الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من الامور التى تتعلق بإنشاء " الوطن القومى اليهودى " ، كما أصبحت لها سلطة واسعة فى الأمور المتعلقة باليشوف وأجبرها



المتولدتين مشكلة شرعية لهم .

وهنا أصبح من الواضح لأول مرة أن الـ **البيشوف** نفسه أصبح قوة لها اعتبارها ، فبعد أن تماماً من قوة المنظمة الصهيونية المالية أو جازيبيسة الايديولوجية الصهيونية ، أصبح الآن في فلسطين مجتمع كبير قائم بذاته له من القوة ما يكفي لخلق مطالبه واستراتيجياته الخاصة ، ولم يعد بإمكان الدبلوماسيين أن يتجادلوا وجوده ، أو بإمكان زعماء الصهيونية الأجانب أن يدعوا أنهم يفضلونه حق التشيل .

وهكذا انتقلت زعامة الحركة الصهيونية بشكل قاطع الى فلسطين حيث رسخت جذور ايديولوجية الاستقلال . وقد مال بعض السهيامة من الاجانب الى الاخذ بصيغة " بالفور " ، أي " انشاء " وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين " ، وهذه الصيغة تمنح بعض أقل من الاستقلال ، كما أنها تنفق ونظرة يهود العرب الى فلسطين كما هي ولان ، ولم يكن ذلك بالقبول لأكرية مجتمع الـ **البيشوف** نفسه ، الذي كانت ايديولوجية " النهضة " توجهه . وقد تمكن الـ **البيشوف** - بسبب حجمه وقوة مؤسساته - من التعبير عن نفسه وكأن مطالبه انشاء كومنولث يهودي مستقل في فلسطين .

نحو الاستقلال : وكما ازدادت قوة الـ **البيشوف** ، كذلك ازدادت ممارسة العرب لأي استيطان يهودي جديد ، فقد كان للفالامية السائدة من السكان العرب تطلعاتهم التوسعية الخاصة ، وقد وجدوا في المجتمع اليهودي التامى خطراً على هذه التطلعات . وبالرغم من أن عروضة الاستقلال المزينة

واليهودية على السواء قد شملت ضمانات لحقوق الأقليات، إلا أنه لم يكن مسن  
المتوقع أبدا أن تصبح مثل هذه المرونة بديلا مجديا من تقرير المجتمع لمصيره .  
وقد شجع تقدم الدول العربية المجاورة نحو الاستقلال قومية عرب فلسطين  
كما أنهم كانوا على وعي بالأهمية الاستراتيجية والسياسية لتمازج العرب  
بالنسبة لدول الخريف ، وخصوصا بالنسبة لبريطانيا العظمى ولفرنسا . وفي نفس  
الوقت ، يبدو من المحتمل أيضا أن نجاح المجتمع اليهودي قد أثار حقد هسم ،  
ففي كل مجال اقتصادي بما في ذلك مجال الزراعة — كما في المحيط  
السياسي والتحليقي والحياة الثقافية للمجتمع ، كان اليبشوف قد جاوز بكثير  
المستويات السائدة بين الناحية العربية .

وبالرغم من وجود مجالات شاع فيها التمازج بين اليهود والعرب ،  
إلا أن اليبشوف واجه عدة اضطرابات عربية شاملة ، أبرزها وقع سنة ١٩٢٩ . وكذلك  
سنة ١٩٣٦ . ولم يكن اشتعال هذه الاضطرابات نتيجة للشعور القوي الحق  
بين الفلاحين العرب بقدر ما كان نتيجة لحسابات المجلس الاسلامي الاعلى  
الاستراتيجية ، يجهها عدد من أكبر ملاك الأرض من العرب (١٥) ممن كانوا  
على اقتناع بأن في استطاعتهم سلوك نفس الطريق الذي سار فيه عرب العراق  
ولبنان وسوريا ، ففي كل مرة تمكن هؤلاء من الحصول على تنازلات مسن  
السلطات البريطانية أو الفرنسية من طريق إثارة الاضطرابات المدنية ، وقد كانوا  
يأملون أن يجبروا بريطانيا على إعادة النظر في أمر تصديدها بإنشاء وطن قومي  
 لليهود عن طريق إعلانهم أن المنف يمكن نتيجته الحتمية .

وبالفعل لقد تدهمت بريطانيا بشأن الحكم الذاتي اليهودي ، وكان ذلك نتيجة للاضطرابات من ناحية ، وبسبب الموقع الاستراتيجي للشرق الاوسط في حالة نشوب الحرب المالمعة الثانية المحتملة . وليس من السهل تصور سلوك بريطانيا أثناء الانتداب فما زالت كتابة تاريخ كامل محدد لتلك الفترة مطلوبة ، ولكن كان من الواضح أن بريطانيا لم تكن تشمر بالارتياح تجاه ما كان يتطور بسرعة ليصبح " المشكلة الفلسطينية " . كما أنها قامت بمسدة محاولات للحد من نمو الليكشوف بغرض التقييد على شراء الاراضي والهجرة على السواء . وكذلك عارضت استخدام قواتها الخاصة لحفظ السلام خلال نفقات المئذ ، ولكنها عارضت في نفس الوقت السلاح لليكشوف بتكوين تنظيم الدافاي الخاص . وفي سنة ١٩٣٧ أوصت اللجنة الملكية البريطانية الخاصة ( لجنة بيل ) بتقسيم فلسطين الى دولتين منفصلتين : دولة عربية وأخرى يهودية . وبحلول عام ١٩٣٩ ، بالرغم من قبول المنظمة الصهيونية لفكرة التقسيم بمسند جدال مرير وتحفظات أساسية ، تم سحب الاقتراح وابداله بكتاب أبيض . لم يكن اقتراحا هذه المرة ، ولكنه كان بمثابة بيان عن السياسة بعدد حُرث اتفاقية ميونيخ شمرت بريطانيا بحتمة نشوب الحرب المالمعة وقررت اكتمال ثقة الصويين . ولقد وضع الكتاب الابيض حدا أعلى لهجرة اليهود الى فلسطين خلال السنوات الخمس التالية قدره شخص ومبشرين ألف يهودي . لايسمح بعده بمزيد من الهجرة الا باقرار من المبرر . كما حدد شراء اليهود للأراضي بخمسة في المائة فقط من مجموع الأراضي . أي في منطقة تركيز الاستيطان اليهودي . كما أعلن أيضا أن هدفه هو خلق فلسطين " عربية " مستقلة خلال ذلك المقدد من سنين الستين . " أنا سمعت الظرف " .

في سنة ١٩٣٩ لم يكن بإمكان أحد أن يتنبأ بالمأساة التي تنتظر  
يهود أوروبا خلال السنوات الست التالية ، ولكن كان واضحاً بالفعل أن  
سوف يكن على الـ"يهود" أن يتأهب لاستقبال أعداد هائلة من اللاجئين  
أثناء همد الحرب المتوقعة ، فلم تكن هناك دولة أخرى على استعداد لتوفير  
الملاجئ اللازمة ، وهذا يعرف الناس بفضل الصهيونية للهجرة إلى إسرائيل .  
وعلى هذا الأساس وحده ، عارض الـ"يهود" الكتاب الأبيض بمرارة ، كما عارضته  
المنظمة الصهيونية وقد حثت عدة جماعات يهودية سياسية المنف الفرص الفاتحة  
ولكن بعد أن كشفت الأمور تبين أنه ليس بإمكان الـ"يهود" أن يمارقوا بريطانيا  
أن أن مآزقته لبريطانيا كانت تمنى أرضها ألمانيا النازية ، وعندما انظر  
الـ"يهود" إلى الاختيار بين هذه الأعرب ، وهو الاستقلال ، وبين مسألة  
البقاء اليهودي الأبدى ، فلم يكن هناك مجال للتردد في التحالف مع  
العرب خلال فترة الحرب .

ولم يكن هناك شك في أن هذه الهدنة كانت نقطة نقطة ، فإن " الكتاب  
الأبيض " والحرب اتحدت في فوضى تخيلات أساسية في الاستراتيجية الصهيونية  
الصهيونية . وبما أن بريطانيا قد سمحت بالهجرة والتنمية الواسعة النطاق  
فإن عدم تحسبها للكفاح الصهيوني ، لم يكن بالمشكلة الأساسية ، وفي داخل  
المنظومة الصهيونية ، كانت المالية وعلى رأسها مثلاً الـ"يهود" سبعة بأن الواقع المطلق  
لوجود مجتمع يهودي خيري وحيوي داخل فلسطين سيكون أعظم تأثيراً وإيجابية الكفاح  
أجل الاستقلال من تصحيحات التعاطف والتأييد التي تكسبها المصروفات  
البلطجية ، جالرفهم الاستياء الشديد بسبب تفويض بريطانيا ، لا لتدابير هفوا

التفسير ليهيئة عمل المجهودات الصهيونية بشكل جيد ما إلى أن صدر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩. ومع ذلك ، فيصدر الكتاب الأبيض برز التساؤل حول مستقبل الييشفوف كله ، فقد كان تأجيل الاستقلال الذاتي إلى المستقبل البعيد من أجل التركيز على الهجرة والاستيطان فقط ، والوفاء بمل تحول إلى مجرد تجويد للييشفوف على مستوى سنة ١٩٣٩ بهذا آخر تماما .

لم عهد الحرب العالمية الا إلى تعزيز الموضع السياسي الجديد ، فلم يجد أي توسع منتظم يخل في مجتمع للييشفوف بالشئ الكافي حتى أن سمحت به بريطانيا ، فاما أن تسحب بريطانيا الكتاب الأبيض وتسمح بحول لم يسبق له مثيل من مهاجرة بعد الحرب ، واما أن يصبح للييشفوف أن يضرب على حقه في تقرير المصير . وقد بدا كل ذلك واضحا تماما حتى أمام صهيونيين الحرب الحذرين نوا ، ممن لم يأخذ الكثيرين منهم فكرة الدولة اليهودية بجدية تامة . وقد دلت أبواب فلسطين محكمة الاغلاق خلال سنوات الحرب وبالرغم من التشريد الجماعي لليهود أوروبا ، فقد استطاع خمسة وسبعون ألف يهودي فقط أن يدخلوا فلسطين وشهدت تلك السنوات أيضا تحول المهاجرين أو قوة الدفاع الرسمية للييشفوف من مجموعة سرية من المتطوعين لم يتدربوا الا على حرب العصابات ، إلى نواة جيش منظم . وبصرف النظر عن تلك الخطوة البارزة ، كانت تلك فترة من الكبت الشديد ، فان أكثر من ٨٠ ٪ من يهود فلسطين قدموا من أوروبا خلال الأربعين سنة السابقة ، ونصفهم تقريباً وقد منذ ١٩٣٢ . ولهذا فان مذابح اليهود في أوروبا كانت تمنى في كل حالة تقريباً ، فقد الآثاب والإعداء .

وهكذا مرت نقره من الزمن بدا خلالها أن صنوت الاعداء والتهميد  
قد تذهب سدى ، فهناك قدره متزايدة على الاستيحاء ، ولكن لم يمسس  
هناك أحد يستوجب ، وإذا خلت هناك بقية فقد توافرت أسباب الشك فيما إذا كانت  
الأوضاع السياسية بعد الحرب ستسمح لها باللجوء إلى فلسطين .

قبيل الاستقلال : لقد قتل ستة ملايين يهودى أثناء الحرب العالمية  
الثانية ، ومعونتهم تدد أهم احتياضى لتدهيم المخطط الصهيونى . أما يهود  
روسيا البالغ عددهم ٢.٠٠٠.٠٠٠ نسمة فمعها كانت درجة تعلقيهم وأر تباطهم  
بفلسطين فانهم لم يمنحوا الفرصة للتميز من مشاعرهم ، بصرف النظر عن أمر  
الهجرة ، وأما المجتمع اليهودى الأمريكى ، الذى أصبح فجأة أكبر المجتمعات  
اليهودية فى العالم ، فقد كان فى سبيل الاندماج السريع فى أسلوب الحياة  
الأمريكية . وقد تسبب أعداد صغيرة لنداء الصهيونية ، وقد تقدم أعداد  
كبيرة المساعدات العادية والمنوية ، ولكن أية هجرة واسعة النطاق السى  
لفلسطين لم تكن متوقعة من هذه الجهة . وهكذا بقى من نجا من عمليات  
الابادة فى أوروبا ، وحوالى مليون يهودى من كانوا يعيشون فى البلدان  
الآسيوية والأفريقية فى شمال أفريقيا والشرق الأوسط الاسلامى فى المغرب ،  
فإذا كان لمجتمع الميشوف أن يظل حيا فأولئك كانوا يمثلون موارده البشرية  
الحييدة .

فى تلك الأثناء ظلت المشاكل السياسية بدون حل ، فلم تكن حكومة  
العمال البريطانية التى تولت الحكم بعد الحرب أكثر استعدادا لتأييد

الاحتلال اليهودي في فلسطين من حكومة المحافظين التي سبقتها قبل الحرب . وازداد الحاج اليهود في طلب الهجرة الحرة ، وسبب رفض الحكومة البريطانية المستعمر للسماح للاجئين الأوروبيين بالانتماء في فلسطين قلة قليلة شبه كاملة بين اليسوف والسلطات البريطانية . وقد تمت الهجرة غير المشروعة على نطاق واسع ، كما أن هذه جماعات من بدأت القيام بأعمال تخريبية ضد الانجليز في أواخر عام ١٩٢٠ حاولت ممارسة نشاطها . ومن أبرز هذه الجماعات جماعة " الارجن زفاي ليس " ، وكانت استراتيجيتها هي فرض حل يجمع البريطانيين في وضع يصعب الدفاع عنه أو احتماله ، كما كان أملها أن يجمع ذلك العالم على الشعب اليهودي المضطهد هذا الحل في صالح اليسوف .

وعندما أصبح وضع بريطانيا صعب الاحتمال فعلا لأنها كانت تشمر بالحرج في العودة إلى مصيرك المشركين بالنسبة للمهاجرين المنتظرين من أوروبا ومواجهة معارضة العرب للدولة اليهودية ، إلى جانب المثل والغضب المتزايد من الادمال التعريبية فيها ، وتكاليف إقامة حامية من مائة ألف جندي بريطاني في فلسطين ، بالانتماء إلى تملك المنظمة الصهيونية وأوراقها على المطالبة برفع القيود من الهجرة . — فإزاء هذا كله ، أحالت بريطانيا مشكلة فلسطين إلى الأمم المتحدة .

وبعد عدة شهور من التحري ، أتمتحت لجنة خاصة من الأمم المتحدة انهاء الانتداب البريطاني ، وتقسيم فلسطين إلى دولتين ذاتي سيادة

أحداً من يهودية وأخرى عربية ، وقد رفض الحرب هذا الاقتراح بشدة وظف ، ولكن الييشوف قبله بالرغم من أن قديداً من شروطه كان يمثل تنازلات رئيسية ، مثل تدويل مدينة القدس ، ولكنه — مع ذلك — كان يمنح الييشوف حسداً أدنى من ضمانات السيادة التي تمكنه من القيام بأكثر واجباته الحاحاً ، وهو استيعاب اللاجئين الأوروبيين ، كما أنه كان يبدو واضحاً أنه أفضل ما يمكن الحصول عليه حينذاك .

وأصدرت الأمم المتحدة قرار التقسيم في التاسع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٧ بأغلبية ٣٣ صوتاً ضد ١٣ صوتاً ، وتلك تلك عدة شهور من الاضطرابات المامة شملت البلاد حيث أن بريطانيا رفضت توجيه مرحلة الانتقال إلى الاستقلال لكل من الدولتين الجديدتين ، كما تصاعدت الأفعال المدوانية العربية ، وقد أثار تلك الاضطرابات المشتعلة قلق المجتمع العالمي ، وبالأخص في الولايات المتحدة ، فبدأت إعادة التفكير بشأن قرار التقسيم ، ولكن الييشوف ، تحت زعامة دافيد بن جوريون ، لم يكن على استعداد لقبول أي مزيد من التأخير . وعندما سحب بريطانيا آخر حامياتها من فلسطين في شهر مايو سنة ١٩٤٨ ، بادرت الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية بإعلان الاستقلال ، وفي الرابع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ تم إعلان قيام دولة إسرائيل .

وهنا أصبحت الاضطرابات غير الرسمية حرباً رسمية بين العرب والدولة الجديدة ، وقامت جيوش الدول العربية المجاورة ، التي لم يكن ثقتها من ناحية الموارد البشرية والمعدات محلاً للجدل بمهاجمة إسرائيل ، وإن كان



أخلاق وفاعلية الجيوش العربية ، باستثناء الفيلق العربي الأردني ، موضعاً للشك . واستمرت الحرب إلى شهر مارس سنة ١٩٤٩ ، وانتهت بتسليم الأمم المتحدة . وإذا جاز أن نقول أن الحرب أصفوت من فوز أحد الطرفين فإن إسرائيل كانت هي المنتصرة في هذه الحالة ، فإن الدولة الجديدة لم تتمكن من منع أي اقتحام خطير للمناطق التي خصصها لها قرار التمشيم . فحسب ما نزل تحت تلك الحدود ووسعت مساحتها بزيادة حوالي الثلث على حساب دولة فلسطين العربية المقترضة ( ضم قطاع ما كان سيصبح فلسطين العربية إلى المملكة الأردنية ) ووضع جزء صغير منها ، وهو قطاع غزة ، تحت الإدارة العربية ) . ويتوقع اتفاقية للهدنة بين إسرائيل ومصر ، تليق اتفاقيات معاملة بين إسرائيل والدول المعادية الأخرى ، وانتهى ما تسمى إسرائيل بحرب الاستقلال ( ١٦ ) .

وهنا لا نجد داعياً للكلام بأسباب من أن العلاقات العربية الإسرائيلية لم تحرز ذرة من التقدم خلال السنوات التي تلت ذلك ، فأغلب حياة إسرائيل السياسية يستند طابعه من واقع المبدأ العربي المستحكم ، كما أن أكثر مواردها يخص لمواجهة ذلك العدو ، وهو في تناول دراسة هذه الصعوبة الدائمة فيما يجد . وحيث أننا قد قدمنا بطل دراستنا الوفي ووصفنا تاريخه ، فعلى الآن أن نحول إلى سياسته فيما الماضي الامتددة ، وتقديمه فقط .

أخيرا : هناك بعض الشك في أن تدعم المناقشة الى هذا الحد صورة ازداد شيوعها بعض الشيء ، وان كانت غريبة نوعا عن اسرائيل ، فيها نصبة لأناس كثيرين تمثل اسرائيل صورة شبه اصولية - سوريا لية لحالة نفسية أكثر منها شيئا هائلا رديها ، وحالة ذهنية أكثر منها دولة ، ربما لا تكون هذه النظرة بعيدة عن الحقيقة بصورة غريبة ، ولكن من الأفضل أن نقس في أذهاننا أن دولة اسرائيل المستقلة ، سواء كانت أقرب أو أبعد من الأسطورة أو المثل المنشود ، فانها - على أقل تقدير - شئ آخر الى جانب ذلك ، فجنودها يسرون على دقات طبول حقيقية ، ومدافعها تحدث جروحا قاتلة ، كما أن فيها بيوت ومدارس ومحطات للاداعة ومدافع وأضواء مرور وقاذورات ، ومعلبات وجارات وصلة وحلاتين ، وهي لتزكفيرا من الدول ، وربما كانت أكثر غريبة من أغلبها ، ولكنها أيضا بلد له قوانينه وسجنونه وشرطته ، وكل هذه الآخر من معدات ولوازم الدولة الملموسة ، ولكن يفهم المرء سياستها ، يجب عليه أن يتمرف أولا على جهازها هائلة على مزاجها ، وبالطبع فان التمسك السياسية تكن قصة التفاعل بين المزاج والأجهزة .

ومن المفيد لنا ، قبل أن نغنى عن الكلام عن ذلك ، أن نرسم ، ولو باختصار شديد ، القواعد الرسمية للعبة السياسية في اسرائيل : ذلك لأن على اللاميين ، الذين سيقدمهم الآن ، أن يسلوكوا دريقهم في حدود هذه القواعد . (١٧)

ان اسرائيل دولة ديمقراطية برلمانية ، وجهازها التشريعي الأساسي هو الكنيست ، وهو برلمان يتكمن من مائة وعشرين عضوا يتم انتخابهم مرة كسل

أربعة أموام على الأقل . والكثيـت يعتبر أقوى أجهزة الدولة السياسية  
رسميا . وليس لإسرائيل دستور مكتوب ، ولهذا فإن للكثيـت أن يصدر أى  
قانون يريد . وإذا كانت فائدة الدستور الأساسية هي ضمان حقوق الأقليات  
وحرية المعارضة ، فلهـى إسرائيل يـديل فعال ، إذ لم يحرز أى واحد من  
الأحزاب أغلبية مقاعد الكنيـت أبدا ، ولا يبدوا أن أيا منها سوف يتمكن من  
ذلك في المستقبل القريب على الأقل . وبدلا من ذلك ، فإن الكنيـت يضم  
مثليـن لتسعة أحزاب أو أكثر ، لا يسيطر أكبرها على أكثر من ٣٨ ٪ من المقاعد ،  
وحيث أن بقـة الحكومة يستلزم أن عـيدها أغلبية أعضاء الكنيـت ، فقد كانت كل  
حكومت إسرائيل ائتلافية ، وتضم على أساس تنازلات بين عدة أحزاب .

وهـما تظهر نتيجة الانتخابات يـدى زعيم أكثر الأحزاب أوصا لتأليف  
الحكومة وحيث أن هناك حزبا واحدا ، في الواقع ، كان دائما هو الأكبر ، وهـما  
أنه لا يمكن لأية مجموعة من الأحزاب أن تشكل حكومة ائتلافية قابلة للاستمرار  
دون ضم أكبر الأحزاب اليها ، فإن زعيم ذلك الحزب — وهو حزب " مايبى " ،  
هو الذى يجرى مفاوضات الائتلاف ، وهو الذى يـضح رئيسا للوزارة ، ويشاركه  
كأعضاء في الحكومة أعضاء آخرون من الحزب مع عدد من أعضاء الأحزاب الأخرى  
المختلفة مع المايبى . وقد اختلفت تلك الأحزاب المختلفة مع المايبى على مسـر  
السنون . وتعتبر عملية المفاوضات التى يتم اختيار هـذه الأحزاب للـوزارة  
بواسطتها ، والتنازلات التى يتضطلعها هـذا الاختيار ، من أغرب الظواهر  
في سياسة إسرائيل ، مما سنحدث هـه باقـضة فيما يـمد .

ولحزب المايبى أيضا كلمة مسموعة في كثير من المؤسسات شبه الحكومية  
وفـور الحكومية ، مثل الوكالة اليهودية ، التى تتولى معظم المشاكل المتعلقة  
بالهجرة ، والمستدزوت ، وهو اتحاد الممال الإسرائيلى القـملاق .

ولهذه الأسباب وغيرها ، يعتبر هذا الحزب أقوى التنظيمات في البلاد ، وبالرغم من ذلك ، فإن عدم حصوله أبداً على أغلبية مطلقة في الكنيست يحده من قوته بصورة أساسية . وبالرغم من أكثرية النسبة فإنه لا يستطيع البقاء بدون حلفائه ، وبالتالي بدون المساواة والتسوية .

وهناك ما هو أبرز من الأجهزة الحكومية المحددة ، وهو عدم وجود تحدٍ أساسي لسلطة الهيئات الحكومية منذ الاستقلال ، فالضرائب تحصل ، والقوانين تسود ، وأحكام المحاكم تنفذ طبقاً للقوانين ، وتجرى الانتخابات بدون مصائب أو مشاكل ، ويعتبر كل هذا بالنسبة لتجارب الكثير من الدول الجديدة خلال العقد ونصف العقد الماضيين ، وإنجازاً باهراً غير مبادئ . وما هو جديد بالذكر مما يتقابل ذلك أن تاريخ إسرائيل لم يخضع منذ البدايات بمشاكل النمو والاستقرار الاقتصادي التقليدية بحسب ، بل وبأخطار ومشاكل الأمن ومشاكل الهجرة الجماعية ، وهذا بالإضافة إلى عدد من الانقسامات الخطيرة داخل المجتمع الإسرائيلي كانت تتفاقم خلالها ينهبها . ومع وجود مثل هذه المشاكل التي من شأنها أن تحقق قدرات أكثر الحكومات تجربة واستقراراً ، كيف تسنى لإسرائيل أن تحقق ذلك النجاح الكبير ؟ كيف تفادت أهوال الشغب والتعمر ، والأزمات المتعلقة بالشرفية ، التي واجهتها كثير من الحكومات السبق لا تتقل كاهلها مثل هذه المشاكل الجسيمة ؟ وكيف أمكن لإسرائيل أن تحافظ على طابعها الديمقراطي الأصلي وسط كل هذه الأحداث ؟

إن الإجابات على هذه الأسئلة ستكون في الصفحات التالية ، وهذه الاجابات تعمم الفضل في ذلك كله إلى عملية التمهيد للحكم الذاتي المستقل الذي فرضته الحكومة الأولى المجتهدة أيام الانتداب ، وإلى الاستشارات الحكومية الدقيقة في التلميم وعلية التكييف الاجتماعية التي جعلت القواعد

أربعة أموام على الأقل . والكثيـف يعتبر أقوى أجهزة الدولة السياسية  
رسميا . وليس لإسرائيل دستور مكتوب ، ولهذا فإن للكثيـف أن يصدر أى  
قانون يريد . وإذا كانت فائدة الدستور الأساسية هي ضمان حقوق الأقليات  
وحرية الممارسة ، فلدى إسرائيل يـديل فعال ، إذ لم يحرز أى واحد من  
الأحزاب أغلبية مقاعد الكنيـت أبدا ، ولا يبدوا أن أيا منها سوف يتمكن من  
ذلك في المستقبل القريب على الأقل . وبدلا من ذلك ، فإن الكنيـت يضم  
مثليـن لتسعة أحزاب أو أكثر ، لا يسيطر أكبرها على أكثر من ٣٨ ٪ من المقاعد ،  
وحيث أن بقاء الحكومة يحتلزم أن يحدها أغلبية أعضاء الكنيـت ، فقد كانت كل  
حكومات إسرائيل ائتلافية ، تقوم على أساس تنازلات بين عدة أحزاب .

وهذا ما تظهر نتيجة الانتخابات يـدى زعيم أكثر الأحزاب أسوأ لتأليف  
الحكومة وحيث أن هناك حزبا واحدا ، في الواقع ، كان دائما هو الأكبر ، وهذا  
أنه لا يمكن لأية مجموعة من الأحزاب أن تشكل حكومة ائتلافية قابلة للاستمرار  
دون ضم أكبر الأحزاب إليها ، فإن زعيم ذلك الحزب — وهو حزب " ماهاي " ،  
هو الذي يجرى مفاوضات الائتلاف ، وهو الذي يـنح رئيسا للوزارة ، ويشاركه  
كأعضاء في الحكومة أعضاء آخرون من الحزب مع عدد من أعضاء الأحزاب الأخرى  
المؤتلفة مع الماهاي . وقد اختلفت تلك الأحزاب المؤتلفة مع الماهاي على مسـر  
السيـن . وتعتبر عملية المفاوضات التي يتم اختيار هذه الأحزاب للـوزارة  
بواسطتها ، والتنازلات التي يتخطها هذا الاختيار ، من أقرب الظواهر  
في سياسة إسرائيل ، مما سنتحدث عنه بإفاضة فيما بعد .

ولحزب الماهاي أيضا كلمة مسموعة في كثير من المؤسسات شبه الحكومية  
وغير الحكومية ، مثل الوكالة اليهودية التي تتولى معظم المشاكل المتعلقة  
بالمجرة ، والهستدروت ، وهو اتحاد العمال الإسرائيلي المنسق ،

ولهذه الأسباب وغيرها ، يعتبر هذا الحزب أقوى التمثيل في البلاد . وبالرغم من ذلك ، فإن عدم حصوله أبداً على أغلبية مطلقة في الكنيست يحد من قوته بصورة أساسية . وبالرغم من أكثرية التسمية فإنه لا يستطيع البقاء بدون حلفائه وبالتالي بدون المساومة والتسويات .

وهناك ما هو أبرز من الأجهزة الحكومية المحددة ، وهو عدم وجود تحدٍ أساسي لسلطة الهيئات الحكومية منذ الاستقلال ، فالخزائن تحصل ، والقوانين تصود ، وأحكام المحاكم تنفذ طبقاً للقوانين ، وتجرى الانتخابات بدون مصائب أو مشاكل ، ويمتلك هذا بالنسبة لتجارب الكثير من السدول الجديدة خلال العقد ونصف العقد الماضيين ، إنجازاً باهراً غير عادي . وما هو جديد بالذكر مما يثقل ذلك أن تاريخ إسرائيل لم يختم منذ البدايات بمشاكل النمو والاستقرار الاقتصادي التقليدية فحسب ، بل وبأخطار مشاكل الأمن ومشاكل الهجرة الجماعية ، وهذا بالإضافة إلى عدد من الانتصامات الخطيرة داخل المجتمع الإسرائيلي كانت تتطور حلاً ينهاها . ومع وجود مثل هذه المشاكل التي من شأنها أن تعوق قدرات أكثر الحكومات تجرية واستقراراً ، كيف تسنى لإسرائيل أن تحقق ذلك النجاح الكبير ؟ كيف تلاقت أهال الشعب والتمرد ، والأزمات المتعلقة بالشرعية ، والتي واجهتها كثير من الحكومات السبق لا تتقل كاهلها مثل هذه المشاكل الجسيمة ؟ وكيف أمكن لإسرائيل أن تحافظ على طابعها الديمقراطي الأصلي وسط كل هذه الأحداث ؟

إن الاجابات على هذه الأسئلة ستكون في الصفحات التالية ، وهذه الاجابات تمرر الفضل في ذلك كله إلى عملية التمهيد للحكم الذاتي المستقل الذي طرزه الحكومة الاولى المجتهدة أيام الانتداب ، وإلى الاستمرار الحكومية الفعالة في التعليم وعملية التكيف الاجتماعية التي جعلت القواصل

الاجتماعية أقل حدة ، وإلى ناعلمية الحكومة في معالجتها لمشاكلها المختلفة  
 وحاجة مشاكل الدفاع والتنمية وإلى الصفات الخاصة والتزامات الهجرة الثانية  
 التي وجه أمثالها مرحلة الانتقال ، وإلى التماسك التقى الذي قدمته  
 " يهودية " الدولة اليهودية ، وأخيراً إلى المشكلة الأساسية نفسها : خطر  
 الإبادة الذي ياهو بقسوة ، الأخطار الكامنة في عدم الاستقرار ، وأن هذه  
 الانجازات التي سوف نمانتناولها بالاقامة والمشرح ، تبلغ مجتمعة ، كسلا  
 أكبر بكثير من أجزاءه ، وأن لم يصبح ، بمبد ، كلاماً محضاً ضد الازمات الداخلية .  
 أن مستقبل اسرائيل كدولة ديمقراطية مستقرة يبشر بالخير ، وأن كان ذلك  
 غير مؤكد حتى الآن . وسننتقل الآن إلى الكلام عن مكونات ما يبشر بالخير ،  
 وكذلك عن عناصر الشك .

## الفصل الثانى

### الثقافة السياسية

ان دراسة السياسة تشير بالضرورة الى دراسة الثقافة السياسية ، أى كيف يفكر الناس ، وما هو مفهومهم بالنسبة للعالم السياسى ، وما هم اعتقاداتهم ، وما الذى يؤمنون به ، وكيف يتصرفون ، وكيف تتوزع كل هذه المعتقدات وطرائق السلوك والمظاهر بين المجموعات داخل المجتمع (١) ومن الواضح أن التفريق بين احدى الدول والأخرى على أساس الاختلافات بين ثقافتيهما السياسية أمر نافع ، ولكن من الواضح أيضا أنه كثيرا ما يكون مفهوم الثقافة السياسية مضللا بما يوجبه من قيم وقائد ومظاهر موحدة داخل أى بلد واحد .

وعلى سبيل المثال ، فاننا نستطيع بل ونبحث أن نتكلم عن ثقافة الولايات المتحدة السياسية وكأنها ليست فكرة تجريدية مائة فى المائة ، ولكننا لن نحرز الكثير من التقدم فى فهمنا بدون أن نكون على استعداد لتحليل هذا التجريد الكلى الى تجريدات أقل روعة ولكنها أكثر مرونة : الثقافة السياسية فى الشمال ، والثقافة السياسية فى الجنوب - فى المناطق الزراعية والمناطق الحضرية ، فى الطبقة الماملة والطبقة المتوسطة ، بين الزنوج والبيض ، بين اليهود والكاثوليك ، بين الرجال والنساء ، بين الشيخ والشمس ، وهكذا . وفى النهاية ، فان كل فرد فى حد ذاته يمثل ثقافة من نوع مما ولكننا لا نجد القدرة أو الحاجة لاختبار كل شجرة فى الغابة على حدة ، فانفسا نسمى لتصرف البسطين المهمة ، أى التجمعات البارزة سياسيا . ان الثقافة



الفرعية شىء. يجب بالنسبة لأى نظام سياسى ، كما أن لها أهمية خاصة بالنسبة للدولة الجديدة حيث يمكن أن تتهدد الشعور بالشخصية القومية التى لم يتم نموها بعد .

وليس من المحتم أن تكون الثقافة السياسية الفريدة مجموعة مكانية متميزة ترتبطها بعمقها بالهجرة روابط المنطقة أو روابط الأصول أو المركب الاجتماعى — الاقتصادى أو العنصرية أو أى متغير " جامد " آخر ، ولكنها قد تكون ايدولوجية أو حتى مزاجا يسود أجزاء من المجتمع دون غيرها . وبالرغم من أن الكثير من الاختلافات الايدولوجية يتبع فى المادة خطوط التركيب الاجتماعى ، إلا أنه ليس من الغريب أن نجد نتائج مختلفة للتوزيع الايدولوجى : نتائج تتبع البناء الاجتماعى المفروض بصورة غامضة لحسب .

إن كلا النوعين من الثقافة الفرعية له أهمية فى إسرائيل ، كما همى الحال بالنسبة للأفكار التى تتداخل فى كل المجموعات ، مكونة — إلى حد ما — ثقافة سياسية قومية .

وفى هذا الفصل من الكتاب سوف لا نهتد على الجانب السياسى ، بل سوف نركز على الجانب الذى يتعلق بالأمر من الناحية السياسية بين الواضح أن المجموعات والتجمعات التى نفحصها ذات صلة وثيقة بالثقافة السياسية . ومع ذلك ، فإننا نصور فيما يلى أهم الظواهر الاجتماعية الثقافية التى لها أهميتها الكبرى بالنسبة لسياسة إسرائيل ، ولكننا لن نصور السبل التى تجعلها هامة . وقد أجبنا المناقشة المفصلة للروابط بين المجتمع والسياسة ، أو حتى الميول السياسية لمتنوع المجموعات المذكورة فيما يلى ، وذلك حتى ندرس تماما هيكل إسرائيل السياسى وأسلحها :

## الشرق والغرب

مرت فترة من الزمن كانت الثقافة القومية النامية فيها أكثر ما يسترعى  
اهتمام الدارسين لاسرائيل ، واعتبرت الثقافات السياسية الغربية — ان كانت  
قد نوقشت أصلاً — أمراً غير مهمة ، وكان ذلك زمن اليشوف ، مجتمع ما قبل  
الاستقلال . بين عامي ١٨٨٢ و ١٩٤٨ كان تسعة من بين كل مائة  
مهاجرين الى فلسطين من القادمين من أوروبا ، وأكثر من نصف هؤلاء كانوا  
من روسيا وبولندا فقط ، أما أغلب اليهود من مواليد فلسطين فقد كانوا  
أولاداً أوروبيين .

وبالرغم من كثرة المتناقضات داخل مجتمع اليشوف ، فإن طابع الحياة  
الغالب عليه كان أوروبا بحرة واضحة ، كما أن الصهيونية الرائدة كانت هي  
الأيديولوجية السائدة . أما في التعليم والطابع ، وفي التنظيمات السياسية  
والعنصر الثقافي ، وفي الحياة الأسرية والاستهلاك ، فقد كانت التقاليد  
الغربية هي الأهم والأبرز ، وحيث نهت هذه التقاليد صراحة — كما حدث  
في حالة التأكيد على القيم الجماعية ، وعلى التعاون والتطوعية — فإن هذا  
النقد نفسه كان نابعاً من تجربة اليهود الأوروبيين ، فقد كانت الصهيونية  
نفسها أيديولوجية أوروبية بقدر ما هي يهودية ، وقد استمدت مضمونها  
اليهودي من تجربة اليهود في أوروبا .

لم يفهم كل فرد في مجتمع اليشوف أخلاقيات الزيادة ، كما لم يندمج  
كل فرد في نظرية الصهيونية ، فالأغلبية ونفت الى فلسطين لأسباب شخصية  
خاصة ، وعندما استقرت بها تأثرت حياتها الخاصة ، ولكن النخبة المناهضة  
في السياسة والثقافة والاتصال كانت بلا استثناء من الملتزمين بالصهيونية .

وبالرغم من وجود خلافات بين الصفوف الصهيونية فقد ساد شعور مشترك شديد القوة بأنهم يشكلون طليعة تطور تاريخي كبير . وفي الحقيقة ، لم يكن هناك أي ايدولوجية معارضة ذات بال ، أو أية منافسة حقيقية للصهيونية الأخلاقية العامة .

ولقد هلك الظروف التاريخية على شحنة وتدعيم التزام مجتمع اليشوف بالقيم التي أصبحت تنسب أساسا لموجة الهجرة الثانية . وقد جعل افعال بريطانيا من القضية الايدولوجية للمسئولية الشخصية ضرورة عملية ، أما الوضع في أوروبا فقد جعل من خلاص اليهود حاجة ملحة . وهكذا تحول ماكان من المحتمل أن يمر كأحدى تجارب التاريخ الحقيقية لخلق مجتمع مثالي الى رد فعل فلسفي لبيئة معادية . وقد كان رد الفعل مثيرا ، وأمكن تطبيق الايدولوجية فالتسبست بتطبيقها وفارستها احكاما وتوسعا ومثانة . وحتى قبل الوصول الى الاستقلال كان من الواضح أن اليشوف مشرّع ناجح ، ولا يهم أن هذا النجاح قد شمل بلاشك الكثير مما لا علاقة له بالايدولوجية الوسعية ، ولكن الايدولوجية أصبحت ضرورة حتمية . وأصبحت الصهيونية الرائدة ، بسمة انتشارها وتهجيل موعودها ، عقيدة عامة للجميع ، وإيمانا خاصا للكثيرين ، وامتدت جذور قواعد دعوتهما للمساواة والعمل ، وتحقيق الذات بالفتححية بالنفس ، والتوجه الجماعي بدلا من الفردي . وتلاشوا تدريجيا احساسها القديم بالحرمان والضياع والاستغلال ، والفرديية ، والقيم والسلوك اليهودي ، فلم يسبق لاستكمال الهمم اليهودي سوى الاستقلال المماسي ، ولكن ثبت أن الحصول على الاستقلال سنة ١٩٤٨ لم يكن بالخطوة الأخيرة في تحقيق مبادئ الصهيونية بقدر ماكان الخطوة الاولى في تحول جذري في مجتمع اليشوف - تحصيل في كل المجالات تقريبا . وإلى حد ما ، فقد كان سبب ذلك هو وضع الدولة

ذاتها ، فالمهام التي كانت تتجوز حتى قيام الدولة بروج المغامرة تم تسليمها للدولة حيث أصبح إنجازها أميل للرسمية والبيروقراطية . وحتى بالوفم من أنه لم يكن هناك تغير كبير في الموثقين في السنوات الأولى بعد الاستقلال ، فان مقاييس النجاح تحولت من الارتجال الخيالي الى معيولات أكثر تقليدية : الكفاية والتدريب ، فما كان مجرد ميليشيا أصبح جيشا نظاميا ، وما كان مجرد حرف اجتماعي أصبح التزاما قانونيا وما كان مجرد تجربة أصبح مؤسسة . وبسبب من الواضح أنه اذا كانت الصهيونية هي الايديولوجية الجذابة التي جلبت الآلاف من الناس من المبعثعات اليهودية التقليدية في أوروبا ، فان اسرائيل على أعتاب مرحلة تنحصر فيها الجاذبية روتينية ، ولو بالتدريج .

ومع ذلك فقد كانت الخطوة بين الروتينية والتحول الجذري واسعة ، ولم تكن حقيقة الاستقلال هي المسؤولة عن أبرز التحولات من طريق اليشموف . ومن المرجح أن الهجرة الجماعية كانت هي المسؤولة عن ذلك ، فخلال الستة والستون عاما من الاستقلال في فترة ما قبل الاستقلال وفد الى فلسطين حوالي خمسمائة ألف يهودي . وحتى خلال أكثر فترات الهجرة تركيزا ، بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٣٩ ، وفد مائتان وخمسون ألفا فقط ، ومع ذلك فبعد مرور ستة أشهر على الاستقلال وفد مائة ألف مهاجر خلال الشهور الثمانية عشر الأولى وثلاثمائة وأربعين ألفا عند نهاية عام ١٩٥١ ، أي حوالي سبعمائة ألف في عام عدد المهاجرين منذ سنة ١٩٤٨ حتى اليوم فقد تعدى المليون بكثير .

وحتى لو كان جميع القادمين الجدد أحياء وأثريه وقلة فان استنزافهم لموارد الدولة الجديدة لابد أن يكون مرثا ، ففي أحسن الأحوال كان وجود جهاز حكومي موسع ضروريا لحل مشاكل الاسكان والتعليم وتوفير فرص العمل

وفيرها من عشرات الآلاف من متطلبات الأعداد المزدخمة من الناس . وفي هذه الحالة كانت ظروف الهجرة الجماعية بعد ما تكون من أحسن الأحوال ، لأن التدفق القوي للأشخاص المشردين من أوروبا من الذين ظلوا على قيد الحياة بعد كارثة لا يمكن تصورها ولم تكن في الحسبان ، وقدوا إلى إسرائيل بمزيج من اليأس والخيال وبين أضغاث أحلام من الماضي ورؤى مستحيلة لمستقبل مثالي . لقد كانوا لاجئين وليسوا روادا . كانوا منهوكي القوى ومرضى ، وكانوا يائسين . وبالرغم من استجابة القليلين للصهيونية قبل الحرب العالمية الثانية ، فقد أصبحوا الآن جميعا " عائدین الى الوطن " . ولأن إسرائيل كانت " الوطن " فإن توقعاتهم كانت كبيرة . فعنها سترفع المعاليم عن كاهلهم وهنا سوف يرتاحون بعد هذا : وخدم لهم الخدمات . ولكن الأمر باختصار وببساطة ، هو أنهم تركوا أوروبا بعد رجال وضاة الجيش بمشرد أو مشردتين سنة ، وانما تركوا أوروبا مختلفة كما أنهم كانوا أناسا مختلفين .

ويشير هذا الاختلاف مرة ثانية ، كما أشارت الأعداد وحدها من قبل ، إلى توسع في خدمات الدولة إلى نهاية عهد وضع القواعد الذاتية غير الرسمية كما كان الحال في الأيام الأولى القليلة . والأهم من ذلك أيضا هو انتمسك التجانس المميز للجيش وظهور الانشغاف في ذلك الاجتماع في الرأي الذي لم تكونه بتجارب محمد هاشم .

وبالرغم من ذلك فقد كان هناك أمل في أن تنزل ذكريات مهجري أوروبا المولعة ، وأن يكون لهذه الأرواح الممذبة ، كما كان لأبيالهم الأشد ، خلاص داخل إطار القيم القائمة في الجيش . وبالرغم من أنهم كانوا مختلفين فانهم كانوا نفس الناس . فقد قرأوا نفس الكتب ، وعللوا نفس الأحكام ، وعللوا بنفس

الأسلوب ، ويرتبط نفس التاريخ ونفس الأبطال ، كما رناهم نفس الآباء ،  
والآن ، ألا يتململون نفس اللغة الجديدة ، والمهارات الجديدة ، والقيم  
الجديدة ؟ لقد كان اليمشوف غنيا صهيونيا ، وكذلك أيضا كان المهاجرين  
الجدد . وإن لم يكونوا رؤادا مخاضين أو صهاينة متفانين فإن الايديولوجية  
القديمة لم تكن غريبة عنهم على أى حال .

لقد أصبح مدير ايدولوجية اليمشوف واحدا من أهم مسائل السياسة  
الاجتماعية في اسرائيل ، ولكننا لم نصل ، بعد ، الى المرحلة المناسبة لمناقشته  
فقد تأثر جودته ، كما تأثرت جميع مظاهر الحياة الاسرائيلية ، بحقيقة أن أكثر  
من نصف المهاجرين الذين قدموا الى البلاد منذ عام ١٩٤٨ لم يكونوا من مواليد  
أوروبا ، بل من مواليد الشرق الأوسط . والمواقع أنه منذ عام ١٩٥١ وخلال  
عام ١٩٥٦ و عام ١٩٦٢ أيضا ، كان أكثر من ٧٠ % من المهاجرين القادمين  
شرقيين (٣) ولخص الجدول التالي ( ٢ - أ ) تاريخ الهجرة الى فلسطين  
ثم الى اسرائيل ، أما الجدول ( ٢ - ب ) فيبين التغيرات التي طرأت  
على تعداد سكان اسرائيل من اليهود كنتيجة لهجرات ما بعد الاستقلال :

...

يقدم الجدول رقم ( ٢ - أ ) بيانات عن المهاجرين نقلا (٤) ، ونفسه  
نجد أنه بين عامي ١٩١٩ و ١٩٤٨ كان المهاجرين الى فلسطين من أفريقيا  
وآسيا يمثلون ١٠ % من مجموع المهاجرين . وأنه بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٢  
عندما ازدادت الهجرة ازدادت نسبة الشرقيين الى ٥٤ % . وعلينا  
أن نذكر هذه الحقائق عند فحصنا للجدول رقم ٢ - ب ، حيث يمثل كل سكان  
اسرائيل اليهود مقسمين حسب مسقط رؤسهم .

جدول رقم ( ٢ - أ )

المهاجرين حسب القارة الأصلية ومنفذ الهجرة

النسب المئوية			الأعداد الكلية			التاريخ
المجموع (ب)	أوروبا وأفريقيا	أفريقيا وأفريقيا	المجموع (أ)	أوروبا وأفريقيا	أفريقيا وأفريقيا	
١٠٠	٨٩,٦	١٠,٤	٤٥٢,١٥٨	٣٨٥,٠٦٦	٤٤٨,٠٩	١٩٤٨ - ١٩
١٠٠	٤٥,٤	٥٤,٦	١,٠٧٤,٧٩٢	٤٧٩,٦٠٥	٥٧٥,٧٥٥	١٩٦٢ - ٤٨
						١٩٤٨
٤٠٠	٨٥,٦	١٤,٤	١,٠١٨,١٩	٧٧,٠٣٢	١٢,٩٣١	(من ١٤)
١٠٠	٥٢,٧	٤٧,٣	٢٣٩,٠٧٦	١٢٣,٠٩٧	١١٠,٧٨٠	١٩٤٩
١٠٠	٥٠,٤	٤٩,٦	١,٦٩,٤٠٥	٨٤,٦٣٨	٨٣,٢٩٦	١٩٥٠
١٠٠	٢٨,٩	٧١,١	١,٧٣,٩٠١	٥٠,٢٠٤	١٢٣,٤٤٩	١٩٥١
١٠٠	٢٨,٤	٧١,٦	٢٣,٣٧٥	٦,٦٤٧	١٦,٧٢٥	١٩٥٢
١٠٠	٢٤,٩	٧٥,١	١,٠٣,٤٧	٢,٧٧٤	٧,٧٢٠	١٩٥٣
١٠٠	١١,٣	٨٨,٧	١,٧٤,٧١	١,٩٦٦	١٥,٤٩٣	١٩٥٤
١٠٠	٧,١	٩٢,٩	٣٦,٣٠٣	٢,٦٢٢	٣٣,٧٣٦	١٩٥٥
١٠٠	١٣,٣	٨٦,٧	٥٤,٩٢٥	٧,٣٠٥	٧٤,٦١٧	١٩٥٦
١٠٠	٥٧,٣	٤٢,٣	٦٩,٧٣٣	٣٩,٧٦٣	٢٩,٣٦١	١٩٥٧
١٠٠	٥٥,٧	٤٤,٣	٢٥,٩١٩	١٤,٤٢٨	١١,٤٩٠	١٩٥٨
١٠٠	٦٦,٨	٣٣,٢	٢٢,٩٨٧	١٥,٣٤٨	٧,٦٣٥	١٩٥٩
١٠٠	٧١,٠	٢٩,٠	٢٣,٤٨٧	١٦,٦٨٤	٦,٨٠١	١٩٦٠
١٠٠	٥٢,٧	٤٧,٣	٤٦,٣٧١	٢٤,٣٦٤	٢٢,٠٠٤	١٩٦١
١٠٠	٢١,٣	٧٨,٣	٥٩,٤٧٣	١٢,٧٩٣	٤٦,٦٧٧	١٩٦٢
١٠٠	٥٦,٦	٤٣,٤	١,٢٦,٩٥٠	٨٦,٤٦٧	٦٢,٠٦٤	المجموع الكلي (من ١٩١٩ إلى ١٩٦٢)

تقدم محبوبات (أ) ٤١,٧١٥ مهاجرا لم تذكر قارة موطنهم الأصلي.

جسدها، رقم (٢ - ب)

سكان اسرائيل اليهود : التكوين المتغير (١٩٤٨ - ١٩٦٤)  
بالنسبة المئوية

السنة	أفريقيا وآسيا	أوروبا وأمريكا	مواليد اسرائيل	المجموع
١٩٤٨ (١)	٩٨	٥٤٨	٣٥٤	١٠٠
١٩٤٩	١٨٦	٥٣٩	٢٧٠	١٠٠
١٩٥٠	٢٢٤	٥١٨	٢٥٨	١٠٠
١٩٥١	٢٧٦	٤٧٢	٢٥٢	١٠٠
١٩٥٢	٢٧٦	٤٥٣	٢٧١	١٠٠
١٩٥٣	٢٧١	٤٣٧	٢٩٢	١٠٠
١٩٥٤	٢٧١	٤٢٠	٣٠٩	١٠٠
١٩٥٥	٢٨٠	٣٩٩	٣٢١	١٠٠
١٩٥٦	٢٩٤	٣٧٧	٣٢٩	١٠٠
١٩٥٧	٢٩٢	٣٧٤	٣٣٤	١٠٠
١٩٥٨	٢٨٩	٣٦٠	٣٤٦	١٠٠
١٩٥٩	٢٨٤	٣٥٦	٣٥٩	١٠٠
١٩٦٠	٢٧٨	٣٥١	٣٧١	١٠٠
١٩٦١	٢٧١	٣٤٨	٣٨١	١٠٠
١٩٦٢	٢٨٤	٣٣٢	٣٨٤	١٠٠
١٩٦٣	٢٩٠	٣٢٢	٣٨٨	١٠٠
١٩٦٤	٢٨٧	٣٩٩	٣٩٤ (ب)	١٠٠

(أ) أرقام عام ١٩٤٨ هي بالنسبة الى ١٥ مايو أما جميع الأرقام الأخرى فهالنسبة الى ٣١ ديسمبر .

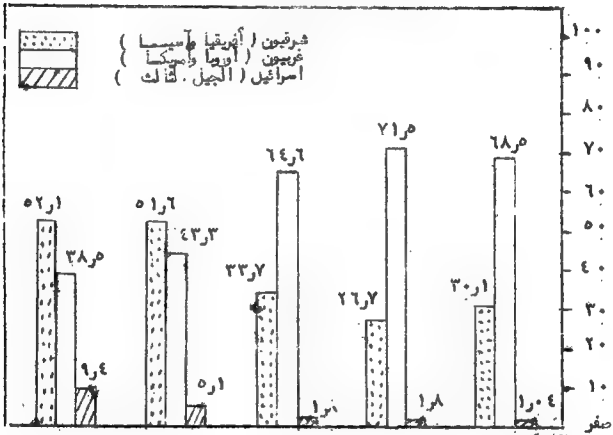
(ب) أما عن عام ١٩٦٤ فقد كان أطفال الآباء الأفرو-آسيويين يمثلون نسبة ٤٣,٢ % من مواليد اسرائيل وكان أطفال الآباء الأوروبيين يمثلون ٤١ % والأطفال العرب آباءهم في اسرائيل كانوا يمثلون نسبة ١٥ % وهذه النسبة كانت تمثل ١٧ % و ٢٠ % و ٩ % من مجموع السكان على التوالي .



أما المعلومات المفصلة بالنسبة للأجول المنحرفة لليهود من مواليد اسرائيل فلا تتوافر الا بالنسبة لعام ١٩٦١ ، ومع ذلك فيمكن استخلاص بعض الحقائق والاستنتاجات الشيرة للاهتمام من جدول ( ٢ - ب ) . والنسبة لعام ١٩٤٨ ، فان البية الاسرائيليين كانوا من المهاجرين الاوروبيين ( أو الامريكيين ) وأكثر من ثلث عدد السكان كانوا من مواليد اسرائيل . وحيث اننا نعرف أن معظم المهاجرين خلال فترة ما قبل الدولة كانوا من الاوروبيين ، فانه من المعقول أن ندرج أن معظم الذين ولدوا في اسرائيل هم من أصل أوروبي ، ومع ذلك فهو خطأ . فعام ١٩٦٤ قل عدد المهاجرين الاوروبيين من ٥٤ % من تعداد السكان إلى ٣١ % ، وازداد عدد الاسرائيليين المولد بنسبة طفيفة فقط من ٣٥ % إلى ٣٩ % ، كما ازداد عدد المهاجرين الشرقيين من ٩ % خلال عام ١٩٤٨ إلى ٢٨ % . أما ما يزيد عن ذلك أهمية فهو ما يتج من أنه بحلول عام ١٩٦٤ قد ازدادت نسبة مواليد اسرائيل بين السكان من نوى الأصل الشرقي . وحيث أن الهجرة قلت كثيرا من طوفان ١٩٤٨ - ١٩٥١ ، فان مواليد اسرائيل يمثلون جزءا أكبر من التعداد عاما بعد عام ، كما يمثل أبناء الشرقيين نصيبا متزايدا في عدد مواليد اسرائيل .

لقد تم هذه الملاحظة البيانات الخاصة بالأجول المنحرفة في مختلف درجات الأعمار ، وكذلك نسب الانجاب الخاصة بمجموعات الأجناس الرئيسية . وتشمل الملحة رقم ٢ ( أ ) مثل هذه المعلومات ، وتبين مجموعتي المهاجرين واسرائيليين المولد حسب أعمارهم وأجول أجناسهم ( ٦ ) ، وكلما عثرنا من المجموعات ازدادت نسبة الأصل الشرقي . وبالنظر نجد أن مجموعة السن ٤ - التي لم تبينها الملحة ٢ ( أ ) تبين أن ٥٩ % من الشرقيين وأن أقل من ٢٥ % من الاوروبيين . ومباراة أخرى ، فان متوسط عمر الأشخاص الشرقيين أصلا ٢٢ عاما ومتوسط عمر الأشخاص الاوروبيين والامريكيين أصلا هو ٣٦ عاما . وهذا يعني أن

لوحة رقم : ( أ )  
تعداد اليهود : توزيع الأعمار حسب أصل الاجناس  
بالنسبة المئوية ١٩٦٢  
( يحدد أصل الجنس وسقف رأس الأب )



الأوروبيين قد تمدوا من ثمة الشخصية ، أما الشرقيين فلم يصلوا الى هذه السن بعد .

ان الفارق في تركيب العمر بين المجتمعين ما هو الا سبب واحد فقط للتفسير  
بالزيادة النسبية في تعداد الشرقيين ، فان الأسر الشرقية تميل الى أن تكون  
بالإضافة الى ذلك ، أكبر عددا في الطادة .



هناك طرائق عدة لبيان الاختلافات الثقافية بين الأوروبيين والشرقيين . فقد يشير المرء الى نسب محرفة التواء والكتابة أو الى نسب التحصيل العلمي ، أو الى الهيكل الوظيفي ، أو حتى الى عادات التغذية . ويقدم الجدول رقم ( ٢ - ج ) بيانات عن مثل هذه المتغيرات كما يوضح الفرق البارزة بين المجموعتين الرئيسيتين <sup>(٩)</sup> . فالأعلام بالقرء والكتابة ( في أية لغة ) بين الذكور من المهاجرين الشرقيين يبلغ ٨١٫٧ ٪ ، أما بين الاناث فهو ٥٦٫٤ ٪ وهو ٩٨٫٣ ٪ بين الذكور من الأوروبيين و ( ٩٦ ٪ بين الاناث . أما درجات التحصيل العلمي فهي متشابهة ، ويختلف فيها الشرق عن الغرب في متوسط هذه سنوات الدراسة بمقدار ٢٫٦ للذكور و ١٫٣ للاناث ، وفي كلتا الحالتين ، بالطبع يتفوق الأوروبيون علمياً . وبالمثل ، فمن الأوروبيين أربعة أمثال الشرقيين من قاموا بالعمل كمعلمين أو مهنيين قبل مجيئهم الى اسرائيل ، ولكن ضعف هؤلاء من الشرقيين التحقوا بالعمل كمعلم غير مهرة .

ومن الصعب تفسير مثل هذه البيانات بالواقع من أنها تبين الاختلافات البارزة <sup>(١٠)</sup> . فقد تعني فقد أن فرض العمل المتاحة لليهود في بلدان الشرق الاوسط محدودة أكثر من تلك المتاحة لهم في أوروبا ، أو أن المركز الاقتصادي للشرقيين أدنى من مركز الغربيين . وفي الواقع أن كلتا الملاحظتين صحيحتان ، ولكن هذا لا يكاد يكفي لايحلال الاختلافات الأساسية بين كلتي المجموعتين . ولا تخضع هذه الاختلافات لقواعد الدراسات الاحصائية العادية ، حيث أن القائم بالاحصاء لا يأخذ في اعتباره عادة أساليب المعيشة أو القيم أو المعتقدات الاسرية أو العائلية الشخصية . ومع ذلك فإننا نجد في هذه المجالات بالذات أكبر الاختلافات التي تميز بين الشرقي والأوروبي . وقد أجريت عدة دراسات في مثل هذه المجالات المتعلقة بأصول الأجنام - دراسات للسلوك

جدول رقم ( ٢ - ج )

بالنسب المئوية

أمريكا والولايات المتحدة		أفريقيا وآسيا		محل الميلاد
اناث	ذكور	اناث	ذكور	
٩٦ر١	٩٨ر٣	٥٦ر٤	٨١ر٧	الاعلام بالقراءة والكتابة ( جميع اللغات )
٨ر٨	٩ر٨	٣ر٧	٦ر٩	التعليم ( متوسط عدد سنوات الدراسة )
				<u>المعمل بالخارج :</u>
٢٣ر٠			٦ر٠	مهندسين وفنيين
				تجارة وسطاء ( وكلاء )
٤ر٩			١١ر٠	بائعين
٣ر٢			٦ر٠	عمال غير مهرة

الجنس ، والسلوك السياسي ، والآمال والمخاوف الشخصية ، والعملية التعليمية وغيرها - وكلها تؤدي الى تأييد الحكم بأن جذور الاختلافات بين الأجناس في إسرائيل تعود الى أحاق شخصية المجموعات الرئيسية أو تجاربها الخاصة أو كليهما معا . (١١)

- وهنا نتحدث بالطبع عن الميول أو الخواص الشكلية أكثر من الصفات العامة . فعندما نقول ان المهاجر الشرقي أقل تقبلا لتغيير بيئته ، وأنه يعتمد على الإيمان أكثر من زميله الاوروبي فلا يمكننا أن نمنى ، وبالفعل لا نمنى ، أن هذا الكلام ينطبق على كل شرقي بمقارنته بكل أوروبي ، ولكنها الحقيقة القاطنة بالنسبة للغالبية ، كما أنها حقيقة أيضا بالنسبة للكثيرين غيرهم . كذلك أيضا تمثيل الأسرة الشرقية الى سيطرة الأب ، كما يتوسع ويعد نظام قراياتها ، وتقيمها أكثر تقليدية ، راحة ورفاهة ، كما أن علاقاتها الاجتماعية محددة وشخصية ، ونسبانية الاعمال مجزأة ولها طابعها الخاص . كذلك تنحصر الى القدر بجدية أكثر من التخطيط وكذلك تعد النظام الثابت القائم فيها أكثر من فرص الاختيار (١٢) .

وقد أدى تجميع كل هذه الاشياء من اختلاف أساليب الحياة ، والتحصين الملقى ، والمكانة الاقتصادية الى خلق جو من " نحن وهم " حيث ينظر أعضاء كل من المجموعتين الى أنفسهم نظرة " نحن " وإلى الآخرين نظرة " هم " . وما أنه من الممكن التعرف على أنواع كل من المجموعتين ( فلنن البشرية ) وبلاصح الوجه تدل على وطن أصحابها الأعلى ) فقد زاد ذلك من تأكيد هذه النظرة . وتحليل احصائيات الزواج احدى ترائق الاشارة الى هذه الظاهرة ففي عام ١٩٦٣ كان ما يقرب من ٨٥ ٪ من الزيجات في إسرائيل بين أعضاء من نفس المجموعة العرقية الى أصل واحد . وبالرغم من حقيقة أن الارتباط تشويز خلال

المقدّم الأخير - إلى تناقص الزواج داخل نفس المجموعة ثقافيا ، بل متجانسا من عام إلى عام ، الآن اليهود كان ضيلا للغاية . واختصار ، فإن معظم الأوروبيين يخرجون من الأوربيات ، ومعظم الشرقيين يخرجون من الشرقيين (١٢) وهذا يمكننا - على المدى القابل - أن نقول إن الاتجاه نحو الزواج المختلط ( لا على درجته الحالية المنخفضة ) له أهم الأهمية . ومع ذلك فإن البيانات الإحصائية عن الزواج تدور في الوقت الحالي إلى انفصال بين المجموعتين مازال واقعا جدا .

وله الفصل الأوروبي : كان تدفق جميع اليهود السبعينيات من وجهة وثيقة للأوروبيين من نواح عدة ، ففي أكثر الأحيان كانت كتب التاريخ اليهودي الأوروبية تشير بصورة ظاهرة إلى المجتمعات اليهودية الكبيرة في أفريقيا وآسيا ، فهل كان هؤلاء المتصلون القادمين من الدار البيضاء أو تجار بغداد الجامعين ، أو فلاحو كردستان البدائيين هم أيضا من شعب الله المختار ؟ من المؤكد أن هذه المجموع لم تكن تمثل شعب الخلاص ، ولكنها كانت على الأصح " هابل " جديدة . صحيح أن هؤلاء كانوا يهودا ، إلا أن يهوديتهم كانت من نوع مختلف . أنهم لا يقرعون شيئا من الماشية البيديّة أو الثقافة البيديّة ، كما أنهم يخرجون عن معتقداتهم الدينية بطريقة مختلفة ، ولم يحرخوا الصهيونية كحركة أبدًا ، فلم يمد يوسع الأوربي سوى أن يلمزني أنه قد يكون من الأفضل له - قبل كل شيء - أن يشارك زميله في المهنة من غير اليهود في وارسو أو ليدجراد على أن يشارك هذه المجموع الخريبة هذه .

لقد أحسن الأوربي بالذنب بعد أن أحسن بكل هذه المظاهر . أليس إسرائيل - قبل كل شيء - هي الدولة اليهودية ، المرفأ ، والملاجئ

ويمكن تحقيق الوعد ( أرض الميعاد ) ؟ لن يكون في استطاعة الشرير  
أن تنتشر من صهيون الا اذا عاد شعبها الى أرضه . ولكن يهود لندن ونيويورك  
لا يأتون ، ويهود موسكو لا يستطيعون الحجز ، فهل يضح أن يحتقر أولئك  
القادمون باختيارهم من شمال أفريقيا ومن الشرق الأوسط ؟ ماذا من قانون  
الجنسية الذي يمتلي الجنسية الاسرائيلية لكل مهاجر ؟ والله ؟ انه وقانون  
المودة مبنيان على فكرة أن انفصال اليهود من أرض أجدادهم فرض عليهم ،  
وعلى أن الهجرة الى اسرائيل ، من ثم ، تعنى " المودة " ، وبالتالي يكون الحكم  
عليها حسب التاريخ والأيدولوجية بدلا من المبادئ القانونية التقليدية . وكذلك  
فإن المبدأ الاخلاقي العام كان - بالرغم من كل شيء - ، وأخيرا تماميا :  
أن أولى مسؤوليات اسرائيل هي " كيبوتز جالوت " ( جميع المنفيين ) ، وهما  
بلغت فداحة الثمن الذي يدفع لهذا التحقق - على حساب التجانس العرقي  
عنه الميشور في سنواته الاولى ، أوحق على حساب الآمال والمخططات المخفضة  
بنوع جديد من المجتمع - فانه سيقل فداحة عن ثمن التصلب من المسؤولية  
وتضليل مناعة مطلقة ، فإن المستقبل لا يمكن بناؤه بهذا الماضي .

ولقد أزعجت هذه المجموعة من ردود الفعل - الدهشة والارتباك  
والشعور بالذنب والالتزام - كثيرا من الأوروبيين ، وبالأخص رجال المجتمع  
اليهودي القدامى ( فترة ما قبل ١٩٤٨ ) . وزاد الأمر تعقيدا ما يطلبه الواقفون  
الجدد من خدمات صحية واجتماعية وتعليمية ، فإن تجميعهم كان أمرا ممكنا ، ولكن  
استقبالهم كان غير ممكن مالم يخصص باهتمام خاص . كذلك لا يمكن تجاهل أحلامهم ،  
أن لا يفصلهم من ناحية الأسلوب الثقافي الظاهري فحسب ، بل أيضا من  
ناحية الصفات التي جعلتهم للاشتراك في حياة مجتمع محدد . لقد كانت المحاولات  
الدائمة لحل هذه المشكلة واحدة من أكبر الاهتمامات الداخلية في اسرائيل ،



وسوف نتعرض لها ونقوم بتقييمها فيما بعد . وان التفكير في ضرورة القيام بمثل هذه المحاولات لهو في حد ذاته دلالة أخرى على ادراك الاسرائيليين للاختلافات المنصوية القائمة .

رأى الفصل الثوري : ولا يقل انزعاج اليهودى الشرقى من اسرائيل التى تواجهه ، بأية حال ، وبالنسبة للكثيرين كان الرابط الدينى الذى وجههم الى اسرائيل أكثر بكثير منه لدى الاوروبيين ، أما الآخرون فقد دفعهم اليها الوصف المبالغ فيه للحياة السميدة التى تتناولهم هناك ، ولتن غسور " الحياة السميدة " يتوجع والحرية الجديدة المتاحة للشركيين ليشتروا فى مجتمع ديموقراطى ، أوليميشوا حياة يهودية كاملة ، لم تكن أهم من الثمن النفسى للتطور العصرى ، فقد ودعوا الى دولة جديدة ليجدوا الخلاص - دينيا كان أو شعبيا - ولكنهم وجدوا ، بدلا منه ، مجتمعا غريبا عليهم لا يمكنهم فهمه نفسها كاملا : مجتمعا يعده من فيه أنفسهم أغرابا الى درجة ما .

لقد كان عدد الألباسية من اليهود الشرقيين يتمتعون بدرجة عالية نسبيا من المكانة الاجتماعية فى البلاد التى قدموا منها ، فقد كانوا كاثوليك ، أكثر العاما بالقراءة والكتابة من مواطنيهم الآخرين . أما فى اسرائيل فقد انعكس ذلك الوضع ، ولم يعد هناك مجال للمقارنة بينهم وبين الاوروبيين من ناحية التعليم والمهارات ، فبعد أن توقفوا ارتفاعا شيرا فى مستوى المعيشة ، وجدوا بدلا من ذلك - مساكن غير ملائمة وأصلا منخفضة الاجور ، ولقد كانوا مرتبطين بشبهين وليس بالصهيونية وكانت الايديولوجية التى تحدث عن العمل الراضى وعن التضحية بالنفس وعن المساواة بعيدة عن ادراكهم .

ولقد كانت مراكز السلطة والمكانة من حظ الغربيين فى كل مجال تقريباً ،

أما الشرقي فكان حينئذ لا ارتباطه بالمستوى الأدنى والمركز الثقل والدخول الأصغر بسبب تدريجه السابق في وادئ الأصل ، وكان يشمر بالياس والقنوط أراء متطلبات التطور المصري . وكانت المرارة رد فعل البعض منهم فاتهموا الاغلبية السائدة بالشرقة المنصرية ، واتجه البعض الآخر الى الاستشراق فأخذوا يقلدون السدوك الشرقي مع تجاهلهم للقيم الغربية ، وهناك آخرون يصيهم الشك أو الهسلادة وعدم المبالاة ، أما أغليتهم فلم يبد منها رد فعل واضح اللهم الا الاحساس بالقلق .

وهناك أمور لاحصر لها تذكر اليهودى الشرقي بضعة مكانته فعمله أقل انتظاما كما أنه يعمل في مجالات أدنى قيمة فضلا عن أنه أقل دخلا وأحق مسكنا (١٥) . ولا يمكن أن يخطئ نفسه بأن هذه نتائج حوادثه النفسية في البلاد ، إذ أن البيانات الاحصائية تدل على أن الشرقي حتى قبل عام ١٩٤٨ ، كان أقل حائلا من الاوروبي أيا كان . ووفق ذلك كله فهو يدرك أن الاهتمام الرسمى " بدمج المهاجرين " في المجتمع الجديد ما هو الا تمبير مخفف وملطف عن الرغبة في جعل الشرقي غريبا ، فهو المشكلة والتدبير وشعر الاربع . فإذا قرأ الصحف عرف أن جيله هو جيل الصحراء الذى يجب احتما له في سبيل خلاص أبنائه ، وأنا تتهمع المناقشات العامة سمع تسميته " بإسرائيل الثانية " التى يجب رسم الخط من أجلها ، والتى يجب أن تتخذ الاجراءات لمصلحتها ، وإذا نذر حول نفسه عرف أنه مصلوب وأن هناك على الواقع عشقين كل منهما يسمى إسرائيل . وسواء إسرائيل التى تشبهه هى " الاولى " أو " الثانية " فإن إسرائيل الاخرى هى التى تدير شئون البلاد ، وهى التى تعيش الحياة السميدة بالفعل .

السيبران : قد تكن الصورة مبالغا فيها ، فقد تكيف بعض المجموعات داخل المجتمع الشرقي الأكبر مع الهيئة الجديدة ، ومع ذلك فقد نجحت في الاحتفاظ

بثاليدها وجهات نظرها الخاصة ، فالأغريب منهم الى حياة المدن والأكثر صفلا وتهديدا ، مثل العرنيين ، تأملتهم قبلت أقل ، أما الأغني من يهود بغداد فقد وطدوا أنفسهم في المجالات الاقتصادية ، وهنا وهناك ، أصبح يوجد بعض القابلية للحركة ، فتم انتخاب واحد ثم اثنين ثم عديد من الشرقيين أعضاء في البرلمان الاسرائيلي ، كما أصبح يعني قائدا للظواهر الثقافية وصيغ عراقى طليرا . كذلك تحظى منح تعليمية أكثر لأطفال الشرقيين ، كما تمت ساهلت دراستهم لتوضيحهم من هجر يفتشهم ، وقيل أى شيء ، فهناك الاهتمام بهم . فالمشكلة مصروف وجودها ، وأن اختلفت تفسيراتها ، كما أن الحلول يتم اقتراحها وتتم تبنيها وتنفيذها وأن لم تحت ثمراتها دائما . ويكن القارىء الأمريكى مخطئا ان حاول أن يقيم شبها بين اليهودى الشرقى والمزيجى الأمريكى ، فليس هناك أى تأكيد رضى ، من أى نوع كان ، للوضع الراهن ، كما أن التصيب ليس شائعا . ان التساؤل هنا اذا كان من الممكن ايجاد حل لمشكلات الصالة المنصرية سؤال مفتوح ، وان كان من غير الممكن فلن يكون ذلك بسبب المجرأ أو الانتقار الى المجهود .

ومن السابق لأوانه أن ننتهى بالتفسيرات المحتملة عندما يحل الأبناء من مواليد اسرائيل محل آبائهم المهاجرين اليها . فالى حد ما فان مكانة اليهودى الشرقى المتواضعة تتوالد وتدمج بذاتها ، إذ أن فرض التحاق أبنائه بالتعليم الصالى وجميع مايسفر عنه ، ففى السنة الدراسية ١٩٦٣ - ١٩٦٤ كان ٦٣ % من الطلبة الذين يدرسون لفيل الدرجات العليا في معاهد اسرائيل العليا المتقدمة من مواليد اسرائيل ، وكان ٢٢ % من مواليد أوروبا و ١٠ % فقط من مواليد آسيا وأفريقيا . ومن بين مواليد اسرائيل كان ٥ % فقط هم أبناء : لأباء شرقيين ، ومن بين الطلبة المتفوقين كان ٦ % فقط من أبناء الجيل الأول أو الثانى من الشرقيين ، وهنا بالرغم من أن الشرقيين يشكلون

٤٧ % من الذئاب ( في سن التعليم العالي ) بينما يشكل الفرنسيون ١٧ % فقط . وقد ازدادت نسبة الالتحاق بالمدارس الثانوية بين أبناء الشرقيين الى ١٥٠ % بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٦ ، ومع ذلك فقد ظلت تلك النسبة أقل من تلك عدد الطلاب من مواليد إسرائيل ( لسوء الحظ لا تتوفر لدينا البيانات عن الأساس المنصري للولاء إسرائيل بالنسبة لمعظم التفسيرات المتعلقة بذلك ، ولذلك لاستدعي أن نقيم تقييمنا بعيدا الاختلافات بين الجيل الثاني والجيل الأول ) ، وأذن فمن الواضح أن هناك تغييرا ، ولا يقل عن ذلك وضوحا أن هذا التغيير يأتي به .

### اليهود والمسيحيون الأرثوذكس

أن تميز إسرائيل بتمدد الجنسيات الوافدة اليها بشكل مصدرا للانشقاق في مجتمعا ، وهذا نوع من الاطارك المستخدمة في التصوف على الثقافة السياسية الغربية . أما مصدر الانشقاق الثاني فيتمثل في التذبذب الايديولوجي . وكما هي حال كل دولة جديدة فإسرائيل تعاني أزمة تتعلق بشخصيتها في بعضها من معنى القومية ، إذ أن شعبها يسمى لتعريف معنى أن يكون المرء إسرائيليا<sup>(١١)</sup> وليس التعريف هو ما يفرق اليه ذلك البحث ، وإنما هو الاجماع في الرأي ، فهناك اليهود الارثوذكس الذين يعتقدون أن إسرائيل وعد الله وأن التسوية قانسونها ، وهناك الصهيونية الرواد الذين يحملون بتهام نظام جديد ينشئ من رعاه اليسوف المحترق ، وهناك دعاة الطهوية الذين يريدون ترك الدين والايديولوجية جانبها وحمل إسرائيل دولة مثل كل الدول . وهناك الاسرائيليين الخالصون

الذين يعتبرون يهودية اسرائيل أمرا ذا أهمية نسبية فقط ، كما أن هناك اليهود  
الخالصين الذين لا تزيد تعلقهم إلى الدولة من مجرد كونها ذاتها قانونيا لحقيقة  
شموليتهم وهناك الأقلية العربية الكبيرة الممثلة التي يتوابع شمولها نحو  
الملايين الملايالة والحداء ، كما أن هناك تركيزات وتحديات لهذه المجموعات  
كلها .

ويتميز اليهودى الأرثوذكس بتأكيد اليهودية كدين ، أما التاريخ الدينى  
وآداب اليهود كشعب فليس لهما سوى أهمية ثقيلة بالنسبة إليه . والأمراض  
حد قول أحد المؤرخين :

" إذا لم تكن اسرائيل هبة في سبيل ظهور المسيح فأنها وسيلة أرسلتها  
المتأية الإلهية ، وطريق يقود إلى ظهوره . ومن أجل الاسرار بظهوره يجب  
أن يكون قانون الدولة هو قانون موسى واسرائيل كما أوحى به الرب لأنبيائه  
وكما يفسره الربانيون ، ويجب أن تكون التوراة عقيدة اسرائيل ، ودينها الكتاب المقدس  
والتلمود ، وينبغى أن يكون رجالها من موافى الحكومة . فاسرائيل يجب أن تكون  
دولة تحكمها الكنيسة أو كنيسة تحكمها دولة كما يريد الرب ، أو لنقل حكومة  
دينية إن شئت ذلك ، ويجب على شعبها كله أن يكون مخلدا للتوراة كما يفسرها  
رعاتها الارثوذكسين الرسميين ، أما مغالفة الوصايا المشرفة من الأشخاص  
المؤمنين بالتأكيد - فنبغى ممايتهم بما يستحقونه (١٧) .

ومن الصعب أن تعرف على وجه التحديد مبلغ حجم ذلك الجرح من شعب  
اسرائيل اليهودى الذى يمكن أن تطلق عليه ذلك التعريف : اليهود  
الارثوذكس (١٨) . فعلى أحد طرفى النقيض نجد الـ " نوتواى كارتاه " وهى  
جماعة صغيرة وإن كانت مفعوعة الصوت وتمتاز بوجود دولة اسرائيل نفسه " كرا " .  
لأن الأيدي للتوجه التي أقامتها قد انقضت بذلك مهمة المسيح ، كما خلل

القوانين الدينية التي تمنحها الدولة من سلطة التواء • ولذلك فإن يسوع  
المتفكر اسرائيل • بالنسبة لجماعة النيتواى كارتاه • هو يعم صياح • فبهم  
يقفون خان المجتمع باختيارهم • يتبعون قواعد " الدين القوي " ويتناولون " الهو  
المسيح •

وفى الدار الآخرة للدينى • نجد اليهودى غير المتدين الذى  
لا يؤمن بالحكومة الدينية ومعتبر الدين مسألة شخصية • وبالرغم من اندماجه نفسى  
المجتمع تماما • إلا أنه ليس جزءا من المجتمع الدينى الرسمى • الذى يعرف بالتصاقه  
بأحد الأحزاب السياسية الدينية ( ذات الاتجاهات الدينية المبرحة ) الذى  
يعيدده حوالى ١٥ ٪ من الأصوات الانتخابية • إلا أنه توجد خلافات خطيرة حتى  
داخل هذه المجموعة حول فكرة الملائكة والمقيدة • فهناك عدد ضخم من يتسكن  
بشدة " بتقاليد الآباء " • فلا يستمعون الى الاناعة ولا يذهبون الى المسينا  
( فقد يشاهد المرأة فى ملابس غير محتشمة ) • ويمتثلون فى السباحة  
المشتركة • ويصرون على تنفيذ قواعد الدين وتفسيرها تفسيراً جديداً على نطاق واسع •  
كما يعيشون معاً فى أحياء تمزج نفسها من باقى المجتمع • ولا يسمحون لأنفسهم أو  
لأطفالهم إلا بالقدر الضرورى جدا من الاتصال بالمعالم الخارجى • وقد تيسرنا  
المسيحية من زمن طويل بسبب دينيتها • ونجد أن هاندلها " الحا على اعتقادهم  
بأن اسرائيل لا يمكن أن تكون دولة يهودية بنفس الطريقة التى تعتبر بها أمريكا  
مثلا • دولة مسيحية • فمليها أن تكون يهودية خالصة أرثوذكسية • تضم الشريعة  
الدينية داخل جهاز الدولة نفسه • وسمح فيها بالحرية الدينية لغير اليهود  
ولكن اليهودى يجب أن يحكم حسب قانونه هو • وهو قانون الله •

ويعتبر هؤلاء اليهود المتطرفون الأرثوذكسية • من ناحية ملابسهم • ولاهوتهم  
وتيممهم • وأسايلهم • وسبلوكهم • نماذج تقليدية (١٩) • ولكن يشتم علينا

هنا ، أن نفرق بين نوعين مختلفين تماما من التقليدية : فالنوع الأول هو اتباع المبادئ القديمة التقليدية لصير الحضارات والثقافات الاجتماعية للمجتمع الشمسي (٢٠) أما النوع الآخر فهو تقليدية ارشادية حيث تقوم مجموعة من المبادئ (Totalitarian) أو (٢١) بإنشائه أو سياسته وتدعيمه ، وهنا قد نجد درجات عالية من التحضر والعمرنة بالقراءة والكتابة مما يميز المجتمعات المصرية عادة . وتوجد أنجح نوع من التقليدية القديمة حيث عززت العقائد والمفاهيم المعروفة باهتمامها أساليب الحياة ينشئ عنها ما يمكن تسميته مجتمعاً " يحدده الشعب " Folk Prescribed ، وفي مثل هذا المجتمع لا تتركز مقاومة التغيير على مجرد الخوف المأمور من كل جديد ولكن على أيديولوجية محددة واضحة ، فيحارب الفرد الطرائق الحديثة لأنها غريبة عنه ولأنها تنتهك " الحقيقة المقدسة " ، وذلك هو نوع التقليدية المنتشر بين الأرثوذكس المتطرفين في إسرائيل .

وبالرغم من ذلك ، فمعظم يهود إسرائيل المتحمسين ليسوا من الأرثوذكس المتطرفين نظراً لاعتدالهم النسبي في معتقداتهم الدينية تجددهم يتسامحون مع انحرافات غيرهم من هذه المعتقدات . ومع ذلك ، فاعلمهم يضلون صناديق بشدة بإدخال التماثيل الدينية في القوانين العامة .

إن الاعتراف على موقف اليهود المتحمسين من العنادة بحكومة دينية واسعة النطاق ، ولكنه يختلف في حدته ومفعوله ، فبينما يحترق الكثيرون من الاسرائيليين على الموافقة التامة أو التسليم للأحزاب الأرثوذكسية ، فانهم يؤيدون فكرة مسئولية إسرائيل الخاصة في الاحتفاظ بتقاليد الدين اليهودي بوصفها دولة يهودية . وقد يصفى هذا طبع بنح اللحوم التي لم يتم ذبحها حسب المراسم التقليدية ، أو أي من الأنظمة المبرمة الأخرى ، وقد يعني تحول القوانين التي تحد من ملازمة

الأصل الرسمية أيام السبت . وبالرغم من أن مثل هذا الموقف ظاهرياً ما يمكن من الاعتادات الدينية الخاصة ، إلا أنه ليس من الشريب أن نجده محل موافقة أساسية من أكثر الأتراء الدينية ، وذلك على أساس أن بعض الثمائر المتبعة للديانة اليهودي قد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من شمولية اليهود . لذلك فمن الممكن أن نجد ملحداً منكراً لوجود الله يحارص تأييد الحكومة أو حتى مجرد سماحها بتربية الخنازير .

وبن ذلك ، فهناك شيء ظاهر بالآرثوذكس المتطرفين ، إذ نلوا لما لهم من قوة سياسية ما زال علينا أن نتناقشها . فقد تمكنوا من إحراز نجاح ملحوظ في محاولاتهم لفرض القوانين الدينية ، وكثيراً ما يسببون الحزن لدولة تغفل ، على وجه المصم أن تعتبر نفسها هجرية وديموقراطية وقلانية . وبهما بلغ ميل أغاسب الاسرائيليين لقبول بعض أفكار أولئك الأرثوذكس المتطرفين المحددة ، إلا أنهم ليسوا على استعداد بالمرة لقبول فكرة الحكومة الدينية الأساسية .

أما الديويون وهم منقسمون على أنفسهم أيضاً — فلا يصرّفون بالتأكييد لمن سيكون مستقبل اسرائيل ، ولكنهم يؤمنون بأنه لن يكون لليهود المتميزين (٢٢) . ولذلك لا يجدون ضرورة لقيام مواجهة مباشرة مع دعاة الحكومة الدينية . وعلاوة على ذلك ، فإن أية مواجهة من هذا القبيل سوف تعتبر ، من وجهة نظر دعاة الحكم الديني ، نداه للقتال أو للحرب المقدسة فعلاً ، وليس في إمكان الدولة التصدي للقوى الداخلية التي ستتشأ من ذلك مع ما تواجهه من مشاكل هارجية . ومن مثل ذلك أن المتطلبات السياسية لنظام الحكومة الائتلافية في اسرائيل ما زالت تحت اشراك حزب أو أكثر من الأحزاب الدينية في الحكومة . وليس هناك احتمال مباشر لتغيير هذا الوضع . وأخيراً ، فهالرغم من حيرة الكثيرين



من الدنويين بالنسبة لفكره الحكم الدينى ، الا انهم يبتعدون أنفسهم فى حيرة  
أشد ازاء فكرة رفضهم واحدة مهما كان تفسير ذلك الرغص دقيقا — لذهب ديسنى  
يعتبر واحدا من " أسياپ رجوع " دولة اسرائيل ، وتجددهم — بدلا من  
ذلك يأملون فى أن تصبح الحناجر الأكثر اعتدالا من بين الأرثوذكس المتطرفين  
تربية الشبه تدريجا من أحزاب المسيحيين المدعوقراطية فى غرب أوروبا • والواقع أن  
ثمة مايدل على ذلك ، وأن يسير الأكثر تطرفا — بمرور الوقت — مثل " الأميئش " (\*)  
( Anish ) : ثقافة فرعية دخيلة ولكنها عاجزة غير فعالة •

وليست هذه النخبة الهادئة بالخاضعة الدقيقة تماما لوفى الثقافات الدينية  
الفرعية لاسرائيل وفلاتاتها بأداء فكرة الحكم الدينى ، فبين الحين والحين  
يهدد بعض الحوادث طريقة الحياة ، غير المستتبة تماما ، بين المجموعتين •  
ومن ذلك أنه فى عام ١٩٦٣ ، ولمدة عدة شهور ، كانت السيارات التى تحاول  
المرور بحى " ميه شيماريم " مركز الارثوذكسية فى مدينة القدس ، ترمى بالحجارة  
وسهاجم سائقوها • وقد زاد من تعاقم المشكلة أن سيارات السياحة وعبات الأسم  
المقعدة القادمة الى اسرائيل من الأردن ، كان عليها أن تمر خلال بوابة هاندليم ،  
مما يجبرها داخل حى ميه شيماريم مباشرة • ومن ذلك أيضا ماوقع من ثورات طفيفة  
بعض الشىء حول مدارس الاساليات المسيحية فى القدس وحول رعاية البلدية  
لحمام سياحة عام ويحتلظ وغيرها من مثل هذه الأشياء • وعندما أنزلت اسرائيل  
سفينة ركاب جديدة من اسطول سفن الوكاپ ثم ذلك وسط معركة حامية حول ما اذا  
كان من الواجب أن يكون بالسفينة مطبخان ، أحدهما يقوم بتقديم الاطعمة المحللة  
دينيا والآخر للمحرمة ، أو أن يكون بها مطبخ واحد يقدم الطعام المباح فقط • ومن  
البيئات أن شو مثل هذه المسائل التى تتراوح بين الخدمة العسكرية للأرثوذكس

• فرقة مسيحية من أتباع جاكوب هان " Jakob Amann " وهو مسيحي  
سويسرى فى القرن السابع عشر كان لا يؤمن بتعميد الأطفال وبعض الشرائع  
المسيحية الأخرى • ( المراجع )

المعتزلين وترخيص الحاخاميه بفتح مجزؤ جديد لا يقع تحت رقابتها • وليست المسافة بين المبادئ المارسة والذوق المستمر • وبين الذوق المستمر والخطر الواضح بكثيرة جدا • وهناك بعض الأدلة على تزايد الميل الى مقاومة الأرثوذكس المعتزلين وذلك - على الأثر - بين بعض نقادات المجتمع الديني (٢٣)

### الشيخ والشباب

ان مسألة الحكومة الدينية كلها - كما رأينا - ليست سوى أحد وجوه مشكلة البحث من الذات القوية والشخصية • والرغم من أنها أكثر المشاكل وضوحا داخل المجتمع اليهودي على الأثر • إلا أنها - في نفس الوقت • ويرا لتفسير ذلك السبب - أكثرها حسرا وتحديدا • فمشكلة التوتر بين الأجيال المختلفة أكثر انتشارا واتساعا • ولكنها أكثر صورية أيضا • فهي تؤثر على نطاق أكبر من السكان • ويمكن بحث هذه المشكلة من خلال علاقتها بمكانة الايديولوجية الصهيونية •

وتجرى مناقشة المعنى العام للصهيونية على مستويين اثنين • وهى نفس الظاهر • مجادلة ايدولوجية تتم مناقشتها في الندوات والمؤتمرات والمقالات وافتتاحيات الصحف الجديدة • وللازم تلك المجادلة ولاحقها تماما ذلك التوتر الكامن بين الأجيال المختلفة • أو - على وجه الدقة - بين قدامى رجبسال مجتمع اليبشوف في القالب وبين أبنائهم الاسرائيليين الوطنيين من الجيل الحديث •

وتجرى المناقشات حول عدة نقاط تتركز أساسا حول دور الصهيونية بمسند تحقيق السيادة القومية • وحول علاقة دولة اسرائيل بالشعب اليهودي • ولأسباب واضحة • اعتقد الكثيرون • من بينهم بعض زعماء الصهيونية • أن وجود الحركة

الصهيونية ينتهي بتحقيق هدفها بقيام دولة اسرائيل • فعلى خلاف غيرها من الحركات القومية • لم يندار الى المنظمة الصهيونية أبداً على أنها الهيمنة السياسية المناهضة لحكم الدولة • فقد كانت دائماً منظمة اثنائية تتم مسودة أحزاب سياسية • ولم يكن من المحتمل أن تستمر تلك الأحزاب في بذل مجهوداتها من أجل المنظمة بعد انتقال السلطة والخطة السياسية الى يد حكومة وطنية • وقد كان ذلك أكثر من مجرد تكهن بسبب • — انه تقرير أغلبية كان أقوى صيته بطبيعة الحال بين أولئك الذين أكدوا أهداف الصهيونية السياسية أكثر من أهدافها الاجتماعية • أثناء عهد اليمشوف •

وعلى أية حال • فالواقع أن الصهيونية ظلت على قيد الحياة على الرغم مما يصيبها من اضطراب ولبلة حول المهام السلمية التي ينبغي أن تقوم بها • ولقد كانت هذه المهام واضحة تماماً في الأيام الأولى للاستقلال • وهي العمل على استعمار الدم السياسي والاقتصادي الذي لا يمكن للدولة أن تحيي بدونه ولكنها كانت عاجزة حتى ذلك الوقت من تحمل مسئولية وجودها • والعنى في نشاطها لصالح الهجرة الى اسرائيل من الدول الأكثر تقدماً بصورة خاصة • ولقد انتقلت أولى هذه المهام في محلها الى الدولة • أما بالائتمية للمهمة الثانية ففان التفجاج المحدود الذي أحزمت هذه المنظمة في هذا السبيل يكفى بالكاد • لتبرير استمرار وجودها •

ومع ذلك • فقد ظلت الصهيونية والمنظمة الصهيونية موضع تقدير وتدهيم أغلبية أولئك الذين كانوا من أكبر معيديهما قبل أزمة المعنى • ويدين ذلك الاخلاص الذي كان له الفضل في بقاء المنظمة على قيد الحياة • بالكثير الى قوة الدفوع

التأهيلية والشخصية ، وإلى ذكريات الأجداد العائلية والارتباطات الشديدة التي  
فرت من الأشخاص والأماكن ، وإلى ذكريات أزمت وانتصارات الأهمام العائليّة  
التي تحول العقل والخيال من حاد راجع إلى ذكريات " الأيام الجميلة العائليّة " .  
ومع ذلك فلو كانت الذكريات هي الأساس الوحيد لبقاء المنظمة لكانت قد صارت  
منذ زمن بعيد ، مجرد جماعة أخوية تتكون من أناس غير متصلين ببعضهم البعض  
وتضمهم روابط غير متصلة أيّما - وحتى الآن أمكن تلاقي ذلك العنبر ، وبدلا من  
ذلك اشتبكت المنظمة في مدة نشاطات جديدة ، من أهمها ترويج الثقافة اليهودية  
خارج إسرائيل ، ومنع ذلك النشاط من الايمان بأن البقاء اليهودي كان هدف  
الصهيونية دائما ، وأن إسرائيل لم تكن سوى أبرز تحقيق لذلك الهدف ، وإذا لم  
يقبل يهود الغرب ذلك الحل من طريق الهجرة فيجب البحث عن غيره ليكون أكثر  
تناسبا مع وضعهم .

وقد يتقبل رجل اليسوف القديم هذه الاستراتيجية ، ولكنها تميل إلى  
تركه في الخلال ، ولا تفرغ في اهتماماته المباشرة ، فألمشكلة  
بالنسبة إليه ليست بقاء الناحية الصهيونية بقدر ما هي بقاء العقيدة الصهيونية .  
فكيف يمكن الاحتفاظ بهذه الفلاسيات السهل الزاوية في دولة حديثة بتزايد ارتكازها  
على القيم الذرائعية والتمسك الواقعية العملية ( البرجماتية ) ؟ وكيف يمكن  
الحفاظ على الروح الطوباوية وسط هذه النشاطات الحكومية ؟ وكيف يمكن استمرار  
قيم مجتمع اليسوف أمام هجرة مزيد الاستقلال المتدفقة من الشرق ومن الغرب ؟  
وباختصار ، كيف يمكن تطبيق تأكيد الصهيونية الأول للنجتمع القابل مع اليسوف  
الجديدة وقد تغيرت تورا ؟ ( ٢٤ )

توجد جذور مثل هذه التماهولات في أيديولوجية موجة الهجرة الثانية ،

ولكن جيل اسرائيل الحديث لا يستجيب عموما لنداء الايدولوجية ، وخصوصا  
للايدولوجية الصهيونية ، فمن رآه أن قوات اسرائيل الدفامية تمتحق بنفس  
القدر من التقدير ، لتأسيس وحماية الاستقلال ، الذي تستحقه الحركة الصهيونية  
لدهرها في عرب الاستقلال وحملد صيناء ، خلاوة على ذلك ، فان الصهيونية  
توتهد في الأذهان بيهود أوروبا الشرقية من لايشمر جيل الصابوا (٢٥) (اليهود  
الذين ولدوا في فلسطين) بالكثير من التعاضد مع تقاليدهم وقيمهم ، فان الأدب  
الييدي ( اليهودي القديم ) ، والمعتقد الايدولوجية ، والارتباط القوي مع  
اليهود في كل مكان وميول الجيتو ( حتى اليهود في المني ) العقلية والحساسية  
ازاء الانطهاد ، ونظما جزء من التثليل الأوروبي الشرقي — تعتبر بالنسبة  
للصابوا بقايا ماضٍ مخجل يزوج الثقة ولا يلبث بالعبوة الشابة الممتدة بذاتها البقي  
حقها الاستقلال ، وجنا تتجلى سخرية الانتدار ، فان قدامى اليهود من موجق  
الهجرة الثانية والثالثة — وقد كانوا هم أنفسهم متوردين على تقاليد آبائهم  
وثقافة آبائهم — يجدون الآن أن الآية قد انقلب عليهم ، فقد أصبحوا ، بالنسبة  
لأبنائهم ، رمز ثقافته نبذوها هم أنفسهم وجدوها أبناءهم سقيمة وقاصرة . (٢٦)

وليس على الصابوا ، بالنسبة ، أن يتجنبوا أساليب السلوك التي كانت  
محل تقدير الميسوف وان كان الكثيرون قد يفعلون ذلك ، ان مايرفضونه هو  
الاستمرار التاريخي نفسه والارتباط بعباءة آبائهم وأجدادهم فهم لا يتكلمون اللغة  
الييدية ، ولا يفعلون قراء الأدب الييدي مترجما ، أو يصبون الدين اليهودي  
كما يحبره منه سلوك الأرثوذكس المتطرفين ، باعتبارهم يتغلبوا عنهم ، كما أنهم يفتقرون الى  
المشاركة المجدانية مع رد فعل يهود أوروبا ازاء قرين من الانطهاد ، فهم  
اسرائيليون واسرائيليتهم تشمل اليهودية ، وليس لهم " مشكلة يهودية "

فإسرائيل هي أيديولوجيتهم ، وفيما نراها فلاحاجة بهم لشيء ، ولا يجوز لهم على أي شيء آخر .

واليهودي من الجيل القديم غير واثق من الاستجابة إليه ، فمن ناحيته ، يشير أبنائه دواغى فخرو ، فهم متحررون من هزات الانطهاد المؤهنة ، وهم أصح من آبائهم من مدة نواح ، فمعجود شعورهم بالأمان وأخلاقهم لإسرائيل همما وحدهما غير كاف لعجودات آبائهم ، فقد شيد اليهودي القديم الوطن اليهودي ، ويقوم أبنائه بالمحافظة عليه بالرغم من أنهم أصبحوا يطلقون عليه اسم " دولة إسرائيل " . ولكن الهدف أصبح ضيقا ، والرهبة محدودة ، والنخبة خائفة . هذا جيل أتسى بمد جيل الثوريين ، ولا تمثل الأحداث المخيرة في حياة آبائه ذكرياته الحبيبة أو مصدر فخره . وعندما يرى ذلك يهودي من الجيل القديم ، مثل شخصية " روسا شوف " التي ابتدعها المؤلف " كوستلر " (٢٧) ، تتباه مشاعر متعطشة بصورها بقوله :

" انه .. الجيل الذي بدأ في التفكير بمد القيدين . لم تكن لسه تقاليد ولا ذكريات تربطه بالعالم القديم الذي أندثر .. انه جيل ولد بنير جنسل سري .. ومع ذلك فقد كان الحق في جانبه " . وأخيرا ، فإن جيل الصابرا لم يستبدل بنشوة آباءه أيديولوجية شخصية أحدث منها ، فالجيل القديم تلقى بسبب عدم شهرة هيدة جديدة تشبه الفراغ الذي أحدثته هجر المعتقدات القديمة ، فمن أكثر التمسوت سية في قاموس إسرائيل الأيديولوجي كلمة " بيتزويست " Bitzuiست . ومعناها الحرنى : ذلك الذي ينجز الأعمال . ومع ذلك فالبيتزويست " ليست مفسدة تستحق الاحترام لأنها تدل على الشخص الذي يقوم بانجاز الأعمال بدون الرجوع الى الحمار تدل على أيديولوجي ، وذلك بالنسبة لليهودي القديم لايسفر عن سلوك غسكال بقدر راميسفر عن انتهازية قبيحة فالبيتزويست — حسب وجهة نظره — هي عقيدة العابوا .

وقد يبدو أن هذا الصراع الدائري بين الجيلين من شأنه أن يخفف من الصراع المندري بين العناصر المختلفة بالتقريب بين أفراد الجيل الثاني من أبناء الشرعيين والشرعيين . وبالوفى من تركيزنا في الفترات السابقة على الشباب الشرعيين ، إلا أن أبناء الشرعيين ليسوا أقرب إلى آبائهم ، ولا هم أقرب إلى اليمين واليسار ، ولا هم أقرب إلى اليمين واليسار ، ولكن ذلك الذي يمكن للفرقة المشقة للعالم أن يساعد على توحيدهم ، تعمل الفوارق الاجتماعية والنفسية على تعزيزه ، فهنا . نجد أن كلا من الجيلين مازال ابناً لأبيه ، وليس فوارق التحليم والظهور وحدها هي المورثة جزئياً ، ولكن الشباب معها ثار وتعد فان شعاراته وأسلوبه ، بل ومادة تعده نفسها ، لا يمكن أن تكون ملكاً خالصاً له ، فان الشعار الذي يقول : " لا يمكنك الرجوع إلى اليمين " ثانية " يلازمه القول : " لا يمكنك أبداً ترك المنزل كلية " . وفي النهاية ، فإن تلصق الشرقي والشرقي إسرائيل لا يجانبه شرقي جديدة قد يخفف من التوتر المندري ، فكل واحد منهما على الحفاظ على القديم لما وجد مثل ذلك الاحتمال أما في الوقت الحاضر فلا يوجد سوى الأمل وليس الانجاز والتحقيق ، فكذلك واحد منهما مازال شديد الارتباط بجزءه ، وبالتالي مستقبله الخاص ، سواء كان ذلك هو أو كركنا ، أو ارياديا أو ارياديا (٢٩) .

إن التوترات المندرية والدينية والايديولوجية جميعها جزء من المشكلة الكبرى : العنصرية الإسرائيلية . وما زالت هناك بالطبع مصادر أخرى للانشقاق داخل المجتمع ، فقد ازدادت الفوارق الطبقة بشكل ملحوظ ، مع أن فوارق الدخل لا تزال أقل منها في أي مجتمع آخر في نسبيته (٣٠) . كذلك اختلاف الانتماء الثقافي بين المدينة والقرية كثيراً من عهد اليمين ، فداخل القطاع الخاص نفسه تظهر فوارق أكثر بين المستوطنات الجماعية والمشروعات الخاصة والعمالية ، وتتسم هي الأخرى فيما بينها بين القديم والحديث ، ولا تزال غير مستقرة . ويتشابهك

هذه الاختلافات وزرناها مع النصرانية والقيتيك أو طول مدة البقاء في البلاد مما يقضي الحدود بين مجموعات الثقافات الفرعية.

ومع ذلك فمن المبالغة أن نقول أن إسرائيل مجتمع مجزأ ، وأنه لا توجد بها ثقافة سياسية موحدة ، فقد قدم الخطر المحدق بها من الخارج مصدرا مهما للوحدة الداخلية ، كما قدمت عوامل الاشتراكية ومبادئ المواصلات الكثير في ذلك الحد ، وكذلك فعل نفس الشيء ظهر تاريخ إسرائيل ، ونمو وتوأم التجارب القومية التاريخية . وثمانية عشر عاما ليست بالفترة الطويلة حسب التواءة التقليدية ، ولكن مرور كل عام يزداد عدد الاسرائيليين ممن تهدأ ذكرياتهم بعد عام ١٩٤٨ ، والزمن نفسه لا يثقل من الفوارق والانشقاقات ، ولكنه يخففها بتوفير صلات مشتركة .

وأخيرا ، فهما اختلف المعنى الصحيح على مفهوم كلمة " اليهودي " فانه يثير شعورا بالقرابة المشتركة لا يمكن التقليل منه ، فحق بالنسبة لأولئك الذين ينحدرون العائش أو لا يهتمون به فهناك ادراك بأن هذا الشعب يختلف عن غيره بطريقة ما . فالتمزق كتابه المشترك "سوا" بوصفه تاريخا دينيا أو أساطير شعبية أو قاعدة دينية ، والمنفى والتهجير ومصاداة اليهود كلها ذكريات مشتركة ، وأما " هرتزل " و " وايزمان " فخلاص " موسى " و " سليمان " و " داود " فهم أبطاله المشتركين ، كما أن " تيتوس " و " أنتيوكيوس " و " تركمادا " و " هتزر " هم أعداؤه المشتركين ، فالحدود ستة ملايين مرسوم بالوشم على قلبه ، يوم الرابع عشر من مايو عام ١٩٤٨ مدون في كتاب حياته المشترك . ان هذه الأجزاء والقطع من الماضي — بحضنها روحاني وحضنها الأغر قريب ملصق — تدعم الحاضر ، وان الانشقاقات تهق ولكن تحتها جميعا يوجد هذا الضمار : " أن تكون يهودي — في الدولة اليهودية هو أن تكون جزءا من التاريخ وشريكا مع الآخرين " .



### اليهود والآخرون

ماذا من عرب اسرائيل إذن ؟ ان عددهم يقارب الثلاثمائة ألف ، فما هي  
المشاعر التي يحتل أن يحسوا بها تجاه دولة يهودية ؟ ان الحكومة غاضبة  
بأن عرب اسرائيل يتمتعون بمستوى أعلى للمعيشة وحرية أكثر في التعبير السياسي ،  
ومستوى أعلى من التعليم ، ورواية طبية أفضل من تلك التي تتوافر في أي من  
الدول المجاورة لاسرائيل ، وإن هذا الشاغل لم يصبح تعاملاً ، ولا على ذلك  
فإن ما تصرفه الدولة على كل فرد يزيد بين السكان العرب بين الأغلبية  
اليهودية . (٣١)

وهناك أهواء في البرلمان من العرب ، يمثل بعضهم أحزاب الأقلية  
التي تتبع حزب العايد ، أكبر أحزاب اسرائيل السياسية ، وبعضهم أهواء يمثلون  
أحزاباً أغلبها يهودي . وحرية الدين مكفولة وتشمل تأييد المحاكم الشرعية  
الاسلامية في التشريع المتعلق بأمور الدين والأحوال الشخصية .

وفي نفس الوقت ، تنح المناطق التي يزداد فيها تركيز السكان العرب  
تحت الحكم المصري ، وقد كان على سكان تلك المناطق حتى شهر أكتوبر من  
عام ١٩٦٣ أن يستخرجوا تصريحاً مروراً لكي يتمكنوا من الخروج ثم العودة إلى  
مناطقهم . (٣٢)

ان ٧٥ ٪ من عرب اسرائيل مسلمون ، وجميعهم هؤلاء في تلك الأجزاء  
من البلاد التي كان قرار التقسيم الذي أصدرته الأمم المتحدة قد حددها لاتمامة

دولة فلسطين العربية ، وعندما زادت اسرائيل من رقعة الأراضي المخصصة لها حسب مشروحي التقسيم بحوالي الثلث بعد فوزها في حرب الاستقلال كانت تلك المناطق ( الثلث الصغير والجليل الأوسط ) هي التي هبت هذه الزيادة ، وبالطبع لم يكن العرب المقيمين في تلك المناطق بأكثر حماسا للحياة في دولة يهودية من الأغلبية التي نوت الى مصر أو الأردن أو الى سوريا أو لبنان . لقد بقوا اما لأنهم لم يتحمسوا انتصار اسرائيل ، أو لارتباطهم بأرضهم ، أو لأن الحرب حاصرتهم وخالت دون فرائهم ( كان أغلب العرب المسلمين من المزارعين القرويين ، يحكمهم نظام مشائري ) . وقد نسرت اسرائيل ارتباطاتهم الأسرية والدينية والثقافية عبر حدودها المادية ، بالإضافة الى قربهم من تلك الحدود ، على أنها تهديد لأمنها . وقد زاد من قلق الحكومة أنه قد حدث في عدة حالات أن استخدم المسلمون من سوريا والبلاد العربية الأخرى قرى عربية داخل اسرائيل كمرح لممارسات التخريب والتجسس ، ونتيجة لذلك اتخذت اجراءات أمن خاصة تضاف بين الحين والحسين الى الاحتياطات المادية ، كما ظل الحكم المسكوي قائما .

وبالرغم من ذلك فان مشكلة الأقلية العربية لا تتركز أساسا على مسألة اجراءات الأمن المسكوية . وفي الواقع فان لجة اسرائيل في القول بأن المشرع لدى الميول التقليدية يفضلون وضع الحكم المسكوي على التباسات وضعف السياسة الديمقراطيةية نصيبا من الصحة بالرغم مما يبدو من محاولتها الواضحة لتجريد الذات ، كما أنه ليس لها علاقة أساسية بحقيقة أن الكثيرين من عرب اسرائيل يترحبون بشروط هبة اسرائيل ، وأن بعضهم يؤمن بأن ذلك سيحدث فعلا . ومن الواضح أن مثل هذه المشاعر لا تساعد على حل مشكلة احساس العرب بالفرقة ولكنها كذلك لم تسبب المشكلة ، بل هي - على الأحرى - مظهر متوقع للتوتر الناتج من كون المشرع

عربيا في دولة يهودية ، مما يجعل من الحبيب تيهو وجود أى شعور من جهة السكان العرب سوى عدم المبالاة تجاه اسرائيل . ويزيد من حدة ذلك التوتر انتشار الشحور بين العرب بأنهم نحايًا ظلم تاريخيًا واغتصاب قاضرًا . كذلك يزيد منه ذلك التدهيم المستمر لآمال العرب في مستقبل " متحد " تبته القاهرة دمشق ، وهما أيضا وإن يكن بدرجة أقل ، ولكن التوتر كان يستمر حتى بمدون وجود مشاكل خاصة أو تشجيع خارجي .

إن جميع الرموز التي توجد بين يهود اسرائيل لا تمنى شيئا بالمرءة بالنسبة لمرسها ، فجمع شمل المنفيين في فلسطين ، وأحياء الأمة المبرنة ، وكسبون الثروة مركزا للحياة ، والجيش ، ويوم استقلال اسرائيل — كل ذلك أما أن يثير روح المداة لدى العرب أو لايثير استجابة لديهم بالمرءة . أن من الحكومة — لأسباب مختلفة — إلى تشجيع المسؤولية المحلية ودعم التنمية الاقتصادية ليس الا تمهيدا شيئا لشعور العرب الأكيد بأنه أجنبي . وفلاوة على ذلك فإن التنمية الاقتصادية نعمة ذات حدين ، نفوائدها الدائمة يحد منها الضرر الذي تشكل بالنسبة للذات التقليدي . وكذلك الحال مع المسؤولية المحلية حيث تمنى الانحراف من سياسة المثيرة وتعتبر تجديدا مزيجا .

والمشكلة ليست في أن اسرائيل لم تحص باحتياجات الأقلية العربية : فاللغة العربية ما زالت إحدى اللغات الرسمية في البلاد ، وهي مقبولة تماما في المحاكم وفي المناقشات البرلمانية . وكذلك تعد منهاج الدراسة في المدارس اليهودية بحيث تناسب احتياجات العرب الثقافية ، كما أن بجميع مصالح الحكومة اهتماما خاصة للتعامل مع السكان العرب . كذلك فيسبب المبدأ ، بالإضافة إلى

السياسة ، تحت عدة أحزاب سياسية من صحتها لكسب تأييد العرب ، وتقدم نفس المادة فوائد ملموسة أو ثامنا ايجابيا لخصاتها السياسية لكسب مثل ذلك التأييد ، فلم يحدث أبدا أن اقترح أى زعيم سياسى - حتى من أشد الأحزاب عداء للسوداء العربية العجالة - أن يحدد من الحقوق المدنية الأساسية للعرب ( وهذا اجسرا كثيرا ما اتخذ فى حالات مماثلة فى منادات متتدة من العالم ) ، بل على الحكيم فقد ربط بعض السياسيين أنفسهم بشدة بصير العرب ، ساعين الى إيجاد وسيلة للتصالح بين المجتمعين . وقد أمكن إقامة علاقات ايجابية فى بعض الحالات ، من أبرزها العلاقات مع الأقلية من الدروز غير المسلمين ، كما أن عدد الطلبة العرب الذين يلتحقون بالجامعة السورية يتزايد كل عام ، بالإنابة الى زيادة حجم المنح المخصصة لهم . واختصار ، فليس هناك ميل " لالقاء " الأقلية العربية ، وذلك يرجع الى اهتمام اسرائيل بالرأى العام العالمى ، وإلى ما هناك من أهمية سياسية داخلية لمجموعة تملك ٨ % أو ٩ % من الأصوات الانتخابية للبرلمان ، وعلى أمل أن تكون معاملة اسرائيل للعرب نهاية حسنة بين العرب خارج اسرائيل ، كما يرجع الى حساسية اليهود تجاه مشاكل وضع الأقلية . وليس هذا السبب الأخير بأقل الأهمية بأى حال من الأحوال ، ففى دولة يتكسّر فيها دور الميول الايدىولوجية تكون هذه العتاصر أهمية سياسية كبرى .

ومع ذلك فكل هذا غير كاف ، إذ أن التحليل الأخير يظهر أن كلام من اليهودى والعربى يدرك أن العرب غير مرغوب فى وجودهم فى الواقع ولن يحسن اليهود كثيرا إذا قدر لجميع عرب اسرائيل أن يرحلوا عن البلاد باختيارهم . وبهذا أصبحت ايدىولوجية اسرائيل وطنية الا أنها لا تزال ايدىولوجية يهودية لينس

للمرب فيها أى دور يلعبونه ، أما الجهود التى بذلت لتبيل اقامة الدولة  
بهدف الوصول الى مجتمع ثنائى القومية يتم على أساس حكم ذاتى كميونى ففقد  
أصبحت غير ذات جدوى منذ أمد بعيد . ومع الواضح جدا أنه مهما حاولنا  
التفكير فى أبعاد المستقبل نلن يمكن لأى عربى أن يحتل مركزا رئيسيا فى السؤارة  
الاسرائيلية ، ولكن الأمر الذى لا يتضح أبدا فى صميم الموضوع هو أن المربس  
يجب - حسب أخلاقيات اسرائيل العامة - أن يتمكن من تبرز مثل هذا المركز  
وفى الولايات المتحدة بحيث لم يكن من الممكن حتى وقت قريب أن يفهم  
أى إنجى وزيراً ، لم تعان الأخلاقيات العامة مثل ذلك الارتباك ، فأى أمر كرسى  
له الحق فى مثل ذلك التمييز (٣٤) ، ولكن حيرة اسرائيل تتركز فى حقيقة  
الصراع بين المبدأ الأخلاقى القى ينادى بتكافؤ الفرض والمساواة السياسية  
الكاملة وببدأ الدولة اليهودية الذى يماه له قوة . انها ليست مسألة تمص بسيط  
فحسب ، على نفس الصورة التى عرف بها فى الجنوب الأمريكى مثلاً ، كما  
أنها ليست دفاط زائفا من " خدمت منفصلة لكنهما متساوية " ، ولكن تكملة  
اختيار رئيس جمهورية عربى لدولة اسرائيل يرفضها السكان اليهود لعدم لياقتهم  
التاريخية ، لأنها ستسبب حتما إثارة شكوك أساسية حول تمثيل وجود الصهيونية  
وحول أغلب المفاهيم الأساسية لمعنى اسرائيل والاسرائيلية .

ومما تثير ذلك الوضع اذا جاء يوم تقوم فيه علاقات ودية بين حدود  
اسرائيل وتشهد اسرائيل فى داخلها اجتماعا فى الراى أميراً وأكثر طيبة فولكن  
أيا من التفرين لن يكون وشيكاً على أية حال . وهناك فى نفس الوقت ، بعض  
القلق فيما يتعلق بنسبة التزايد الديموى للسكان العرب التى تبلغ ثلاثمائة  
أضعاف نسبة تزايد السكان اليهود ، كما أن هناك قلقاً أكثر بشأن آثار انقسام

(٣٥) المناطق المنصرى القاعم فعلا . ففي الجليل الأوسط لا توجد سوى بعض المستعمرات اليهودية المتناثرة وسط منطقة تركيز عربى كثيف ، وتتنهج حكومة اسرائيل الآن سياسة تشجيع اقامة مستعمرات يهودية في المنطقة . وبالرغم من وجود عدد من التمهيلات لهذه السياسة ، الا انها تعكس محاولة لتحاسن تكوين مقاطعات كبيرة عربية تماما وسط الدولة اليهودية . وقد طبق نفس المنطق ، وبمناجح متفاوتة ، عند ما شجع اليهود على استيطان منطقة جديدة وسمن الناصرة ، وهي اكبر المراكز الحضرية العربية .

ان هذه الاهتمامات منقطعة بعض الشيء ، فان ان " المشكلة الرئيسية " ليست بارزة بوجه خاص ، فقد تكون موضع اهتمام من الحكومة ولكنها نادرا ما تشغل بال مسئلي الاسرائيليين ، ففرصة اى اتصال ذي بال بين اليهودي والمسيحي محدودة للغاية (٣٦) . فلا يفتضح المرب لنا الم الخدمة المسكونية الاجبارية السائدة في اسرائيل ، كما ان مسئليهم يفتش في قرى نائية (٣٧) ، اما اولئك الذين يفتشون في المراكز الحضرية الأكبر — وهم بوجه عام من المسيحيين — وعدد هم يفتش عدد المسلمين — فيتجمعون معا في المادة ، والنتيجة هي عدم الاحساس بوجود المرب الا بصورة طفيفة . ونظرا لان المشكلة تدل " ههنا " في الخفاء " ، ولان التفكير فيها يثير الكثير من التساؤلات المعيرة ، فان الرأى العام يوليها القليل من اهتمامه ، أما ما لايجوز عنه أحد فهو الأمل في أن تخفف برامج الحكومة من عدم المرب وتحولها الى لامبالاة على يسمح باستمرار لامبالاة الرأى العام بالمشكلة الواقعية جدا للعلاقات الأخلية بالأقلية .

ولسوء الحظ لم يول علماء المجتمع سوى القليل من اهتمامهم للمرب في اسرائيل ، ومن المحتمل أن يكون ذلك على أساس أن لديهم ما يكفي جدا لشغلهم دون أن يتورطوا في هذه المنطقة الشديدة التعقيد . ويستتبع ذلك أنهم

لا يعرفون كثيرا من أنماط السلوك داخل المجتمع العربي اللهم إلا أنها تختلف تماما من تلك السائدة في البلاد عموما \* وكل من المبيين — قدم توافقا للمعلومات \* والحاجة إلى ماملة العرب كجموعه منفصلة — فأننا سنقصر دراستنا في الصفحات التالية على سكان اسرائيل اليهود \* وهدفنا \* ان نعرضا انفسنا مثل هذا الاجراء أمر واضح وهدف أيضا \* فأنها في حد ذاتها توفر من أمراض تلك المشكلة التي ناقشناها \*

### من نكسبون ؟

لقد تحدثنا في المرة الأولى \* على هذه الصفحات عن الشخصية القومية لليهود \* وقد اضطررنا طوال الوقت \* إلى الاعتماد على الاستدلالات والاستنتاجات ان أن المعلومات المطلوبة لم يتم جمعها بعد \* ومن المحتمل أن يفضل الدارسون الآخرون لاسرائيل \* والاسيائيون أنفسهم بكل تأكيد — أن تستعمل طرائق أخرى لتشخيص المشكلة \* وألوانا أخرى من الأدلة لتوضيح شخصياتهم \* فالتداع الأمر \* ان \* انه يجب أن يخلل بدون المزيد من المعلومات الدقيقة \*

ومع ذلك فالمرء يتردد ويشعر بالقلق عندما يتحدث في تلك الأمورا \* ان مفهوم الشخصية أداة عظيمة النفع في البحث السياسي \* وعرض أهميتها كمسب بارز \* ولكن مثل هذه المقدمات قد يحول بمنتهى السهولة إلى بدع \* ويستعمل لكل غرض بدون صلات حقيقية قاطعة \* وليس من الواجب تناول الشخصية بغروسيته على المستوى القومي أكثر مما تعالج على المستوى الشخصي \* فخطر المبالغة فيها موجود باستمرار فتتخذ الاقضية الترتيبية على أنها حقائق \* ومع ذلك فبان الحد من المطلوب هنا أكثر من أي مكان آخر \* لأننا نتعامل هنا \* أكثر من أي مكان

آخره مع مسائل باللغة الحاصية ، ولأن الأمر كذلك فوَلَّكْنَا نَفَثَرًا إِلَى الْمَعْلُومَاتِ  
فإن ماسبق أن ناقشناه ، وما سوف نناقشه فيما بعد ، مبنى على الحكم **أَكْبَرُ**  
من المعلومات . والأمر يستوجب القول بأن ما يلي هو أفضل تفسير يقدمه واحد  
من المعاقبين وليس بالضرورة اجما على أى مجموعة من الدارسين .

إن معظم الدول الأخرى تحيطها حتمية لا تتمتع بها إسرائيل ، فإما أنها  
عاشت كدول مستقلة استقلت كيرة ، أو أن شعبها عاشت داخل حدود جديدة منذ  
أمد بعيد . أما بالنسبة للإسرائيليين فلا يوجد مثل ذلك الطريق السهل للاتصاف  
على ماتعنية بلادهم ، فهى بالرغم من العاشى الدينى ، وبذرائق أخرى غائصة  
فى الأهمية دولة مصطنعة هيدوية الصنع ، خلقت نفسها بنفسها . وقد لا يكون  
التحريف مشكلة بالنسبة لأولئك الذين قدموا الى البلاد من دول أخرى ، سواء  
كرواد أو كلاجئين ، فإما هم نرضة هريضة للاختيار : إسرائيل كمركز دينى أو كموقع  
هودة ميلاد الشعب اليهودى ، أو كعروفا للمضطهدين أو كطامة للرئاسة النبوية ،  
أو كقرصة للخلاص الشخصى والدينى .

ولكن ماذا عن الجيل الجديد من مواليد إسرائيل ؟ بالنسبة للكثيرين  
يمتبر مجرد ميلادهم فى إسرائيل ، بدليمة الحال ، تفسيرا كافيا لوجود إسرائيل  
ولوجودهم فى إسرائيل ، فشمعو المرأة الخاص بشخصية القومية لا يوضع عادة موضع  
البحث ولا حتى فى إسرائيل .

حقا ، سادنا من كل أولئك الذين لم يلتزموا بفكرة الخلاص — أولئك الذين  
لا يرون فى إسرائيل بداية فصل دراسى جديد فى سلسلة طويلة وشخصية جدا من  
التاريخ ، والذين لا تحمل البلاد أى معنى خاص بالنسبة اليهم ؟ إن إسرائيل  
لا تزال بلدا جديدا جدا ، وفير راسخ بالمرء حتى يتم تجليها بصورة طبيعية



تامة أو اعتناقها بدون تحفظ. ومن أجل هؤلاء تجب الاجابة من السؤال : ما الذى أقوله هنا ؟

وكلمة " هنا " قد تحفى عدة أشياء مختلفة . وهنا رأينا ، فان " بمنزل " اسرائيل هذه " ساكن " ، ولكنه ، بالنسبة للشباب على الأخص ، منزل قلبيق تتباهد مساكنه وتتفاخر بهمضها ما زال بسيطاً خالياً من الزينة أما البعض الآخر فخاية فى التكلف والتعقيد ، وكلها تقع لصو الحث فى أرض ممزولة بمنطقة يغلب عليها طابع معمارى مختلف تماماً . فلو كانت اسرائيل فى منطقة أخرى - كفرنسب أوروبا مثلاً - لأمكن لتعاملها الطبيعى مع الدول المجاورة أن تخفى من طبيعتها العيظنة (١) ببقعة دولية تخليدية (٣٨) .

وليس تعداد الدول المجاورة لاسرائيل هى المسؤلة تماماً عن عزلتها فى الشرق الأوسط ، بل الوضمن أن الموتك السياسى فى الشرق الأوسط ينسب فى بعض صورها لشذوذ ، وإنما هى ، من الناحية المتنازلة المقلقة لوضع اسرائيل كمنارة أو رويقى منطقى وجلبى . بل ومن زاوية الكفاح والنضال - أنها ذات بقتا قليمية غير أوروبية . وقد لا يجد الاسرائيلى الشاب صعوبة تذكر فى تفهم سبب اسرايلىته ، ولكن من المستحيل جداً أن يتقبل - فضلاً عن أن يفهم - فكرة أنه أينما ينتمى الى الشرق الأوسط .

والى حد ما ، نجد أن هذا كان السبب فى أن محاولات اسرائيل الدائمة لانشاء علاقات اقتصادية وسياسية لها أهمية خاصة ، كما أنه ، الى حد ما أيضاً ، كان سبب أهمية معنى علاقات اسرائيل بالمجتمع اليهودى العالمى وعضويتها فى الأمم المتحدة . وليس هذه الارتباطات المختلفة الحيوية بالنسبة لاقتصاد البلاد وأمنها ونموها فحسب بل وكذلك بالنسبة للتأكد من قبول السلام وشعبها وأمتبارهم مساوين لغيرهم ، تشارك اسرائيل الدول الجديدة فى جميع

أنحاء العالم في حساسيتها المؤلمة ، كما أنها تخشى ألا يدرك المتفرجين بالمرح المالى أنها قد وضعت في الوضع الخاطئ على ذلك المسرح المعاصر ، أو ألا يفرقوا بين " الوجود في الشرق الأوسط " و " الكين ضمن الشرق الأوسط " (٤٠)

ولهذا التمييز بينهما أهمية بالغة بالنسبة للشباب ، فبغيره ، وسع افتقاره الى قبول أى من أنواع الايديولوجية الصهيونية ، لا يتنبأ لهم سبب لارتباطهم بتلك الأرض المقلقة . وبالنسبة لأولئك الذين تمتد جذور عائلاتهم في الغرب - اذ أننا نتحدث عنهم على وجه التحديد - فان التسرب يلقى بها مثله من قربات ومراكز تعليمية أعلى وشراء واستقرار ، ظلالا عملاقا مغريا .

وبهذا بلغت سمة الخيال ، فان هذا لا يحى أن الاخلاص للدولة أقل من الكامل ، أو أن هناك خطرا من حدوث " خروج " جماعى ، وتكرر القتل بأن جميع التساؤلات والشكوك لابد أن تغلبها وتوازنها جميع الأشياء المؤكدة والواضحة ، وأيضا كل ما لأرض لاتزال شابة تترقى مرحلة التكوين من جاذبية خاصة . وليس هناك أى تساؤل حقيقى ، ولا يكاد يكون هناك من ذو مجال للجاذبية بالنسبة لجميع الاسرائيليين تقريبا بمن فيهم من الشباب أيضا . ان ما يراه الدارس فى بحثه عن الشخصية قد يعتبره موضع الدراسة أمرا مشورا للضحك لأنه أبعد ما يمكن عن الموضع العام . وبالطبع قد يكون من المحتمل أن الدارس قد يرى أكثر مما هو واقع بالفعل ، ومع ذلك فلا يقل عن هذا احتمال أن يخفى موضع الدراسة عنه شخصا أكثر مما يبغى هو إخفاؤه عن الاخرين . ان الاسرائيليين لا يتحدثون فى مثل هذه الأمور بسهولة أو علانية ، ومع ذلك فالمرء يشعر بأن هناك مظاهر هامة يدور فيها عن عدم التقبل المستقل مثل ما تقوم به البلاد ظلاوة على السلامة العسكرية - فى صورة عدم الثقة بالمحاضر أيضا . وهذا أمر محتم لمعدة أسباب فهو حظ كل دولة جديدة لاتزال تخلص ضيقها ان الاستقلال ، أما فى حالة اسرائيل فوجب إخفاضة كل تلك المشاكل الخاصة التى كنا نتحدث عنها .

### الفصل الثالث

#### الثقافة السياسية : الأحزاب والأيديولوجيات

إن ثقافة إسرائيل السياسية لا تزال تسمح بمنظور آخر أوسع؛ منظور سياسي أكثر وضوحاً بكثير. فإن المرء لا يستطيع التوصل إلى فهم الثقافة أو النظام السياسي دون أن يدرك أحزاب إسرائيل السياسية بشئ من الدقة، فإن بداية الحكمة في سياسة إسرائيل تكمن في التحقق من أهمية الحزب السياسي الكبير فنظام إسرائيل السياسي هو نظام الأحزاب السياسية ويقع عليها إلى حد كبير أن لم يكن لها - ولكن بمعنى سبب ذلك ومعناه يجدر بنا أن نبدأ بفحص الأسلوب الأيديولوجي والمادة الأيديولوجية لعدة أحزاب -

#### الأسلوب الأيديولوجي - الأحزاب والحركات :

إن للأحزاب السياسية عدة وظائف، فهي تحكم وتعارض وتقيم بتحديد المشاكل وجنود الزعماء السياسيين، وهي منافذ لنشاط ذوي النشاط السياسي، وتوفر للتأخب فرص اختيار هيئة الحكومة وسياساتها (١) وهي بقياسها بتلك الأعمال تعكس بلامحالة الثقافة السياسية التي تنبت منها - ومن الطبيعي أن تتوقع مثلاً أن تختلف الأحزاب في هيئة متعددة الجوانب غير أيديولوجية اختلافاً ظاهراً عن الأحزاب التي تشمل نفس إطار ثقافة منهجية متماسكة اجتماعياً - كذلك فمن الضروري أن يمكن الحزب مبادئ الثقافة التي ينتسب إليها أو مبادئ الثقافة القوية الأقرب إليه - سواء في ترشيحه للنسواب أو في اختياره للسبل المناسبة لحشد القوى المؤيدة - ومن الصحيح أيضاً، وأن لم يكن من الملحوظ كثيراً - أن الأحزاب تسيد ثقافة الثقافة مدعة أنماطها الفالبة وشكلية

الرأى العام الى جانب تشكيله لها ، فعندما يطبق حزب يهودى ، وقيم الثقافة التى يؤيدها فانه يدعم تلك الثقافة أو يجسم تلك الهادى ، وذلك القيم . ومن الطبيعى أن تكون تلك هى الحقيقة بالنسبة لاسرائيل كما هى بالنسبة لأية دولة غيرها ، ولكنها بالرغم من ذلك ليست حقيقية بالقدر الكافى ، ان ما يميز أحزاب اسرائيل هو أنها نفسها ضمن أهم مجموعات الثقافات الفرعية فى المجتمع ، ان الحزب السياسى فى اسرائيل كما هى الحال بالنسبة للأحزاب فى كل مكان ، يسعى لكسب الاصوات الانتخابية ، وبالرغم من ذلك ، وعلى خلاف أحزاب الولايات المتحدة فانه يسعى لكسب أعضاء من أحزاب أخرى ، لا لى يشكل حكومة للبلاد فحسب بل كذلك ليخلق لانصاره أسلوب حياة متكامل وصحيحا من الناحية الايدىولوجية (٧) .

ولكى نفق بين الحزب بوصفه متنافسا انتخابيا والحزب بوصفه فكرة ايدىولوجية مقننة سوف نحفظ بتسمية " الحزب " للصفة الاولى ونطلق اسم " الحركة " على الصفة الثانية (٨) .

والحركات السياسية فى اسرائيل تتلك أو تهى الصحف ودور النشر وحركات الشباب ، والبنوك وشركات التأمين ، والمستعمرات الزراعة ، والمشايخ الاسكانية والمعاهد التعليمية ، بالرغم من عدم توافر الاقام الصحيحة بالنسبة لعضوية الاحزاب ، الا أن حوالى ٤٠ ٪ من السكان البالغين أعضاء يسبون فى حزب آخر كما أن كلا من الاحزاب الرئيسية التسعة حزب جماهيرى ، وحركة يسعى كل منها الى تجنيد أكبر عدد ممكن من الأعضاء ، وإلى شغل أعضاء فى أقد شبهة ممكنة من علاقات الاحزاب ببعضها البعض ، ان عضو الحركة المثالى يعمهى نفسى مساكن الحزب ( أو فى مستوطنة زراعية تابعة للحزب ) وفقاً لصحيفة الحزب ، ويجرى

مما ملته المالية عن طريق مؤتمرات الحزب المالية ، وحضر الحلقات الدراسية في مدارس الحزب ، وظالم الكتب التي يصدرها الحزب ، ويضم لمضوية نسادى الحزب المحلى ومنهم في اجتماعاته الاسبوعية أو نصف الشهرية ، ويرسل أطفاله الى حركة الشهاب التابعة للحزب ، وفوق ذلك كله فهو يؤمن بأن ايدولوجية الحزب تعبيري شامل عن الحقيقة السياسية . وحيث أن حركته هي التي تقول الحق فإن الحركات الاخرى بالتالى تنطق بالباطل ، وتستحق الاحتقار على أحسن الفروض ، والصداء الصملى الشامل ، على أسودها .

ومثل ذلك الالتزام الايدولوجى يحول الجدل السياسى عن الاسئلة العملية : " من الذى يأخذ أى شئ " : كيف ، ومتى ؟ " الى مواجهة أساسية بين الحق والباطل ، بين الخير والشر ، بين الصدق والخداع .

وقد وقع المثال التقليدى لمثل هذه المواجهة في عام ١٩٥٣ عندما تفرق شمل عدد من اربى مستعمرات الكهيزتر ، أساسا تحت ضغط الخلافات الايدولوجية . وقد كف أعضاء ظلوا أصدقاء حميمين لسنوات عن التحدث الى بعضهم البعض لأنهم أصبحوا أعضاء لطوائف سياسية مختلفة . وقد حدث في عدة حالات أن أقيمت فواصل داخل قاعات الطعام الجماعية ( الكهيزترية ) مما يعطى الانشاق الفكرى كيانا فمليا . كذلك قسمت الممتلكات الجماعية بين المجموعات المتخصصة ، كما أن الأسلاك الشائكة قد استعملت في بعض الأحيان لتمييز بين الحدود بينها . وفي النهاية وجدت عدة مستعمرات أنها مقسمة على نفسها الى درجة بلغت حدتها أن انسحبت مجموعة أو أخرى ببساطة وأقامت مستعمرة جديدة في مكان آخر .

وما لاشك فيه أن تلك كانت حالة متطرفة ، فلم يسفر أى جدال فكرى عن مثل تلك المواقف المثيرة وأن ولد الكثير منها مشاعر لا تقل عنها حدة ، وألقاها

لاتقل قسوة واتهامات متبادلة لاعتل بشاعة \*

من أين ينشأ مثل هذا الجوع؟ انه الى حد ما تراث الاحزاب السياسية الذي تتجد جذوره الى بداية هذا القرن في أوروبا الشرقية ، في زمان ومكان اصطبغ فيهما الحوار السياسي بنقمة وطبيعة الحيز الدينية ، وكانت الخطط السياسية للاحزاب كلها مقدسة ونداءات للمركبة . ونظروا لأن الكثيرين من زعماء اسرائيل السياسيين نشأوا في هذه البيئة ، فلم يكن غريباً أن يستمروا على تقاليد هذا . وعلاوة على ذلك ، فإن الوضع السياسي خلال السنوات الاولى للاحزاب والحركات السياسية في اسرائيل كان في أحد جوانبه الهامة ، مماثلاً لما ساد أوروبا الشرقية ففي كل منهما تكونت الايديولوجيات واسطة مجموعات لم يكن لها أي قسط مسن مسؤولية الحكم . وفي مثل هذا الجو تتشجع المنظمات السياسية على تمييز نفسها الواحدة عن الاخرى عن طريق الرؤى الشبيهة أكثر من الأداء الفعلي ، فسياسة الفلسفة المنصوبة التي تفسر تاريخ العالم وحضارته هي الامتياز الخاص لمسكن لسلطة له والنفاهية التي لا يمكن لمن يخوضون بمهام الحكم أن يسمحوا بها لأنفسهم ، على الأقل أولئك الذين يحكمون في مجتمعات مفتوحة \*

وقد أسهمت عوامل أخرى من الماضي التاريخي والمعرفي في تركيد القيمة الايديولوجية في حياة اسرائيل السياسية . وقد دعم ذلك التركيز تقليد ديانة الدين اليهودي المثير للخلاف والبحث عن مبدل عاطفي للالتزام الديني عندما بدأت الدنيوية في احتلال مكان هذا الالتزام ، وجميع الجذور الاجتماعية والاقصادية والقومية والسياسية لسكان اسرائيل ، وكلها أوجعت ثوران ذلك الجوع الملهب . وأخيراً فإن نظم مؤسسات المنظمة الصهيونية - وهي أولى ساحات قتال الاحزاب - كانت تروج بالسياسة الانشقاقية ، إذ أن الانتخابات داخل

المنظمة كانت مبنية على التمثيل النصي ، حيثما أمكن ، حتى يقتضى لأصغر الطوائف أن تأمل في الامساك بميزان القوى . ومن هنا ضعف الدافع المبتدئ لتوسيع القاعدة الايديولوجية .

والواقع أنه في بداية تاريخ تلك المنظمة تكونت بها مبادئ أخلاقية أساسية تحولت بنسبها فيما بعد ، إلى الدولة الجديدة ، وحققت هذه الأخلاقيات تعاوى التصالح والتوفيق الايديولوجى مع الانتهازية المبتدلة ومع شهوة الحكم .

وعلى أية حال ، فمن المضم أن تلك الحدة الايديولوجية التي وصفنا مساسا لانس الاقلية محدودة من مواطني إسرائيل ، فالسياسة بالنسبة للأقلية أمر سطحي تقريبا ، ولا يؤخذ بجديته بأية حال . وكما سنرى فإن الانتماء إلى الأحزاب لا يمكن في أغلب الأحيان صادوا عن أو مؤديا إلى موقف ايديولوجى متناسق يقتضى مع موقف الحزب المؤيد ، فإن الكثرين من الاسرائيليين - وحتى أعضاء الأحزاب منهم - لا يحملون شعورا شيا بالانتماء إلى أى من الأحزاب ، أما عند أولئك الذين يحسون بذلك الانتماء فلا نجد إلا ارتباطا طفيفا بين الايديولوجية الشخصية وايديولوجية الحزب .

وطاوة على ذلك ، فحتى داخل تلك المجموعة الصغيرة التي تحمل معها تقليد السياسة العاطفية ، نجد من الصعب فصل العقيدة عن المراسم ، فإن المؤتمرات الايديولوجية المتكررة ، والتأنيق الذي تصطبغ به التصريحات العقائدية ، والقلق بشأن التزام الخطط الجديدة والسياسات الجديدة للتقليد الايديولوجى ، ومحيطها جميعا ، هو من القدم على ، بالفارقات التاريخية ، فالاسلوب الايديولوجى يزداد أهمية عن المادة الايديولوجية ، وهذا يعنى أن التزام خطة ايديولوجية رسمية لا يتفق العمل ، ولكنه بدلا من ذلك يتطلب أن تقرر اللغة التقليدية أي عمل فني ، ويتطلب ذلك على الأحزاب الحاكمة بوجه الخصوص فقد تكتبت على مؤلفين من طائفتهم

جهد من السياسات المتناقضة بدون أن تقر بالانحراف الايديولوجي .

ولكن بالرغم من كل شيء فان الاسلوب والمادة لا يسهل فصلهما السى ذلك الحد ، فان الشرط الضمني لصياغة الحوار السياسى فى اطار ايدىولوجى لا بد أن يؤثر فى مادة الحوار فيحدد ما يمكن قوله عند كل من الجانبين ، وشن مناقشات المشاكل السياسية البسيطة بمواطن لا تتناسب الا مع مسائل أهم منها فنرى القاص الايدى والفاو الأسود فى كامل زيهما يتنازعا دفاعا عن القضية حيث تكون المسألة الحقيقية هى زيادة البخل المخصص لمجبات موظفى الحكومة أو وجد يأجج يأجج يتقابلان فى صراع مزلل حول قرار اتخذه وزير الزراعة لتعديل معونات الحكومة المخصصة لسلاسل الطماطم المختلفة . ولكن طالما أن المناقشات تستمد لغتها من الفلسفة السياسية ، بدلا من قابوس المأوى السياسية فان ذلك يغير من مادة ما يطرح للمناقشة ويغير بالتالى من مادة الحل النهائية كذلك .

وهنا علينا أن نتحسس مواقع أقدامنا بحذر بحيرة ثانية ، فان البحث الذى سيجرب لنا عدد مقبلى اسرائيل السياسيين ممن يتشبهون بالايديولوجية وعدده أولئك الذين يعتبرونها تراثا مبرقلا للجهود ، والذي سيجرب المراقبة بمرسنى الايديولوجية ولن يتخذ من قرارات ، لم يأت بعد . وفى حالة الانتقار الى الابهت الشاملة يجب علينا الاعتماد على ما يتفق عليه المراقبون من ذوى الخبرة بالموضوع . يبدو أن هناك مثل ذلك الاجماع فى الراى حول ثلاث نقاط أساسية :

١- أن للايديولوجية فى سياسة اسرائيل أهمية أكبر بكثير مما لها فى أغلبية دول الغرب ، والاضى فى الولايات المتحدة .



٢- أن ميول إسرائيل الايديولوجية مسألة شائكة الى درجة ما ، وهذه الدرجة نفسها غير معروفة ، كما أن تأثير الايديولوجية الشائكة على صياغة السياسة غير معروف أيضا \*

٣- أنه بالرغم من تأكيد الفكرة الايديولوجية فان النظام يقدم أدلة وفيرة على قابليته للتأقلم : فطبقا للأصل يتماثل الصراخ ويتكون الصاحة مما حالما يهبط غار المصرك

( وبما كان ذلك مصدر السخوة الشائعة عن السياسة في إسرائيل فحيث يتحتم على العواطف أن يستنتج أن الاتهامات والانتهاكات المضادة لها ، وكذا الالتزامات المهيبة ، والتحذيرات المهيبة لم تكن كلها سوى وجه ما من أوجه الهلغة الخطابية ولم تكن تؤخذ بصورة جدية أبدا ، أو أن الزعماء السياسيين قد باعوا جادهم لقاء دواهم معدونات ) \*

#### الجوهر الايديولوجي - برامج الأحزاب :

كثيرا ما يكون من الصعب - وأحيانا من الخطر - أن نفرق بين تصريف توجهه الحركة ايدولوجيا وتصرف الحزب الذي توجهه السلطة - وتتجلى تلك الحقيقة في أوضح حالاتها خلال المفاوضات من أجل تكوين ائتلافات حكومية حيث يجسرى الجدل حول تمييز الجزاء ، في كل مرة - وكان الايديولوجية وحدها هي المعرضة للخطر ، ولكن الخطري يأتي من اغواء أخذ البرامج السياسية بقوتها الظاهرية دون ادراك أن مقدماتها قد يكون متأثرين بمقتضيات السياسة - الأمر الذي يؤدى الى خلطهم بين المبادئ السياسية والايدولوجية في تصوراتهم . ولذلك فمن المأمين الموقف الايديولوجي لكل من أحزاب إسرائيل الرئيسية يتمين علينا أن نميز بين الجزء المنبثق من الفلسفة الحزبية الأساسية والجزء

الذي يسمى لكسب الاعروات الانتخابية \* وحيث لا تتوافر الأدلة الكافية لعل هذا التمييز يكون من الخطأ أن نستنتج بهما أنه وجود توافق تام بين الموقف الايديولوجي والمقيدة الايديولوجية \*

يمكن تشخيص الاختلافات الايديولوجية بحددة \* لموافق \* واحد \* هذه الطوائف هي تتبع جذور تاريخ كل حزب ، واكتشاف سبب قيامه ونموه من مشاكل جديدة أو تحول مثوري أحداث التاريخ \* وثمة طريقة ثانية وهي اقتراح نوع من أنواع التحليل الطبقي الموحد الأنماط للفكرة الايديولوجية يمكن به تقييم الأحزاب \* ويحدث في دول كثيرة أن يكفى بتقييم الأحزاب تبعاً للمقياس التقليدي التسديد بين اليمين واليسار الاقتصادي لتقدير أوضاعها الايديولوجية وأخبارها فمن الممكن تصنيف تلك المسائل التي يجري حولها معترك الجدال في أي وقت وتحديد طرقته مما لا يترك حزب لكل مسألة منها \*

وأية واحدة من هذه الطوائف الثلاث غير كافية وحدها فالتأكد الخاص على التاريخ يبالغ في درجة انتقاء الأحزاب وإخلاصها لمبادئها ، كما يقلل من أهمية الحوار السياسي القائم \* أما تدعيم الأحزاب تبعاً لمقياس ايديولوجي حتى ولو كان ميكانيكياً فإنه يتخذ مضموناً سياسياً أكثر مما يوجد في المادة ، وهذا لا يهمل الحفظة المرضية للمجموعات الايديولوجية التي تطوّر عليها أحياناً \* كذلك فإن تناول الأحداث الجارية وحدها يفصل كل حزب عن ماضيه ، ويجعله تجرد رد فعل وفق التحليلات خاطئة وذلك يجدد أنه من الضروري أن نجتمع بين الطوائف الثلاث من أجل تفادي التضييق \*

والكلمة الأخيرة في تقديم هذا الجزء تتعلق بمواقف الأحزاب جهاتك مجازفة في الكتابة عن أحزاب اسوأ قبل السياسة في منتصف الستينات عن هذا القرن ، نفسي

عامى ١٩٦٤ و ١٩٦٥ حدثت تغييرات مثيرة داخل الأحزاب فاندثقت الاختلافات القديمة وأقيمت تجمعات جديدة \* فالرغم مما يبدو من هدوء الصحافة بصورة مؤقتة إلا أنه من المجازفة اعتبار توزيع الأيديولوجية والتأييد الحالى كأمر يقرب من الانحياز الدائم بأية طريقة فقد بدأ نظام الأحزاب في التغيير ولكن التغيير لم ينته بأية حال \*

وحتى تتلافى أعطاء الترتيب الحالى أهمية أكبر مما يستحق ، نجد أنفسه من المفيد أن نرجع الى الماضى قليلا ونقدم وصفا للأحزاب صرامجها كما كانت قبل اقامة تلك الاتحادات الجديدة \* واستعمال ذلك الوصف كظا وخلقى يسهل علينا بعد ذلك أن نصف أنطى التغييرات التى بدأت أخيرا ، والذى يبدو أن النظام الحزبى سيخوض غارها لبعض الوقت فى المستقبل . وهكذا يجب أن نضع فى اعتبارنا عند قراءة الصفحات التالية أن الوصف له تاريخ معين وسنطام ما سيجرى تعديله \*

هناك قضيتان أساسيتان وتقليدتان تقسمان أحزاب إسرائيل ، أولاهما قضية التنظيم الاقتصادى التقليدية ، أو الصلح بين اليسار واليمين ، وثانيتهما قضية الحكومة الدينية \* وسوف يسهل عرضنا للموضوع إذا ما أجلفنا النظر فى مسألة الأحزاب الدينية فى الوقت الحالى ، وحصصنا دراستنا حول الأحزاب الزمنية الرئيسية الستة \* أن أربعة من هذه الأحزاب ذات ممول اشتراكية ( وقد أيدوها أكثر من نصف الناخبين فى جميع الانتخابات البرلمانية السابقة ) \* فى حين أن الحزبين الآخرين يميلان الى الرأسمالية ( وقد أيدهما ما يتراوح بين خمس وخمائل ثلثست الناخبين فى الانتخابات السابقة ) \*

وهنا يظهر فى الحال أن مجرد التقسيم الثنائى الاشتراكى - الرأسمالى البسيط لا يكفى لاطهار الفواقى حتى بين الأحزاب الدينية \* وإلى حد ما فسمان

التصور والفصيل اللانتم عبارة عن انخافه نقاط وسطية ، وعن تحويل التتسيم الاشتراكى المضاد للتتسيم الرأسمالى الى سلسلة رأسمالية متصلة مضادة لسلسلة اشتراكية متصلة . وهذا يمكننا أن نبدأ بالحزب الشيوعى فى أقصى اليسار ثم نتحرك قليلا لاتجاه اليمين الى المابام ، وهو حزب اشتراكى ماركسى له تاريخ من المواقف المزدوجة تجاه الاتحاد السوفيتى ، ثم الى أحداث أفسوداء ، وهو أقل تعصبا فئى ميوله الماركسية وأكثر حدا فى صواع الحرب الباردة ، ثم الى المابامى الملا ماركسى الذى يميل الى الاشتراكية الديمقراطية حسب تقليد حزب العمال البريطانى ، وإلى حزب الاحرار الذى يميل الى القطاع الخاص وان كان على استمداده لقبول درجة عالية نوعا من نشاط الخدمة الاجتماعية الحكوى ، وأخيرا الى حزب حيروت أكثر معارضا لتدخل الحكومة فى الاقتصاد ولا يحازها التقليدى للمجتمع العمالى .

ان هذا الوصف دقيق ولكنه سطحى ، اذ أن ثمة مسائل أخرى بعيدة تماما عن المحيط الاقتصادى كثيرة ما تحدد الاختلاف بين أحد الأحزاب والآخر . ومن ذلك أن الحزب الشيوعى وحده مناهس للصهيونية ، يقبل الوصف السوفيتى لاسرائيل بأنها قاعدة امبريالية فى الشرق الاوسط . كذلك حزب حيروت ، وقد خفف من غلوائه الآن اندماجه مع حزب الاحرار الأكثر اعتدالا فقد جرى تقليديا على الاصوار على سياحة خارجية ذات اتجاه قوى عال ، وتتضمن حتى المطالبة بالعودة الى حدود فلسطين عام ١٩٢٢ ماما حزب ما يام فيظهر اهتماما بالأقلية العربية فى اسرائيل أكثر من غوى من الأحزاب .

ولا تسمح مثل هذه القضايا بتصنيفها بسهولة ، فهى تبرز لنا فجأة ميسن لاشي ، مما يملك التصوير النهائي المنتظم للاختلافات بين الأحزاب ، فان ما يمتجوه أحد الأحزاب قضية رئيسية يكاد لا يجد اهتماما لدى غوى (٨) . كيف يمكننا اذن أن نرسم مخططا للاختلافات ؟

ان المنصور التاريخى لفاعلته فى هذه العملية ، وخصوصا بالنسبة  
للأحزاب الاشتراكية ، فقد كان مصدر قوة هذه الأحزاب ( بامتثال الحزب الشيوعى )  
وخصوصا فى سنواتها الأولى ، هو شبكة مستعمرات الكيوتز التى اعتمدوا عليها  
معظم قياداتهم . وقد غمت مستعمرات الكيوتز الجديدة فى فلسطين أفضل عناصر  
السكان وأفصحها فى البيان السياسى . وطاوة على ذلك ، فحيث أن المستعمرة  
الكيوتز كانت مشروعا ايدىولوجيا فلم يكن لأى قطاع من المجتمع الناق أن يضاهاها  
من ناحية الاهتمام والالتزام الايدىولوجى . ونتيجة لتلك المشاعر الحادة ، كانت  
مستعمرات الكيوتز ( وكثيرا ما فرت بينها اختلافات عقائدية واهية ) لاهتم كثيرا  
باستمرار اتحادها الا حسب شروطها الخاصة وكانت كل من الحركات الرئيسية ترى  
أن طريقة تنظيمها هى الأفضل ، وترفض تمريرها للخطر بالانقياط بالحركات الأخرى  
فى داخل اطار تنظيمى موحد .

ومع ذلك فقد اشتركت كل منها فى جهاز سياسى أكبر ، وكانت تتحس لتأييد  
أحد الأحزاب الاشتراكية . وحيث أن تنظيم الحركات كان جيدا ومحكما ، وخصوصا  
بمقارنته بباقى السكان ، فقد كان تأييدها من حيث المال والهيئة العاملة والجوامع  
والمعنويات ضروريا وكافيا أيضا لبقاء الأحزاب . وقد صار ذلك تقليدا واضحا بالنسبة  
لحزب أهدوت أفوداه ( وحدة العمال ) وحزب ما يام موخى حزب ما ياي ، الذى كانت  
له دائما أوسع قاعدة تنظيمية كان يعتمد بشدة على حركة الكيوتز الموالية له .

وعلى مر السنين ، بذلت محاولات عديدة فى سبيل تحقيق قدر من  
الوحدة ، يتراوح بين العمل المشترك والاندماج الكامل ، بين المجموعات الاشتراكية  
والأحزاب العاملة فى الحقل السياسى ، ولكن حتى عام ١٩٦٥ قهلت مثل هسند ،  
المحاولات بمبدأ حركات الكيوتز لاعتقادها أنها تشكل خطرا على نقاء ايدىولوجيتها .

وفي عدة حالات تم اندماج الأحزاب فعلا ، ولكن لتكشف أن اتحادها لا يمكن  
بقاؤه طالما تصرح حركات الكيوتز على السيادة الانفصالية . واقتلاف حزب العايباي  
وحزب أحداث أفوداه الحالي ، الذي تم في عام ١٩٦٥ ، يعتمد بقاؤه على شرط  
أن توجد حركات الكيوتز الموالية لهما أيضا مشتركة بينهما . وفي الواقع أنه لو استمر  
ذلك الاقتلاف بالرفم من انفصالية حركات الكيوتز فلن يسع المرء إلا أن يحتسب  
أن حركات الكيوتز قد وأت النور " سياسيا " .

بالرفم من أن انفصالية حركات الكيوتز كانت السبب المهيكل الرئيسي فسي  
الانفصالية الموجودة بين الأحزاب الاشتراكية ، إلا أنها هي حد ذاتها ، لا تفسر  
خلافاتها الأيديولوجية التي سنتناولها بالتفسير هنا . والمشكلة التي تواجهها  
هنا بسيطة للغاية : أن الخلافات الأيديولوجية الظاهرة التي تقسم الأحزاب  
الاشتراكية ، أو التي تفصل كل الأحزاب الدنيوية في الواقع لا تنفي بالمرّة لتبريس  
انفصالياتها ، ولكن محاولة التعمق إلى جذور هذه الخلافات أمر لا رجاء منه ، إذ أن  
الأيديولوجية ما هي إلا سبب واحد من بين عدة أسباب لتمدد الأحزاب واختلافها  
فيما بينها فهي تتميز بالأسباب الأخرى كما تتميز بها هذه بدورها ، هي الأخرى . ولكن  
بحسب النظر من الجدول المصروف حول السياسة الاقتصادية واقتضاي التباينة التي  
التصقت بجميع الأحزاب على السواء ، فليس هناك أي شقة خلاف أيديولوجية ضخمة  
حقا .

فإذا كان علينا أن نفهم السبب في بناء حزب العايباي وأحداث أفوداه وهكذا  
منفصلين لمدة عشرين عاما فلن يكفي أن نفترض أن أحدهما يهيد عقائدية في اشتراكية  
عن زويله حتى بالرفم من أن للخلافات أهمية قصوى بالنسبة لكثير من أعضاء كل من  
الحزبين . وإذا كان علينا أن نفهم ما الذي جمع الحزبين معا بعد عشرين عاما فلن

يكفى أن نفترض أن أهمية الخلافات الأيديولوجية التقليدية قد ضمت بمرور الزمن بالرغم من حدوث ذلك فعلا ، وباختصار ، فمن الضروري أن نأخذ في اعتبارنا أنواعا أخرى من التغييرات : تأثير نظام التمثيل النسبي لنظام الانتخابات ، والمشكلة التركيبية لحركات الكهوتز الانفصالية ، حقيقة أن أحدها ظل مسيطرا على الحكم منذ فترة ما قبل الاستقلال بينما ظل الآخرون الأحزاب الصغرى في البلاد ، والتأثير الباقي للجدل الذي سبب انقسامها ، ووضوح مجموعة قيادية جديدة لاتحمل آثار جراح المعارك الحاصلة السابقة .

ويمكن تكوين قوائم مماثلة بالنسبة لكل زوج من الأحزاب ، فلكي نفهم سبب اعتبار حزبي حذرت والأول والأعلى الأبقاء على انفصالهما حتى عام ١٩٦٥ ، ثم اكتشافهما المفاجئ ، لا مكانية اندماجهما مما ينبغي أن نعرف أن جذور أولهما تعد إلى إحدى المنظمات الراهبة في عهد ما قبل الدولة ، بينما بنى الآخر أساسا على تأييد الطبقة المتوسطة في المدن والطبقة المتوسطة الأعلى ، وأن أحدهما قام حول رجل واحد في الغالب ، وهو ما يراه البعض من أعضاء الحزب الآخر شكلا جديدا للفاشية . وهكذا نستمر في تكوين قائمة متددة تعتمد مادتها من المصادمات والحوادث والأحداث ، والمؤامرات الخارجية والصراعات الداخلية ، بالإضافة إلى الحوار الأيديولوجي المنق .

والأمر كذلك دائما ، فالأحزاب كغيرها من المنظمات - تكون قوة مسن المؤامرات وتقاليد - أصبحت قد تنمى بمرور الزمن ، فقط مع خططها السياسية الظاهرة التي تكسب نشاطها منطقية مقبولة ، ومرة ثانية نمود لنقول أن أية محاولة لتحويل أحزاب إسرائيل حسب اختلافات الأيديولوجية فقط تكون أمرا مبطلعا ومضللا . وهذا من ذلك يمكن تقدير وصف مختصر لكل حزب يشمل معتقداته وتقاليد

ومؤيديه ، وتجاوبه ، وديمته أعضاءه ، التي تكسبه معادله شخصيته :

### حزب الهاي :

ان حزب الهاي يبرز بصفته حزب الحكم وقد كان أقوى الاحزاب قبل الاستقلال ، وفي كل من الانتخابات القومية الخمسة الاولى التي أجريت قبل عام ١٩٤٨ ، كان يحصل على أكثر من ضعف الأصوات التي يحزرها أقرب منافسيه ، ومع أنه لم يحصل أبدا على الاغلبية المطلقة من الاصوات الانتخابية الا أنه كان دائما حزب ٧١-٧٢ ، الرئيسى : الحزب الذي تتكون حوله كل الحكومات ، وقد كان رؤساء اسرائيل الثلاثة ، واثنان من رؤساء حكومتها ، وكل وزير للخارجية ووزير للدفاع من بين صفوف حزب الهاي ، وقد سيطر الحزب منذ قيامه في عام ١٩٢٢ على المستديرات ، وان كان بأغلبية ضعيفة ، وقوته في الدولة تشبه الاسطورة ، فلأنه كان المهد الذي نمت وترعت فيه معظم الشخصيات السياسية الرئيسية في اسرائيل ( بن جوريون ، بن زفاى ، اشكول ، ماير ، بيل كاتز ، هلسون ، شاريت ، ديان ، وغيرهم كثيرين ) فقد صار ينظر اليه كحزب الاستقلال ، وأضيفت عليه صفة الضحية السحيقة التي تسبغ عادة على مثله من الاحزاب<sup>(١)</sup> ، ولان زعماء سيطروا على سياسة ما قبل الاستقلال لسنوات كثيرة فقد أصبح أيضا حزب التشارلزيت ( أو العمل الواحد ) وهو احدى أساطير اسرائيل الرئيسية ، وحيث أنه كذالك الحزب المسيطر على معظم مؤسسات الدولة الرئيسية ، فيغلب النظر اليه وكأنه قادر على كل شيء تقريبا ، وخلال الفترة قبل الاستقلال مباشرة ، وقبل المجهودات التي بذلت من أجل الحد من تأثير الجيرقراطية ، كانت عضوية الهاي تعتبر شيئا ضروريا لتقديم الشخصى ، وحتى للتقدم بخدمات الحكومة



كذلك فإن حزب الهاياي أكثر أحزاب إسرائيل تمعددا ، ويرجع ذلك إلى مركزه الذي يتوسط الهوية السياسية ، إلى حد ما وكذلك إلى تاريخ قوته الطويل مما يعطيه امتيازاً في التنافس من أجل تأييد متنوع ، والوفاء من أن الأبحاث الانتخابية في إسرائيل لا تزال في أول الطريق ، إلا أن هناك بالفعل دليلاً يؤيد الفكرة القائلة بأن لحزب الهاياي جاذبية أوسع وأكثر تنوعاً من غيره من الأحزاب ، فبعض مؤيديه مستجيبون لجاذبية زعمائه أساساً ، وخصوصاً بن جوريون في هذه الأيام والآخرين لا يمكنهم التفريق بين الهاياي والدولة ، فوؤيدون الحزب بدافع الوطنية القومية ، وآخرون غيرهم يملكون حالهم - الماضي والمستقبل - بحزب الهاياي ، ويرى الكثيرون منهم أنه الحزب الوحيد الذي لديه الخبرة والاستقرار الكافيان لاجادة الحكم ولأن حزب الهاياي كبير وقوى أيضاً فعالياً ما يندرج إليه كإنسب وسيلة لتحقيق المصالح الشخصية والجماعية . وأتى المزيد من التأييد من يميلون إلى تأييد حزب مما مضى ، لو وجد لأحدها فرصة حقيقية لهزيمة الهاياي ، وأخيراً فهناك من يجذبون إلى الحزب بسبب برنامجه ، وهذا البرنامج مبنى على الجمع المفكك بين الصهيونية والاشتراكية الديمقراطية ، وكلا المنصحين غير راضين ، إلى حد ما ، مثل عدم وضوح العلاقة بينهما . ففي السنوات السابقة لاستقلال ، كانت الصهيونية تدمج الديمقراطية القومية روحياً وسياسياً ، كما كانت الاشتراكية تعنى تدعيم القطاع التمازسي للاقتصاد ، وكانت كل فكرة تميز الآخرين حيث أن القوة الظاهرة للقطاع التمازسي كانت دليلاً على الاستعداد للاستقلال السياسي ، حيث كان نمو يشير إلى فهم قيم اجتماعية جديدة ، كذلك فقد ساد الاعتقاد بأن تقسم التطور الاشتراكي يعتمد على تقرير المصير القوي ، وعلى قدرة الهيئات العامة على اتخاذ القرارات الحاسمة نيابة عن المجتمع كله ، وبالتالي فقد جاوز المجتمعات الاشتراكية الطوعية الأكثر تواضعاً إلى دولة اشتراكية كاملة ولذلك كان ينظر إلى العلاقة بين الصهيونية والاشتراكية على أنها علاقة عضوية .

وقد قلب الاستقلال هذه العلاقة الأساسية وأسا على عقبه وكانت قد بدأت في الضعف خلال السنوات الأخيرة للارتداد الأولى لأن الجيل الإسرائيلي الجديد — كما رأينا من قبل — أصبح يفسر الصهيونية كمبادئ للقومية الإسرائيلية : الدفاع القوي والتنمية الاقتصادية وما أشبهه . ومع الاقلال من التأكيد على التهمزة اليهودية ، لم تعد الصهيونية تشير ، بنفس درجة الوضوح ، إلى الاشتراكية . وثانيها لأن أهمية الاشتراكية بالنسبة للاقتصاد نام بواجه احتجاجات انسانية ماسة لم تكن واضحة بالمرءة . فإذا استلزمته العمالة الكاملة استثمار رأس مال كبير . مثلا وكسان هذا الرأسمال لا يتوافر إلا في القطاع الخاص ، ألم يكن هدف العمالة الكاملة مرجحها على هدف الملكية الماسة عندئذ ؟ ان التخطيط لأبسطه ويراج الخدم الاجتماعية لأبسطها كذلك ، أما العقيدة الاشتراكية الارثوذكسية ، وخصوصا لذاتها فلا (١٠) .

ولا هنا عليها قيود : ذلك أن بعض أعضاء الهاي وحسن هيلمان ظلوا ملتزمين بالصهيونية العمالية الارثوذكسية على الصورة التي تعرف عن الاشتراكية والصهيونية منذ أن تدمجتا سويا ، ولكن الآخرين وخصوصا أبناء الجيل الأحدث يتأثرون بالزيادة الضخمة في الانتاج القوي أكثر من تأثرهم بتأسيس مستعمرة كيبوتز جديدة . وحتى بين زعماء الحزب من المهاجرين القدامى ، وخصوصا من تولوا مراكز وزارة ، أصبحت المعايير التي تقاس بها التنمية القومية تميل تدريجيا نحو المجال الاقتصادي بمبدأ من المجال الأخلاقي . وقد انفصل الماركسيون المتشددون عن الهاي خلال الأربعينات ، وكان بين من بقوا كثيرون من كانوا يرون أن الحكم الذاتي المستقل أعظم أهمية من عودة الميلاد البري ، أو أنه جزء لا يتفصل عنه .

ومع ذلك ، فإن التأكيد النصي الذي يعطى للتنمية الاقتصادية في حشد ذاتها ، وبخاصة بالنسبة للاعتراكية ، ما زال مصدرا رئيسيا للتوتر داخل الهاي ، ويتشابه مع التوترات بين الأجيال التي سبق أن تحدثنا عنها ، ومع الانقسام بين أولئك الذين تتجه ميولهم للدولة وأولئك الذين يجهطون أساسا بالمجتمع المتنامي . وأبرز مثال لهذه التوترات ذلك الحوار المتكرر بين المستدريين الذي يسمى السى تحقيق ارتفاع مباشر ومثير في مستوى معيشة العمال ، وهدفه بخيرة عن مركزه كأكبر قوة اقتصادية في البلاد - بين الحكومة التي تميل عموما إلى رفع مستوى المعيشة بزيادة معدل التنمية الاقتصادية ، وتصر على حقها الخاص في تشكيل سياسة اقتصادية قومية . • ستكون الحوار في المادة بين كبار الموظفين في وزارة الاقتصاد وبين زعماء المستدريين ، في حين يقوم وزراؤهم حزب ماهاي بدور الوسيط .

والرغم من أن المادة جرت بأن تنص هيئات الدولة خلال هذا الحوار ( باستثناء مسألة رفع الأجور الأساسية ) إلا أن الأمر يتطلب كميات هائلة من الحلول الوسط لاسترضاء المدافعين عن موقفهم وللمحافظة على تماسك الهاي واجتماع الرأي القوي العام . وهكذا اكتسب الاقتصاد صفة غريبة المزيج ( أهمه بالتمسك الموقع ) ذات مخططات اقتصادية معقولة جدا ، تلازمها مبادئ غير اقتصادية على وجه المصمم . وعندما نناقش مشاكل السياسة التي تؤثر في اقتصاد إسرائيل فسوف نعود إلى حاجة هذه المشكلة .

أما بالنسبة لسياسة حزب الهاي الخارجية فإن موقفه الرسمي هو " عندما لا يتطلب " ولكن ميوله غريبة بشكل قاطع ( والغريب من احتفاظه بتلك الواجهة المحايدة أحاسه تفادي الجازفة بوضوح الجالية اليهودية الضخمة في الاتحاد السوفيتي أكثر من توقع أي تخفيف ملموس في الموقف الرسمي المعادي لإسرائيل ) .

وأما بالنسبة لمدى تواضع عرض اختيار المصاحبة المتعلقة بالنزاع الصهيوني - الإسرائيلي فإن ماهاى يتخذ موقفا معتدلا نوعا ما فهو يربط استثمارات ضخمة للدفاع القومى ويلتزم التزاما عاما - وإن لم يكن متشددا تماما - بتفادي الحرب الزناينة (والطبع كانت حملة سينا عام ١٩٥٦ استثناء كبيرا وشعبيا الى حدود ذلك الالتزام) والاستعداد لاجراء مفاوضات للمصلح مع تحفظات .

كذلك يقف الماهاى "فى منتصف الطريق" بالنسبة لقضايا أخرى "وسبوا" كان ذلك بسبب كبر حجمه أو بسبب كونه أكثر أحزاب إسرائيل تنديدا ( وهذا السبب تنهضة كبر حجمه ) ، أو كان راجعا الى التأثير السدى لممارسة السلطة أو السى منطق مركزه بالنسبة للصورة السياسية . أو راجعا لسبب آخر غاية فى الغموض وهو ميل زعمائه الشخصية فان ذلك شئ لا يعرفه أحد. ولكن بالنسبة لعدد من المسائل - مثل المشكلة الدينية الداخلية ، وسلطة المستدروت ، والتنمية الاقتصادية - فقد كان الماهاى دائما حزب الجدل الوسط المجمع . وقد كانت النتيجة الحتمية لذلك هى فقدان الكثير من حيائه السابق ، ويعتبر ذلك بالنسبة للمضمون الاسرائيلى بكل تأكيد على الإيديولوجية - أذية معنى - ولكن ليس مجرد جانبيه السلطة وحدها ، ولا فعالية التوصل الى حلول وسط ، هو المادة المكونة للضعافات القوية أو التصحيحات القوية .

ولا تزال هناك أزمنة أخرى - ربما تكون أشد خطورة - تخلق حزب الماهاى وأبرزها مشكلة انتقال الزمام واختيار الزعماء داخل الحزب ، وسوف نقول الكثير عنها فى فصل آخر من الكتاب (١١) . أما أكثرها مواءمة بين عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٥

على الأقل ، فقد كانت قضية لافون ، وكانت في حد ذاتها عرضاً وأيضاً تشويق  
صراعات أخرى (١٢) .

وإن أكثر هذه الصراعات تكوينا ، وتوترنا المصلحة والمهبط بين زعامة حزب المايه  
في المستديرات وزعامته في الحكومة ، حسب مركز الحزب في البلاد ، فإن لهذا الأمر  
بالإضافة إلى مصداقات أخرى داخل الحزب - أهمية كبرى بالنسبة للنظام  
السياسي ككل - أن المواقف العامة لأزمة داخلية داخل حزب حذرت أو ما يسمون  
لا يمكن مقارنتها ، بأي حال ، مع تلك التي تنتج عن أي خلل أو فوضى داخل  
حزب المايه . وقد بلغت الخللة ذروتها داخل المايه في بداية الستينيات  
مؤدية ، في النهاية ، إلى استقالة أو طرد " أنت مطرود " أنا مستقيل " بعدد من  
أبرز الزعماء بما فيهم " بن جويرون " نفسه . أما الآن فيبدو أن حزب المايه  
قد توصل إلى حل مشاكله لفترة من الوقت ، ولكن التكهينات الطابتة تكون بلا شك  
سابقة لأوانها الآن .

ونظراً لحزب المايه من مطوعة ، فيمكن القول بأن " البلاد تحب جميعها  
يسير الحزب " ، ولا يقل عن ذلك صحة القول بأن " حزب المايه يسير جميعها  
تسير الدولة " . وقد تؤثر الأزمات الحزبية في قدرة المايه على إدارة شؤون الحكم  
ولكن طالما كان رضا الجمهور عن هذه الإدارة معقولاً أمكن للمايه أن يتوقع استمرار  
تأييد الجماهير له . وحتى الآن ، فهما كانت العلاقة بين مشاكل إسرائيل الداخلية  
وقدرة حزب المايه على إدارة شؤون الحكم فقد كانت تلك العلاقة إما غامضة أو غسيرة  
ذات أهمية ، ومن ذلك نجد أنه لم يحدث إلى الآن أي تحول جماعي عن المايه ومع  
ذلك يجد ربنا أن نفترض أن يوم الحساب قد يأتي ، وأنه ان لم يستطع حزب المايه  
أن يبدأ في " توثيق بيته " أو وضع الأمور في نصابها فقد يبدأ الكثير من السكان  
في البحث عن مسكن آخر .

### حزب المابام :

ان حزب المابام الهم هو خاص أكبر الاحزاب في اسرائيل . والزم من سيطرته على تسعة مقاعد فقط من المائة والمئتين مقعدا في البرلمان ، الا أنه يجب أن يعد ضمن الاحزاب الرئيسية لأسباب عدة :

١- نظرا لأن أحزاب اسرائيل مجزأة بصورة كبيرة فان تسعة أعضاء في البرلمان يكونون تماما لاظهار الفرق بين ائتلاف قابل للاستمرار وآخر غير مستقر . وقد ضم كل ائتلاف في تاريخ الدولة حزبين على الأقل ، وأحيانا أكثر لا يمثلها أكثر من تسعة أعضاء بل وأقل من ذلك أيضا .

٢- أن مابام أحد حزبين يمكن لحزب المابام أن يتدريج مصهما نظريا لتكوين حزب اشتراكي موحد ، وحيث ان اندماج الاحزاب ( وخصوصا وحدة جبهة العمال ) قد نال الكثير من الاهتمام في اسرائيل في السنوات الأخيرة فسان ذلك يجعل للمابام أهمية كبرى .

٣- أن نسبة الاصوات التي حصل عليها في انتخابات الأعوام الأربعة الأخيرة لم تتغير تقريباً<sup>(١٢)</sup> . وتتركز قوته الأساسية في حركة كيبوز آتزي التي يعتمد منها مابام ٢٠% من أصواته الانتخابية<sup>(١٤)</sup> .

٤- يوصف حزبا يتركز على الكيبوز فانه لا يزال متمسكا بإيديولوجية العمل الرأسمالية . وحيث أن ذلك التقليد ما زال ذا أهمية في إيديولوجية البلاد العامة ، فإن التزام المابام به يفيد الحزب ، كما أنه يزيد من أهميته .

٥- واستثناءً الحزب الشيوعي فان مايايم هو الحزب الرئيسي في البلاد الذي تنهى مصالح الاقلية العربية ، وقيل الاستقلال ، كان حزب مايايم يطالب بدولة مزدوجة القومية ، ويفضلها على فكرة التقسيم ، أما موقفه الحالي فهو ضد تخفيف القيود المفروضة على العرب ، وينادى بزيادة الاهتمام بالدماج الاقلية العربية ، فيمكن بذلك موقفه السابق من العرب ، كذلك تنفيذ الحقائق السياسية الجديدة من تشجيعه على ذلك الموقف ، بحيث أن بهماج حزب مايايم السياسي قد كسب له تأييداً بارزاً بين الناخبين العرب (١٥) .

٦- بالرغم من عدم أهمية حزب مايايم الصهوية في البرلمان ، فانه أحد أصغر الحزب المشهورة في الصهيونية الثلاثة ، ونظراً لأهمية المستدريوت فان قوة الحزب داخل هذه المؤسسة تجعله حزباً مهما بطريقة أو بغيره .

وقد أسس حزب مايايم عام ١٩٤٨ كتلاف لجموعات جناح اليمانيات تحت حزب مايايم وللماركسيين الأكثر ارتودكسية ( هاغيمير هاتزاف ) من ظلوا خارج ائتلاف مايايم الأصلي سنة ١٩٢٩ ، والرغم من ظهوره في انتخابات عام ١٩٤٩ كقوى أكبر الأحزاب في الدولة ، وفي انتخابات عام ١٩٥١ كالثاني ، الا أنه لم يكن ائتلافاً مستقراً الى حد كبير ، فقد كان لكل مجموعة رئيسية حركة الكييزر الخاصة بها مما سبب الكثير من الجحور داخل الحزب الجديد ، كذلك كان لكل منها التزاماتها الايديولوجية الخاص ، ولكن أهم ما في الأمر كان مشكلة الاتحاد الصهيوني ، وقد أدت عدة أحداث ، تبدأ بمحاكمات بلو ، سنة ١٩٥١ وتنتهي " بمحاكمة الطهرسمب " ( The Doctor's Trial ) سنة ١٩٥٣ ، الى وضع حقيقة انخراط الاتحاد الصهيوني لموقف شديد العداء تجاه اسرائيل ، علاوة على تنبيه سياسة

مناهضة السامية . وقد اضطر ذلك حزب ماهاى الى ابعاد التباين فى اتجاهاته التى كانت موالية للصوفييت ، وقد كانت تلك اصابة فادحة بالنسبة للحزب حيث أن اتجاهاته سمى الداخلية كانت جزاء عضوا من نظيره الفلسفية الى العالم والتاريخ ( Wettanchauung ) . وقد تمزق الحزب أثناء فحاحه لحل تلك المشكلة الذى استغرق عدة سنوات . فانشق عنه الجناح اليسارى لينضم نهائيا الى الحزب الشيوعى بعد أن أزعجه اتجاه الماهاى الى موقف محايد . أما الجناح اليميني الممكن من أعضاء ماهاى السابقين فقد انشقوا عن الحزب لينشئوا حزبا جديدا يقع على يسار الماهاى ويمين الماهاى ، ولم يبق سوى الذيل السياسى الممكن من أعضاء الكيوتز آرتز - الذراع السياسى للحزب المسفل فى حركة الكيوتز هاغوير هاتزايير .

ومع ذلك فقد احتفظ حزب ماهاى بمركزه منذ أن أنشئته جراح أوائل الخمسينيات وقد كان ازدياد عضوية الكيوتز به أبطأ من زيادة السكان عامة ، ولكنه احتفظ بنسبة ثابتة من الأصوات الانتخابية ، مما يعنى أنه نجح فى اكتساب ناخبين جدد كما نجح أيضا فى التوصل الى حل لأكبر مشاكله . فالرغم من تماطله مع الاتحاد السوفيتى ، إلا أن سياسته الرسمية هى الحياد غير المتحاز . وللاوة على ذلك فقد أصبحت اتجاهاته الدولية أقل أهمية الى درجة ما ، مما مكن الحزب من تأكيد موقفه الكفاحى الاشتراكى فى الجبهة الداخلية ، بدون اعتماد الناخبين ممن يعارض سياسته الخارجية . والرغم من عدم وجود أى احتمال لحدوث زيادة مثيرة فى حجمه ، إلا أن سلطانه فى المستدروت وفى البرلمان - بالإضافة الى حركة الكيوتز الخاصة به - يوفر له الاستقرار والمنافع أيضا . وللاوة على ذلك فقد كان الحزب شريكا مؤقتا فى حكومة إسرائيل الائتلافية ، مما ساعده على جنى المزيد من الفوائد الباغرة . وهى أية حال ، فإن الطابع العام للحزب تغلب عليه الايديولوجية أكثر من السياسة . وقد يخالفنا زعماءه فى هذا الرأى ، ولكن مؤيديه فى الكيوتز



يخضلون النقاء الفكرى على السلطة . ومن هنا لم يكن لتجهيته الطويلة كحسب  
معارض ما ينتظر أن تسببه من سمور ياضيق والقنوط لحزب أكثر ميلا للسلطة (١٧) .

### حزب أحداث أفوداه (١٧) :

فى عام ١٩٦٥ " انحاز " حزب أحداث أفوداه الى جانب حزب ماهاى . وقد  
احتفظ الحزب بكمائه الخاص ، ولكنه كان يحمل الى جانب الماهاى فى أثناء الانتخابات  
وفى الحكومة (١٨) . وحتى ذلك الوقت كان أحداث أفوداه يتوسط الماهاى والمهايام  
فى الصورة الايديولوجية كحزب أصغر قليلا من حزب الماهام . وقد كان ذلك الحزب  
جزءا من حزب ماهاى ، ولكنه انفصل عنه فى عام ١٩٤٠ لأسباب ايدولوجية وشخصية  
وانضم بعد ذلك الى حزب ماهاى فى أعقاب أزمة حزب ماهاى فى أوائل الخمسينيات  
انفصل عن ذلك الحزب أيضا لينشئ " منظمة سواحية مستقلة " وهو يشبه الماهام فى أنه  
يعتمد معظم قوته من حركة الكهينز المؤيدة له كما يشبهه أيضا فى تمكنه من الاحتفاظ  
بقوته بالرغم من تزايد السكان (١٩) . كذلك يشترك هو الآخر فى السيطرة على  
الاستدريت ، كما ورث هو الآخر " تقليد " العمل الواحد " . أما ما يميز أحداث  
أفوداه عن ماهاى فهو " أساسا " موقفه الايديولوجى الذى يقل عنه كثيرا فى ارتزاقية  
الماركسية ، كما يقل عنه كثيرا فى اهتمامه بمشكلة الأقلية الصينية (٢٠) . والواقع أن  
حزب أحداث أفوداه هو الحزب الوحيد من بين أحزاب اليسار الذى يتخذ موقفا  
متشددا من العالم المسمى هويا ، فهو يشجع سياسة خارجية أكثر عدوانية فى الشرق  
الأوسط ، ولا يفقه فى الدعوة الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات المتوقفة الاقصى  
أحزاب اسواقيل يمينية ، وهو حزب حيرت (٢١) .

وعلى خلاف كل من حنى ماهاى وماهاى ، فإن أكبر زعامات أحداث أفوداه من  
الشباب الأصغر فى السن نسبيا ، كما أنه يضم عددا كبيرا من صفوة " الهاجاناسه "

منظمة مجتمع اليسوف الدفاعية • وتتظم هذه الصفوة المختارة فى فرقة خاصة تحصل اسم " البالماخ " ، وقد تمت فى هذه الصفوة روح عالية من التضامن والمصيبة ، مما أقلق المسئولين عن ضبط الدفاع من حزب الباي خشية أن يفيض هؤلاء قبـول نظام الجيش المركزى • وقد ازداد قلقهم بسبب ادواكهم أن بين زعماء البالماخ عددا من أكثر أبطال اسرائيل فعالية ورومانية • ونتيجة لذلك ، أمر " بن جوريون " بوصفه وزير الدفاع ، بتصفية البالماخ عند نهاية حرب الاستقلال • ومواء كان ذلك القرار سببه أيضا الخوف من منافسة سياسية داخل الجيش حيث أن حزب أحداث أفوداه كان سيطرا على البالماخ ، أو أن سببه كان الخوف من منحرفة حزب معارض على أكثر فروع الجيش اثارة ، أو أنه يرجع - بصفة أعم - الى رغبة فى تحديد الجيش سياسيا ، فمن العسير التأكد من حقيقة السبب • وقد أدى فوض تلك التصفية الى شعور بالمرارة الشديدة بين أعضاء أحداث أفوداه ، وضموا الكثيرون منهم على أنه انتقام سياسى من قبل الباي • وقد زاد من الشعور بالاستياء بفض ما باى السماح لأحداث أفوداه بممارسة أية سلطة على وزارة الدفاع ، التى ضم أحداث أفوداه بأن توجه البالماخ تؤهله لادارتها بصفة خاصة •

كذلك أدت عوامل أخرى الى ذلك الانفصال الطويل بين الحزبين ، فصار من التقليدى أن يحاضر أحداث أفوداه حزب الباي - أو على الأقل جناحه اليسيفى - فى أعراس على زيادة الالتزام الاشتراكى • وقد تم التمييز عن ذلك فى صورة الهجوم على سياسة الباي الاقتصادية ، والآخر على محاولة الحزب تغاى التضخم بتجديد الاجراءات أن أحداث أفوداه كان شريك الباي الائتلافى حتى قبل اندماج الأحزاب الاخير ، فقد أمكن منحه من مراضة الباي فى البرلمان بطريقة فعالة ولكن ماله من قسط فى زعامة المستديرت سمح له بتشجيع مطالبة العمال بزيادة أجورهم • وحتى الآن فانه يحتفظ لنفسه درجة عالية من سياسة الحزم الذاتى داخل

المستدروت كما أفلح في الحفاظ على احترام الذات من الناحية الايديولوجية — بالإضافة الى تحقيق مكاسب سياسية — بينما تغير عليه مشاركته للمبادئ تمهيداً لنتائج السياسة للخطر في عدة مجالات. وذلك يكسب أفضل ما في الناحيتين : الاخلاص للمبادئ وسطاً من الاسهام في تشكيل سياسة الحكومة ووصايتها .

### الحزب الصهيوني :

ان الحزب الصهيوني الاسرائيلي يشذ عن القياس المعتاد بمحض الشيء ، فهو الحزب السياسي الوحيد في اسرائيل الذي يعادي الصهيونية صراحة ، ويردداً أعداء موقف الاتحاد السوفيتي تجاه تشاكل الشرق الاوسط . وقبل الاستقلال وكان ذلك يعني تحييد انشاء دولة عربية مستقلة داخل فلسطين ، أما بعد الاستقلال فقد أصبح يعنى اتهام سياسة اسرائيل في كل صراع بما عر مع الدول العربية . وقد كان يظهر الى جميع محاولات اليهود على أنها قناع لاخفاء خطط الاستعمار البريطاني والأمريكي . ومن فترة قصيرة جداً انقسم الحزب الى جناحين ، يميل أحدهما ناحية موسكو وأقلية من اليهود ، ويميل الآخر تجاه يمين ومعه من الميم .

وقد ظهرت قبل ذلك الانقسام دلائل على محاولة الحزب أن يشجع موسكو وليس اتخاذ موقف أكثر ودا تجاه اسرائيل ، ولكن لم يظهر أي دليل على نجاح تلك المحاولة وظل الحزب — أو الجناح — خارج جري الحوار الايديولوجي الاسرائيلي تماماً ، وهذا فلا يوجد له أي تأثير عقدياً ، على الحياة العامة ، فلم يشترك أبداً في أي من الائتلافات الحاكمة ، كما أن مثليه في البرلمان لا يسمح لهم بشغل مقاعد في اللجان المختصة بمسائل الأمن الحساسة . وفي عام ١٩٥٥ ، أي عندما وصلت قوة الحزب المتحد الى قمته ، لم يحصل الحزب الا على ٤.١% من الأصوات الانتخابية .

ان تأييد ذلك الحزب بمشريع صعب التصرف عليه . بالرغم من أنه ليس حزباً من المعتنقين لنظرية ايدولوجية معينة فحسب . ويبدو أن أغلب الناخبين الشيوعيين من سكان الأحياء الفقيرة بالمدن ، كما أن كتلة كبيرة منهم من العرب . وفي عام ١٩٥٩ - وقد كان أسوأ أعوام الحزب حظاً في الاصوات الانتخابية - كان أكثر من ٣٠% من ناخبيه من العرب <sup>(٢٢)</sup> . وحيث أن خطة الحزب السياسية موالية للمسيح بشكل قاطع ، فإن اعتماده الكبير على تأييدهم يبدو أمراً طبيعياً . ومع ذلك فإنها بالرغم من أن الكثيرين من الناخبين الشيوعيين من العرب ، إلا أن نسبة قليلة من السكان العرب من الناخبين الشيوعيين وهنا أيضاً لا تتوفر لنا المعلومات الدقيقة ، ولكن أقل من ٢٠% من العرب ، وهما حوالي ١٥% أعطوا أصواتهم للحزب الشيوعي في انتخابات عام ١٩٥٩ <sup>(٢٣)</sup> . وهكذا ، فإن جاذبية الحزب الشيوعي ليست قوية جداً ، حتى حيث توجد لها أقوى الأصدقاء . أما بين الناخبين من اليهود فليس للشيوعيين مناطق قوة معينة ، كما أنهم يتحتمون بتأييد انتخابي ضعيف <sup>(٢٤)</sup> . والواقع أنه ليس هناك سوى سببين فقط لوضعهم ضمن قائمة الاحزاب الرئيسية :

- ١ - أنهم يجذبون بالقصل عدداً كبيراً من الناخبين العرب .
  - ٢ - كما أنهم تمكنوا - عندما وصلوا الى قمة قوتهم - من السيطرة على ٥% من المقاعد البرلمانية .
- وعلى أية حال نلاحظ أن أغلبية الناخبين العرب ينوونهم وأن عدد المقاعد البرلمانية التي يحتلونها تتألف من أهميتهم في تشكيل السياسة ، بالرغم من ضآلتها ، وحتى هذين السببين يقتضيان الى أية قوة تؤثر في تسيير الاحداث .

### حزب حيروت:

إن من أسباب ضالة ما يحزبه الحزب الصهيوني من نجاح أن حزب حيروت قد سيطر في الاستيلاء على معظم ما له من جاذبية بوصفه الحزب المصير عن احتجاج سكان المدن . وإذا كان الهاي هو حزب المؤسسة الحاكمة ، فإن حيروت هم حزب المعارضة . وقد ظلت أحزاب أخرى في موقف المعارضة لفتوات طويلة ، ولكن حزب حيروت وحده ( باستثناء الحزب الصهيوني ) لم يشترك أبدا في الحكم . وقد اتخذت أحزاب أخرى موقف الانتقاد الشديد لسياسات الحكومة ، واتهمت الهاي بالركاب أنواع الحماقات الفاحشة والأعمال المنكرة ، ولكن واحدا منها لم يفلسف انتقاداته بكل ذلك الاصور والشمول أو كل تلك المارة . ويقفاس نجاح حزب حيروت يتركز في مضاعفة للتأخمين المؤيديين بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦١ فانقل من نسبة ١٤ ٪ من الأصوات الى نسبة ١٣ ٪ و ٧٦ ٪ . وقد كان ثاني أكبر الأحزاب في إسرائيل بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٥ يساوي حزبي الهايم وأحدث أفرادها مما ، وسيطط على خمسة عشر مقعدا برلمانيا من العاثة والعشرين مقعدا . وفي عام ١٩٦٥ انضم الى جناح يمين - الوسط ( الأكثر اعتدالا ) لحزب الاحوار ، وقد سعى الائتلاف الجديد بكتلة جمال ، ونجح في الحصول على ٢١ ٪ من الأصوات الانتخابية في عام ١٩٦٥ - أي أكثر من ضعف عدد الأصوات التي حصل عليها بوصفه الحزب الذي يحتل المركز الثالث .

ويعد تاريخ حزب حيروت الى عام ١٩٢٥ ، عندما أسس واحد من أبرز زعماء الصهيونية العالمية ، وهولاديمير جابوتنسكي ، " الحركة الإصلاحية " . وكان برنامج الإصلاحيين المسام كسا تطورا يدعوا الى تفسير سياسة الصهيونية القائمة على الفصل مع بريطانيا والسفر الى ملحد تسببا بضغط النقص تجاه العرب ، يؤكد - بدلا من ذلك - زيادة الاعتماد على النفس والروح العسكرية وممارسة السلطة البريطانية علانية . وقد كان ما أثار ضغط ٣ اصلاحيين .

على وجه التحديد ، هو إقامة بريطانيا لدولة شرق الاردن من اراضي فلسطين ( وهي التي أصبحت بعد ذلك المملكة الاردنية الهاشمية ) .

وقد ترك " الاصحاحون " المنظمة الصهيونية العالمية نهائيا بعد مرور عشرين سنة على تأسيس حركتهم ، بالرغم من أن الحركة الاصلاحية كانت منظمة ذات أهمية الا أن أعمال المنظمة الصهيونية العالمية الأوضح والأكثر اثارة ومجهودات عناصر الهيئتين حجت جهودها ، فلم تحتطفت الانظار اليها قبل عام ١٩٣٠ ، فقد أسس بعض زعمائها البارزين " الارجون زفاي ليو " ، وهي منظمة عسكرية صغيرة يزيد موقفها عسكرية ضد كل من المصرب والبريطانيين عن موقف منظمة الدفاع الرسمية التابعة لليهشوف والمدرستها " الهاجاناه " .

أحدث نشوب الحرب العالمية الثانية ثغرة في موقف الارجون المهادي لبريطانيا حيث أن مهاداة بريطانيا تعنى اشعار النازيين بالاعتماد على ولم يواصل النشاط المهادي للبريطانيين أثناء الحرب سوى فرع صغير وفقر فعال نسبيا من الارجون ولكن المنظمة استأنفت نشاطها وضاعفته بعد انتهاء الحرب وحول اهتمام العالم الى مشكلة فلسطين ، فهدأت الاشتراك في عمليات تخريب منظمة ضد السلطات البريطانية ، واكتسبت جواثرا ونفعا مناصرين جدد وكثيرا من المناطق " متحقيق الاستقلال كانت الارجون قد أصبحت قوة عسكرية بارزة ، ومع أنها كانت أصغر بكثير من الهاجاناه ، إلا أن جنودها كانوا أكثر تنظيما وأفضل تسليحا ، كذلك كان الكثر من منهم يتخذون موقفا أكثر تطرفا في عدا المصرب مما كانت هيئات الدولة الجديدة الرسمية على اعتماد لثبوتها .

وخلال حرب الاستقلال ، أصبحت عدة حوادث مدي صموده تنسيق عمل جيشين منفصلين أثناء القيام بحرب واحدة ، وفي النهاية ، فرضت حكومة " بن جوريون " تصفية

منظمة الارحون ونظرا لأن الحزب كانت وشيكة الانتهاء تقريبا ، فلم يكن للتصفيصة سوى تأثير عسكري طفيف ، ولكنها كانت حدثا سياسيا من الضخامة بمكان كـهـمـيـر فانها لم تظهر قدرة الحكومة الجديدة على فرض النظام الداخلى بحسب ، ولكنها شكلت أيضا نقطة تجميع لحزب سياسى جديد ، وقد كان ذلك حزب حيروت ، وقد ظل هذا الحزب مخلصا لخطة الاصلاحيين السياسية من الناحية الايدولوجية ، محولا اهتمامه عن البريطانيين ، يـمـكـد أن رجلاوا الى العرب داخل وخارج اسرائيل . كذلك أصـر على انها سلطة المستدروت والاتجاهات الاشتراكية للحكومة ، وأولوية العناصر العمالية فى سياسة الحكومة ومؤسماتها ، وحيث أن حزب الهاياى كان له الدور الاول فى بناء سياسة الحكومة فقد شنت معظم هجمات حزب حيروت عليه . وحيث أن حزب الهاياى من جويرون على وجه التحديد كانا سبب تحطيم منظمتهم الارحون ، فقد كانت تلك الهجمات تتسم بهجوم انتقامية واضحة .

ولكن الانتقادات ترد بنفس الطريقة ، فمن وجهة نظر الهاياى يعتبر حيروت حزبا سياسيا لايميز العرقية ، فقد أظهر ذلك اندهاقه خارج المنظمة الصهيونية ، ثم بتنظيمه للأعمال الارهابية ، ثم بضره الخاصة ، ثم استمثاره فى اظهار عدم معرفته للمسئولية فى أسلوب مما يفضى فى البرلمان وما دتها .

وتتبع معظم تلك المسيرة القائمة بين الهاياى وحيروت من ذلك الصدام الشخصى والفكرى بين " مناحم بيجين " زعيم حزب حيروت منذ تأسيسه كحزب سياسى وحسبى عام ١٩٦٦ و " دافيد بن جويرون " زعيم حزب الهاياى حتى عام ١٩٦٣ ، فكسل منهما يسارياتهما الاخر امام العامة الخاصة بحقد غير عادى ، حتى بالقائمين الاصـولـية قد أدى تولد بين جويرون لرياسة الهاياى الى تنقية الجو ، مما يجمسـل قبول الاحزاب الاخرى لحزب حيروت كمتحدث مسئول اما سهل التحقيق ، وسيسـن

المحتمل جدا أنه ما كان يمكن تكوين حزب جبال الائتلاف الجديد لو أن "مسن جويرين" كان قد احتفظ بسلطته السياسية كاملة ، فقد كان أستاذنا في دفع حزب حيروت الى ذلك النوع المميز من الثورات الماطفية الذي يجعل الاحزاب الأخرى تنظر اليه بشكك (٢٥) .

وبالرغم من ذلك فإنه من المبالغة ، في تأثير ذلك الخلف الشخصي أن تنبأ بأن جميع الاحزاب الأخرى ستقبل حيروت تماما بسبب رجول "بن جويرين" فقط . وقد تتلافى جميع المبرور السلبية التي عرفت سير حيروت اذا صمد الائتلاف الجديد ، ولكن أعضاء حيروت المتحمسين ما زالوا يتخذون موقفا ايدولوجيا يمتدح الكثيرون مهترا على أحسن القدر ، وأحرق وخطيرا ، على أسوأها . برنامج الحزب السياسي يربط فكرة العمل الواحد التي تنحى على أساسها الكثيرون من زملائه الاحزاب الأخرى وأهم ما في الأمر أن حزب حيروت يتوجه بندااه الى المدمرين من سكان المدن وإلى المهاجرين القادمين من السوق الاوسط وأبنائهم ، ساعيا الى ايجاد وسيلة للتعبير عن قلقهم وضيقهم .

وهذا لا يظل الحزب ملكة خاصة لقداى الاصلاحيين من قداى رجال الارجون فان قوته الجدة تتركز بشدة على المهاجرين من لم يتم انتماءهم بعد . ومن غريب المصادفات أن خطة حيروت السياسية لم تتطلب سوى التقليل من التكسيف لكي تجذب هذه المجموعة ، فهناك كونه لموقفه العسكري تجاه الدول المهيمنة وجسد له صدى في نفوس مهاجري الشرق الاوسط من يرضون في الانفصال عن مساقط رؤوسهم وتأكيده لمداه لحزب الباباى وجد له صدى في نفوس من يشعرون بالحقد لبقائهم على البامير في وطنهم الجديد ، وسيله نحو الحكم الفردي وجد له صدى في نفوس الكثيرين من المهاجرين من لهم ميل سابق للحكم الدكتاتوري (٢٦) .



ولا يهيم أن يواجح حيرت السواحى يدعو كذلك الى انها سيطرة الهيستدروت الاقتصادية واعادة الاتجاه نحو سياسة اقتصادية حرة ، وهى مواقف يؤففسها بحسب مضامينها العملية ، على الاقل معظم مهاجرين الشرق الاوسط (٢٧) ، بقوة دفع الحزب كما يرونها - تكمن فى مجال آخر .

كذلك يعتمد حزب حيرت ، فى بعض تأييده ، على الطبقة المتوسطة الأكثر استقوارا من بين سكان المدن فمخضهم يؤيدونه بحسب اعتراضهم على دولة المفاهمة ومخضهم الآخر بحسب المسخط العام على حزب ماياى وذلك لان قوام مناضة الجناح اليمى أقل أهمية مما ذكرنا قبل اندماج حزب الاحرار مع حزب حيرت كان أمام مثل هؤلاء الاشخاص فرصة أخرى للاختيار السياسى فاذ أن حيرت يشارك حزب الاحرار فى عيى اسرائيل السياسى :

### حزب الاحرار :

لقد كان حزب الاحرار قصير العمر الى حد كبير فقد تأسس فى عام ١٩٦١ باندماج الحزبين التقدمى والصهيونى العام ، ثم انضم الى حزب حيرت فى عام ١٩٦٥ الهؤ لفا مما حزب جباله ، وذلك فانه لم يشترك الا فى الانتخابات العامة التى جرت عام ١٩٦٦ ، وفى تلك الانتخابات تساوى مع حيرت فى المركز الثانى ، وحصل على ١٤% من الأصوات تقريبا ، وحيث أن الحزبين السابقين حصلوا على ١٠,٨% من الأصوات فقط فى عام ١٩٥٩ ، فقد ظهر أن الاندماج كان ناجحا بمقياس رد الفعل الشيعى على الأقل ، ولكن الحزب الموحد كان يأمل فى شىء أفضل من ذلك . وقد كانت معظم المكاسب التى حققتها على حساب حزب ماياى وليس حزب حيرت الذى كان مؤسسه قد خططوا لجملة قلب المعارضة وكان زعماء الاحرار يعتقدون أن حزبهم هو البديل الوحيد للمباى ولكن - بدلا من ذلك وجدوا أنفسهم يشاركون حيرت

المماضة بالأسلوب التقليدي لميامة المماضة الاسرائيلية الجزئية، وسبحمسة  
عشر مقعدا في البرلمان وجد الاحرار انهم لا يستطيعون أن يتوسطوا الانحلال  
الحاكم، ولا أن يجزوا في المماضة، ولا حتى أن يصيروا أكثر مما رضى المايساي  
ظهروا \*

قد كان من المحتمل أن يتغير الموقف لو تواجد للأحرار وقت يقيمون فيه لأنفسهم  
ناصحا وكيانا خاصا في نظر الناخبين، ولكن اندماج حيزوب والأحرار وضع نهائية  
لذلك الاحتمال. ولم يكن الأحرار خلال تاريخهم القصير الأمد الا مجرد حزب آخر  
يفتقر الى التميز الذي كان من الممكن أن تضفيه عليه قوته وتبرزه في المماضة \*

ولم يخل تاريخ الحزب أو اندماجه الأخير من المشاكل، فقد ظل مقصدا  
بين جناحي اليمين واليسار، وشبه الأول الحزب الصهيوني العام، وشبه الثاني  
حزب التقدميون. والواقع أن معظم من كانوا تقدميين قد تركوا الاتحاد الجديد في  
حزب جهاال للمعيدوا، تنظم أنفسهم باسم حزب الأحرار المستقل.

وتكمن أهمية الأحرار أساسا في ارتباطهم بالطبقة المتوسطة الأعلى فليس  
اسرائيل، فقد مثل الصهاينة الصهيونيون - وهم أكبر المجموعتين في الحزب - قطاع  
الأعمال، وخصوصا عتبار رجال الأعمال، وأما التقدميون - وقد كانوا حتى اتحاد  
عام ١٩٦١ أعضاء دائمين في الائتلاف الحاكم - فانهم كانوا حزبا صغيرا مكونا من  
أصحاب المهن ورجال الفكر في أوروبا الوسطى من ذوي الميول الإصلاحية، ويمكن  
مقاومتهم عموما بحزب الأحرار الجريظاني من الناحية الايديولوجية. وبالرغم من صغر  
حجم ذلك الحزب، فقد كان له صوت ذائع ومكانة عالية بسبب ما لزعماؤه من منزلقة  
وما لطيفتهم الأخلاقية السيرة في تناول الحياة السياسية من أئرحميد. وعلى

خلاف الصهيونيين الممويين ، فقد اشتركوا في الهستدروت على الرغم من برنامجهم  
الاصلاحي ، ومن أنهم لم يتخلوا عن فكرة دولة الرفاهية أبداً ، والواقع أن اتجاههم  
الكثير ايجابية نحو قطاع العمال كان سبب انفضائهم عن الصهيونيين الممويين الذين  
زاملوهم في الأصل ، وقد كان ذلك في عام ١٩٤٨ ، كما أنهم رفضوا الاندماج  
في حزب جحال في عام ١٩٦٥ لنفس السبب . وقد ظل الاختلاف في الاتجاهات  
الأساسية يفصل بين المجموعتين داخل اتحادهما الحزبي الجديد ( جحال ) وتنتهجة  
لذلك فمن الصعب تحديد موقف حزب الأحرار الايديولوجي الا بالقول بأنه يقع في  
مكان ما الى يمين الماباي ويسار حيروت (٢٨) .

#### الأحزاب الدينية :

نصل الآن الى أحزاب اسرائيل الدينية وهي تتميز عن كل هذه الأحزاب التي  
تناولناها من قبل بالتزامها بفكرة الدولة الدينية الى حد ما . وهناك أربعة مبينين  
هذه الأحزاب تجمعت ثم أعادت تجميعها بطرائق مختلفة خلال الانتخابات الوطنية  
الخمس الماضية ، وهذه الأحزاب هي : " مزراحي " ويمكن تشبيهه تقريبا بحزب  
الأحرار في موله الاقتصادية واتجاهه العام الى الحكم الديني في مسائل الدولة  
والدين ، و"هابزويل ها مزراحي" - الذي يقترب من قطاع العمال ، ويشبه المابساى  
في نظمه الى المسائل الاقتصادية ، كما يتفق مع حزب مزراحي في الملائقة بين  
الدولة والدين ، و" أجودات اسرائيل " - وتتكون من جماعة من الأرثوذكس  
القطريين ممن عارضوا قيام الدولة وصبروا الآن على اندماج القانون الديني في  
المساكنات الرسمية ادماجاً كاملاً ، كما أنهم يريدون سياسة الأحرار الاقتصادية .  
ثم يؤاى أجودات اسرائيل " - وهو قديم أجودات اسرائيل ذي الاتجاه العمالي (٢٩)  
وقد انضمت هذه المجموعات الأربع في عام ١٩٤٩ في جبهة دينية موحدة  
فصلت على ١٢% من الأصوات الانتخابية . أما في عام ١٩٥١ فقد انقسمت

على نفسها الى اوسع مجموعات مرة أخرى فلم تحصل جميعها الا على اقل من ١١% من الأصوات الانتخابية . وقد خرج حزب هابويل هامزراحي من الانتخابات كاقوى الأحزاب الأربعة بحصوله على ثمانية مقاعد برلمانية ، بينما حصلت الأحزاب الثلاثة الأخرى مجتمعة على ستة مقاعد فقط . واليوم من احتفاظ الأحزاب بمنظوماتها منفصلة الا أن مزراحي وهابويل هامزراحي تقدما بفائضة انتخابية موحدة ففسي الانتخابات البرلمانية منذ عام ١٩٥٥ ، وقد حصل على ١٣% من الأصوات الانتخابية في عام ١٩٥٥ ، و ٨٦% في عام ١٩٥٩ ، وأصبح الحزب المشترك المديف باسم الحزب القوي الديني ثالث أكبر الأحزاب في الدولة ، ولكنه هبط الى المركز الرابع بعد تشكيل حزب الأحرار في عام ١٩٦١ باليوم من احتفاظه بشعبيته عندما حصل على ٨١% من الأصوات الانتخابية . أما في عام ١٩٦٥ فقد فاز بالمركز الثالث مرة أخرى بعد فوز حوروت والأحرار المندمجين ( جحال ) بالمركز الثاني .

وبعد حزب هابويل هامزراحي أقرب الى حزب الهاي في سياسته الاقتصادية منه الى الأحزاب الاشتراكية الأخرى لأنه أكبر المجموعتين اللتين يتكون منهما الحزب القوي الديني وهو يشبه الهاي في حيث القاعدة السريضة لمؤيديه ، والحزب القوي الديني حزب تجميعي ، يستهوى مجموعات شديدة التباين بين جسمانية الفاعلين ويشهد بفحات ذلك التأييد ثبات عدد الأصوات التي فاز بها في الانتخابات الثلاثة الماضية . والواقع أنه ، باستثناء مسألة الدين ، فان الاختلاف الرئيسي بين الحزب القوي الديني وحزب الهاي هو أن الضغوط الداخلية داخل الاول تليق عادة من الجناح اليميني في حين تنشأ هذه الضغوط من اليسار داخل حزب الهاي .

وقد كان الحزب القوي الديني عضوا في كل ائتلاف حكومي منذ عام ١٩٤٨ . وصحاركة في الحكم تمكن من استفاد تأييده للسياسة الحزبية عموما لاكتساب

سلطان واسع على القوانين الدينية • وحيث أن مثل هذه القوانين تدخل فسي مجلات لا شأن لها بالحياة الدينية • مثل نظام الأسرة وإدارة الفنادق • والمواصلات العامة • فإن لسياسات الحزب القوي الديني تأثيراً واسعاً كما أنها محل جدال واسع المطلق • ومع كل ذلك فإن مطالب الحزب معتدلة نسبياً • وخصوصاً بحقوقهم بمطالب حزبي أجودات •

يبلغ حجم حزبي أجودات مما ( أجودات إسرائيل ووالى أجودات إسرائيل ) نصف حجم الحزب القوي الديني • وفي عام ١٩٦٥ حصل متحدين على ٥٪ من الأصوات الانتخابية • مما سمح لهما بحصة نواب برلمانيين • ولكنهما - كغيرهما من أحزاب اليسار الأصغر حجماً - لا تركز أهميتهما على قوتها في البرلمان بقدر ما تركز على ما يتحتم به من ولاء مؤيديها • واستثناء الشيوعيين لا يحصل أي حزب آخر على مثل ذلك التأييد القليل في مثل هذه الدوائر الانتخابية الكثيرة • وهكذا فإن حزبي أجودات لم يحصل في انتخابات عام ١٩٥٩ على أية أصوات فسي حوالى ثلث دوائر الدولة الانتخابية • كذلك لا يوجد حزب آخر أكثر اهتماماً على منطقة واحدة في تأييده • ففي عام ١٩٥٩ حصل حزبا أجودات على ٢٢٪ من الأصوات الانتخابية من القدس وحدها • وفي مدينة لم تسهم بأكثر من ١١٪ من الأصوات التي يحصل عليها أي حزب آخر • ودخل مدينة القدس مجامع معظم تأييد أجودات من عائلات محمية • ويرى بينهما حتى يومه شيماريم (٣١) أن حزبي أجودات - وعلى الأخص حزب أجودات إسرائيل - هما - ملان المؤمنين المتدينين في إسرائيل • وكثيرهما من المؤمنين المتدينين في أي مكان لا يمكن قياس قوتها بالأعداد وحدها • أوبما يظهر من علامات القوة السياسية لقوتها تكمن في تصليهما السياسي نفسه • فلم تحتطع حكومة من الحكومات أن ترفض مطالب أجودات خشية إخراجها باتهامات القصر الديني • أو تعرضها لأعمال العنف القملي • أو الشك في ما رتبها للاضطهاد كذلك تكمن عقوتها السياسية فسي قدرتهما على تنظيم المظاهرات الجماهيرية وأخفاً • صورة مثيرة على احتشادهم •

ولا ينطبق ذلك بنفس القدر على حزب يؤول إلى أجودات إسرائيل ، الذي يميزه عن أجودات إسرائيل اتجاهه نحو الحركة المالية ، كما يميزه عنه تاريخه في المنظمة الصهيونية وقبوه أكثر من أخريات إسرائيل العامة وتنبؤ قوته مسبقاً تأييد المناطق الزراعية المحدودة أكثر من المناطق الأثوذكسية في القدس أو تل أبيب . بفضل ما يتحتم به من مزايا فقد تمكن من الاشتراك في الائتلاف الحكومي بين الحين والآخر ، بينما لم ينجح حزب أجودات إسرائيل في ذلك منذ سبتمبر عام ١٩٥٢ .

#### الأحزاب الأخرى :

إننا لم نغف ، بعد ، عن قائمة الأحزاب السياسية الإسرائيلية ، أروحتي من تلك التي تنجح في انتخاب ممثلين لها في البرلمان ، بأن عدة أحزاب عمومية متباعدة بما يهيء عادة تدخل في منافسة في كل انتخاب بين الطبيعي أن يتم انتخاب أربعة ، أو خمسة أعضاء من هذه الأحزاب مجتمعة . وعلاوة على ذلك فإن كل انتخاب عام يصغر عن أحزاب جديدة صاعدة الزوال ، غالباً ما تنحى على الارتباط المنصري ، ومع ذلك فمنذ عام ١٩٥١ لم يستطع واحد من هذه الأحزاب أن يفوز بأية مقاعد في البرلمان (٣٢)

وكيفنا هذا القدر من التقديم . أن ما يهيئنا أمم . غنا هو تقديم ممثلين الأدوار الرئيسية على مسرح الحياة الإسرائيلية ، والاسلوب الدرامي الذي يسودهم . أما الذي يحد من علاقة الممثلين ببعضهم البعض وعلاقتهم بالجمهور فلم يأت دوره بعد .

#### أهمية الأحزاب :

أن هذا الاهتمام الكبير بالأسلوب ومضمون سياسة إسرائيل الايديولوجية مهيئ على تأكيد عظم أهمية الأحزاب في النظام الإسرائيلي .

والآن يجب علينا تفسير هذا التأكيد .

وفي الواقع ، لقد لفت نظر معظم الدارسين لحياسة اسرافيل مسدى تكوين الحياة السياسية من نظام الاحزاب وعن طريقه ، حتى أن أحد المراقبين قال : " أن أحزاب اسرافيل تحتل مكانا أبرز وتمارس نفوذا أعظم منه في أية دولة أخرى ، باستثناء "بحر الدول ذات الحزب الواحد" (٣٣) والى من أن أهمية الدور الرئيسي الذي تلعبه الاحزاب الاسرائيلية قد قلت في السنوات الاخيرة الا أن اسرافيل ما زالت دولة حزبية " Parleinstaat . - دولة تقوم على أساس من الأحزاب السياسية \*

ولكي نحلل الأدلة على وجهة النظر هذه ، ينبغي أن نذكر سلفا مناقشات التكيف الاجتماعي - السياسي ورسم السياسة التي صيرت بها في الفصول التالية . أما في مرحلتنا هذه فتكفي عدة أمثلة : ( ١ ) تخصص بقاعد في الائتلاف الحاكم لأعضاء الائتلاف حسب قوتهم البرلمانية ، وحيث يكون الائتلاف الحاكم مكونا من عدة أطراف ، بصورة خاصة ، فتخلق مراكز وزارة جديدة أو يلغى بعضها المراكز القديمة حتى يتحقق التناسق الحزبي ( The party key ) ، ويعمى آخره تخصيص العدد المناسب من الوزارات لكل حزب في الائتلاف الحكومي حسب قوته النسبية في البرلمان ، و ( ٢ ) لا يقف أي مرشح في البرلمان بمفرده ، فان انتخاب يصوت للحزب وليس للمرشح ، و ( ٣ ) تتم الانتخابات في الهندوت (منظمة العمال الاسرائيلية القوية ) بواسطة قوائم حزبية مشابهة لتلك التي تعمل في الانتخابات العامة و ( ٤ ) هناك عنصر الأدلة على أن المهاجرين الجدد يتسم " تقسيمهم " بين مختلف الأحزاب حسب القوة النسبية لكل منها ، و ( ٥ ) ينتمى معظم الصحف ، ومنظمات الشباب ، والمنظمات الرياضية ، الى الأحزاب كما ينتمى

المها كذلك معظم المستوطنات الزراعية التماضية والجماعية • و (٦) وحسب التقديرات الممتدة • فن أحزاب اسرائيل أنفقت ثمانية ملايين من السدولارات كمصروفات لحملات الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٦١ • وبالنسبة للفرد الواحد • فان هذه تكون أعلى من نسبة المصروفات في أية دولة أخرى ( فاذا كانت انتخابات الولايات المتحدة تتضمن مصروفات يمثل هذا الارتفاع • فان مجموع ما يكون قد صرف على الانتخابات فيها في عام ١٩٦٤ يقارب ثمانمائة مليون دولار • والواقع أن المبلغ المنصرف أقل من ذلك بكثير بالرغم من أن عدد المرشحين المشتركين في حملات الولايات المتحدة الانتخابية يزيد عدة مرات عنه في اسرائيل ) •

ان الدور الرئيسي الذي تلعبه الأحزاب الاسرائيلية هو • بالطبع • استجابة للدور الرئيسي الذي خصه مؤسسو اسرائيل للموقف الايدولوجي • فحيث تكون للحزب فلسفة شمس البلم والحضارة فانه يتخذ معنى خاصا جدا • ولكن المهيول الايدولوجية ليست وحدها سبب ما الأحزاب اسرائيل من أهمية كبيرة • فهناك • على الأقل • عاملان آخران يجب أخذهما في الاعتبار : الأول عرقي • والثاني تاريخي •

النظام الانتخابي : تجرى الانتخابات البرلمانية في اسرائيل حسب نظام قوائم التمثيل النسبي • فيقدم كل حزب للنوابين قائمة بمرشحين لمقاعد البرلمان المائة والعشرين • ويختار الناخب قائمة لحزب يأكلها كل بدلا من المرشحين كأفراد ويمثل كل حزب في البرلمان حسب نسبة الأصوات التي تحصل عليها قائمة • وهناك بلاد أخرى تنهج أنظمة مماثلة • ولكن اسرائيل ظلت حتى وقت قريب • الدولة الوحيدة التي توجد بها دائرة انتخابية واحدة فقط • فان نفس القوائم تقدم لكل الناخبين في الدولة بصرف النظر عن أي مكان يقيمون فيه داخل البلاد • وطالما يتمكن الحزب من الحصول على أكثر من ١% من مجموع الأصوات الانتخابية فانه يضمن تمثله في البرلمان • وعلى خلاف النظام الذي يفوز فيه الحزب الفائز بكل شيء • حيث تميل أحزاب الأقلية الدائمة الى الانكماش لأنها نادرا ما يكون لديها ما يقوم



دليلا على تحقيق شيء من مجهوداتها الانتخابية - فان التمثيل التمثيلي يعطى  
للأحزاب الأقلية فرصة للمشاركة في الحكم بقدر ما ، مهما كان حجمها صغيرا .

ومع ذلك فقد يميل الناخبون الى الشخصيات أكثر من ميلهم الى البرامج السياسية  
للأحزاب . والواقع أن قوائم الأحزاب تمتد بعناية ناعقة لكي تتضمن أسماء أكبر  
الأشخاص شعبية ، وكثيرا ما يكون التأكيد في نشرات الحملات الانتخابية على  
الأشخاص أكثر منه على البرنامج السياسي لأي حزب . ومن ذلك أن شعار حزب  
الماباي في انتخابات عام ١٩٥٩ كان : ( قل " نعم " للشيخ الكبير ) ، إشارة الى  
زعامة " بن جوريون " للحزب ولقائمه . وبالمثل ، فان أحد أهداف الحرس على هذا  
جهود كثيرة ، بصورة تقليدية ، لاسترضاء " بن جوريون " في كل ما يشترك فيه من  
خلافات داخل الحزب - حتى بعد اعتزاله - كان بدافع الخوف من ألا يسمح للحزب  
بوضع اسمه على رأس قائمته في الانتخابات القادمة . والواقع أن هناك دليلا ما على  
أن معظم التأييد لحزب الماباي مصدره زعامة " بن جوريون " له ، فقد صرح ٢٥%  
من مؤيدي الحزب - في استفتاء أجرى عام ١٩٦١ - بأن سبب تأييدهم للماباي هو  
أنه حزب " بن جوريون " ( ٣٥ ) ( ويغلب أن يكون هؤلاء من بين أقل المؤيديين  
تقليدا أو أكثرهم تدينا ، أما بين المجموعات الأكثر عصية فان البرنامج السياسي  
للحزب يكون السبب الرئيسي لتأييدهم له ) .

وبالرغم من ذلك كله فان معظم قادة الحزب يزعمون أن اختيار الناخب يقوم  
عادة على رضاه عن الحزب ككل أكثر من رضاه عن هذا المرشح أو ذاك ، ولكن مركز  
" بن جوريون " بالنسبة للحزب استثنائي ، ان لم يكن فريدا في نوعه . وبالرغم مما  
يتمتع به العديد من الزعماء السياسيين للأحزاب المختلفة من تأييد شخصي ، فان  
" الشخصية " كعامل مؤثر في الحملات الانتخابية والمجادلات ، وربما أيضا في  
مداولات الناخبين ، ليس لها من التأكيد ما تناله في الولايات المتحدة مثلا .

وقد لا يكون ذلك ، في حد ذاته ، نتيجة لنظام الانتخابات الاسرائيلي ، فمن الممكن مناقشة عدة تفسيرات بديلة تؤكد أهمية أخلاقيات النظام البرلماني ، أو أهمية نزوات الجمهور تجاه المسائل المهمة ، أو أي عامل آخر . ولمنوا الحظ أن محاولات عزل تأثيرات الانواع المختلفة للنظام الانتخابية لم تحقق فوائد تذكر على العموم ، ومع ذلك فسواء اخترنا معالجة نظام الانتخابات بوصفه المتغير الحرج المستقل أو لسم نفعل ذلك فليس هناك شك في أنه يشجع ويمرر أهمية الاحزاب في النظام السياسي ولا تظهر آثاره في عدم أهمية المرشحين النسبية فحسب ، ولكنها تنلهر أيضا في قوة منظمات الحزب الرئيسية .

واللجنة المركزية للحزب ( أو ما يعادلها ) هي التي تضع قائمة المرشحين للبرلمان . ووضع قائمة برلمانية يتضمن أمرين : هل يجب وضع هذا المرشح أو ذلك ضمن قائمة الحزب ؟ وان كان ذلك واجبا فأين مكانه في القائمة ؟ ويمكن لكل حزب التأكد جيدا من عدد المقاعد البرلمانية المحتمل أن يفوز بها ، فالحزب الذي اعتاد الحصول على ١٠% من الأصوات الانتخابية في كل الانتخابات السابقة قد يمكنه استنتاج أن أول ٨% أو ٩% من قائمته - أي الأسماء المشرة أو الأحد عشر اسما الأولى - سوف تدخل البرلمان بالتأكيد ، وان لم تكن هناك ظروف خاصة فقد يمكنه بعد ذلك أن يستنتج أن ال ٨.٥% الأخيرة من قائمته لن تكون أمامها أية فرصة للفوز في الانتخابات . فالمرائر المحتملة ، إذن ، تتراوح بين الاسمين الحادي عشر والثامن عشر . ولمنظمة الحزب حق تقرير وضع اسم أي مرشح في أي قسم من قائمته : قسم الفائزين المؤكدين ، أو الخاسرين المؤكدين ، أو الوسط . ومن الواضح أن هذا يضيء على المنظمة قوة كبيرة .

ويزيد النظام الانتخابي من قوة الأحزاب بطرائق أخرى كذلك ، فليس نسي اسرائيل إعادة للانتخابات أو انتخابات غرضية ( by-elections ) فإذا توفي أو استقال أحد أعضاء البرلمان فمن المعتاد أن يحتل مكانه أول شخص في الجانب

الخاسر من قائمة الحزب التابع له العضو المتوفى أو المستقيل للانتخابات الأخيرة • وكذلك الحال مع الانتخابات المحلية أيضا • فإن المرشح ينتخب كممثل عن حزبه لا عن شخصه • وبذلك فمن الممكن لمنظمة الحزب نظريا • وعليا أحيانا • أن تقبل التناوب المطينين ( من أعضاء هذا الحزب ) بمجرد التصريح بأنهم لم يعودوا يتمتعون بثقة الحزب • وفي مثل هذه الحالة لا يكون هناك داع لاجراء انتخاب جديد لأن الحزب يقوم بتعيين البديل من واقع قائمته •

السبب التاريخي : ان السبب الايدولوجي لأهمية الاحزاب يأتي مباشرة من تصور الحزب كحركة • فاذا كان التقليد السياسي لا ينظر الى الحزب بوصفه مجرد مخاض على السلطة وإنما أهم من ذلك بوصفه حاملا للواء الحق • فإنه يترتب على ذلك أن الترتيبات المرفوعة سوف تكون مصركة الايدولوجيات المتصارعة أكثر مما تكون صراع الشخصيات السياسية الرئيسية •

وهناك • بالإضافة الى ذلك • مصدر تاريخي قوي لسيطرة الاحزاب وقوتها • ففى السنوات الأولى للاستقلال استندت الموجات المتدفقة من المهاجرين • بصورة • قدرة البلاد على استيعابهم • فلم تتوافر المساكن والمدارس والعناية الطبية والمالة كما أن الدولة لم تكن قادرة على توفير هيئة خاصة بها من الموظفين الأكفاء لمساعدة المهاجرين الجدد على تخلى الثغرات الواضحة بين حياتهم القديمة وحياتهم الجديدة • وقد كانت أحزاب اسرائيل أكثر من مستعدة لشغل هذا الفراغ • فبان ثواب ذلك العمل بالنسبة اليهم كان فى هذا المالم كما سيكون فى المالم الآخر • فقد كان فى استطاعتهم أن يسهوا فى حل مشكلة انسانية ملحة بتولى قسط من مسؤولية خدمة الوادين الجدد • وأن يسهوا • بالمثل • فى كسب أنصار جدد من أجل القضية •

وهكذا أصبح الحزب وسيلة رئيسية لادماج المهاجرين • وأصبح الولاء للحزب سبيلا للولاء للدولة الجديدة فى كثير من الأحيان • وحيث أن الاحزاب • فى تلك

الفترة ، كانت لا تزال تحمل بعض المسؤوليات الادارية - ومن أبرزها التعليم ، وكان من مسؤولياتها في فترة ما قبل الدولة - فقد نشأ شىء أشبه بالنظام الفيدرالى الذى تأهب فيه الأحزاب أدوار الولايات حتى أنه من الممكن جدا النظر الى المشاركة المستمرة حول تحويل السلطة من الأحزاب الى الدولة كصورة من الصورة الأمريكية حول حقوق الولايات (٣) .

وقد نتجت ظاهرة " الفيدرالية داخل دولة وحدوية " بسبب ميل الأحزاب الايديولوجية قبل عام ١٩٤٨ ومطالب فترة ما بعد الاستقلال مباشرة ، ومع ذلك فقد نتجت أيضا من ذلك التطور المرفى الخاص للمجتمع اليهودى خلال فترة الانتداب البريطانى ، فقد أقام مجتمع الليشوف مؤسسات لمعالجة مختلف مشاكل المجتمع اليهودى النامى . ومن أبرز هذه المؤسسات الهيئات ، والوكالة اليهودية ، والأحزاب الجديدة ، ثم الهاجاناه ( أو المنظمة العسكرية المرية التى صارت نواة لقوات الدفاع الاسرائيلية بعد ذلك بنال ) . وكما رأينا ، فإن بريطانيا لم تهتم بتولى مسؤوليات الحكم التقليدية ، بل أنها - حتى ذات الوقت - كانت تخشى السماح لليشوف بمركزة كل السلطات الحاكمة فتتج من ذلك حالة من الأمر الواقع لا يمكنها السيطرة عليها . ونتيجة لذلك ، تحملت كل من مؤسسات الليشوف الرئيسية بعض مسؤوليات الحكومة ، فزاد الهيئات من رقعة الدور التقليدى للثقافة العمالية ( والواقع أن النشاط النقابى لم يكن من نشاطات الرئيسية ) وذلك بتنظيم برنامج للتأمين الصحى القومى ، وتشجيع الاستثمار الاقتصادى ، وبالطبع بمعاونات المجهودات الميرية لتدمير القبود التى غرضها بريطانيا حول تطور الليشوف . أما الوكالة اليهودية فقد قامت بموضفها المتحدث الرسمى لليشوف - باجرا - المفاوضات مع بريطانيا والدول الاجنبية باسم المجتمع اليهودى كما أنها تولت المسؤولية الرئيسية للهجرة ، الشرعية وغير الشرعية على السواء .

وبتقرير الاستقلال لم يعد هناك خط واضح ليهين أى الوظائف يقع فعلا داخل

نطاق الدولة ، وأيها يترك للمؤسسات التي تولتها من قبل . واختصار ، فخلال حرب الاستقلال كانت هناك مشكلة الدفاع القومي ، حيث أن وحدات المنظمة الارهابية الرئيسية كانت منفصلة عن البهاجائه . ولكن النجاح في حل هذه المسألة لصالح الدولة لم يجد نفعا في سبيل حل شبهاتها في مجالات الحياة القومية الأخرى ، فقد حدث نزاع كثير حول مجالات التعليم ، والهجرة ، والمنايا الطبية ، وسياسة الأجور ، وغيرها خلال السنوات التالية ، كما أن بعض المسائل ما زال معلقا . وقد تم التوصل الى قرارات تحدد توسيع سلطة الدولة في بعض المجالات بسهولة نسبية ، وفي غير تلك المجالات استأنفت المؤسسات مسئولياتها شبه الحكومية أو تركتها للدولة على كره منها ومع الشك في قدرة الحكومة على ادارتها بصورة دائمة . ومن ذلك نرى أن الأحزاب السياسية ليست وحدها الفريدة في تنوع اهتماماتها وسلطاتها ، فان عدة وكالات تشاركها تلك الصفات ، ومن أبرزها الهيئدوت ، مما يخلق ما يطلق عليه عدة مراقبين اسم " النظام القطاعي الجديد " . وهذا النظام - بالنسبة لاحدى وجهات النظر - يعتبر نتيجة لقوة دفع تاريخية ، فهو بقية تكملة ، وان كانت زائفة ، لظروف فترة ما قبل الاستقلال الخاصة . ومن المحتمل ، مع ذلك ، أن نفسرها بطريقة مختلفة نوعا ، تؤكد - بدلا من ذلك - الغرض التاريخية لحياة اليهود الطائفة . والشك في الحكومة المركزية وسلطة الدولة اللذين تملوهم من الاضطهاد الأوروى . وعلى وجه الخصوص ، فان تلك الشكوك كانت صيقة الجذور بين المستوطنين الاوائل من كانوا ينظرون الى الصهيونية باعتبارها قضية روحانية أكثر منها سياسية ولم يكونوا أبدا شديدي التأثير بالاستقلال القومي في حد ذاته ، فقد كانوا يلتصبون تحقيق آمالهم عند حاملي الرسالة الروحية - عند الهيئدوت ، وحركة الكيبوتسز - أو هذا الحزب أو ذاك . أما الدولة فقد كانت على أحسن القروض - أحدى وسائل الخلاص المعديدة وواحدة من أقلها تأكيداً لذلك .

ومن المهم جدا التمييز بين نظرة المرء الى مراكز السلطة المتوفرة في اسرائيل

على أنها حدث تاريخي هابر ، ونظرت اليها على أنها اختيار واع للآباء المؤسسين للدولة . فمن وجهة النظر الأولى ، لا يوجد ما يدهو الى الأسف فى التوسع الواضح لسلطة الدولة ، ولا يوجد أى سبب لافتراض أن هذا التوسع قد يصادف عراقيل بأية طريقة . أما ان اتخذنا وجهة النظر الثانية ، فان شرعية الدولة وسلطتها تصبحان محل تساؤل وجدال وهى تتولى مسئوليات جديدة ، كما أن هناك أسبابا كثيرة لافتراض أن أية سلطة جديدة تطالب بها الدولة ستكون محل جدال طويل واسع .

وقد يميل القارئ الأمريكى الى النظر الى هذه المناقشة على أساس مضمون التداول فى بلادنا حيث أن التشابه واضح فى تكرار الجدل بين المنادين بالسلطة الفيدرالية وأولئك الذين يحذرون توزيعا أكبر للسلطة ، ولكن التشابه أغرب من الايضاح والتوضيح : ففي المقام الأول ، نجد أن المنادين بتوزيع السلطة فى اسرائيل من اليسار انسياسى ، ويمثل هؤلاء الحركة العمالية ، وهى أقوى جماعة نظمت قبل الاستقلال ، ومن ثم فهى أنجحها فى الحكم الذاتى منذ ذلك الوقت . أما الهستدروت — أكبر وأبرز مؤسسة غير حكومية فى البلاد — فهى وليدة هذه الجماعة وتقابل أى محاولات للتمددى على مجالات نفوذها ببرود تام . ويقوم اليمين السياسى بمثل هذه المحاولات عادة ، ساعيا بذلك الى اضعاف نفوذ الهستدروت بتحويل بعض وظائفها الى الدولة .

أما فى المقام الثانى فان الحوار فى اسرائيل لا يكون بين مستويات الحكومة المختلفة ، ولكن بين الحكومة والمنظمات الخاصة . وان كون هذه المنظمات مهتمة برفاحية البلاد ومستقبلها وفتوحة وديموقراطية يخلق اختلافا كبيرا بطبيعة الحال ، ولكنها تظل مؤسسات خاصة . فعندما ترى مؤسسة الهستدروت أنه ليعرن الحصانة تأييد سياسة الأجور التى تدير عليها وزارة المالية ، أو تختلف مع الوزارة حول تفسير الصالح العام ، فانها تملك طريقها الخاص . ويرجع الأمر جزئيا ، السى أن الكثيرين من رجال اسرائيل يشتغلون فى صناعات تملكها المؤسسة ، مما يمكنها من

## الميطرة الفعالة على سياسة الحكومة الاقتصادية •

وأخيراً ، فإن المسألة لا تصل إلى الواقع إلى حد ضرورة توزيع السلطة إذ لا يجد المرء إلا القليلين ممن يعتقدون بأن توسيع السلطة مرغوب فيه في حد ذاته ، ولكن الرأي الغالب هو أن الدولة ليست أوثق مصادر السلطة • ومن غير المعقول أن تادى مؤسسة المستدروت بتوزيع السلطة حيث أنها قد تجد سلاحها مصمماً إلى صدرها بوصفها أكثر وأخطر مراكز السلطة تركيزاً في البلاد • وينطبق نفس القول ولو بدرجة أقل — على المؤسسات الأخرى التي لا تزال تناقص الحكومة على السلطة ، وهي : الوكالة اليهودية ، والأحزاب ، وحركة الكيبوتز إلى حد ما • وعلاوة على ذلك فإن الحكومة نفسها " لا تملك " سلطة حتى توزيعها ، كما أن بعض السلطات التي ترتبط بالحكم عادة لم تمنح للدولة أبداً ، وهذه هي المشكلة الحقيقية •

ومطبعة الحال ، يدعم ذلك كله أكثر فأكثر ذلك الجو الإيديولوجي السابق الذي تحدثنا عنه فيما سبق ، فإن الإيمان الراسخ بأن الغنظمة أو المؤسسة أو الحركة التي يتبناها المرء هي صاحبة الحقيقة المظلمة يؤدي إلى القور إلى رفض مطلق للسماح للحكومة — صاحبة الحق الشامل الطبيعي — بفرض حقيقتها ، وهذا بالطبع إذا لم تكن الحركة التي يتبناها المرء هي المسيطرة على الحكم •

وقد اتسعت قوة الدولة وسيطرتها بإطراد منذ الاستقلال ، دليل على انهيار الأيديولوجية القديمة • ولكن لا تزال هناك بعض المجالات حيث لا تزال قوة الدولة وسلطانها محدودتين ، بطريقة رسمية أو غير رسمية •

حزب الهايبي ، مرة أخرى : إن لكل من المؤسسات المياسية الرئيسية فسي أسرائيل حياتها الخاصة بها ، ولكنها ليست مستقلة عن بعضها البعض بأي حال من الأحوال ، فإن جميع زعاماتها تتجدد من نفس المصدر ، وإن كان باختلافات واستثنائات بسيطة • في حالات كثيرة ، أن يقوم رجل واحد بدورين

أو ثلاثة أدوار مختلفة في المنظمات • وأهم ما في الأمر أن القوة الغالبة في كل منها تأتي من نفس الحزب السياسي (٣٧) •

وهذا الحزب ، بالطبع ، هو الماباي • تملئ كل من يبحث عن مصدر السلطة في إسرائيل — سواء لأغراض تحليلية أو استراتجية — أن يتجه إلى حزب الماباي أولاً •

وإذا كان ينبغي الاتجاه إلى الماباي فلأنه من الاتجاه إلى لجنة الماباي المركزية ، فإن منطق الوضع يقول بأن السيطرة على أحزاب إسرائيل الجيدة التنظيم تأتي من القوة • وكما عرفنا من قبل ، فإن اللجنة المركزية هي التي تتخذ القرارات بشأن من يتم انتخابهم لتشكيل الماباي في البرلمان • فإذا وقع خلاف بين وزير الماباي في الحكومة ووزراء الماباي في الهيستدروت فإن تصفية الخلاف تتم أخيراً في اللجنة المركزية للحزب • فإذا رغبت جماعة من الماباي في تحقيق هدف سياسي مباشر فإنها لا تجد أي معنى لمحاولة التأثير على أعضاء وفد الحزب البرلماني ، إذ أن ذلك الوفد يصوت لكلمة وحسب تعليمات الوزراء • من أعضاء الماباي ، كما أن هؤلاء الوزراء يعكسون سياسة الحزب كما تمت صياغتها داخل اللجنة المركزية حيث يكون صوتهم أقوى صوت بهيمة الحال •

ومع ذلك ، فإنا نقول ، مرة ثانية ، أن من السهل أن نبالغ ، إذ أن الماباي أقل أحزاب إسرائيل وحدوية ، كما أنه يسيطر على عدد من المؤسسات المختلفة ، فإن اللجنة المركزية ، على الأقل ، مجموعة من الزعماء المستقلين ، تربط بينهم صلات مفككة ، بقدر ما هي هيئة متحدة ومتنافسة قادرة على اتخاذ القرارات ، فهي تشتمل على جماعة من الهيستدروت ، وجماعة من الكيبوتز ، وجماعة من البرلمان ، وجماعة من الحكومة ، وجماعات تمثل الماباي في مدن الدولة الرئيسية الثلاث • وهكذا ، وبالرغم من أن معظم السياسة الماباي لإسرائيل يتم تشكيلها في مجالس حزب الماباي ، بدلاً من تشكيلها في الاجتماعات الأكثر هومية ، فإن أولئك الذين يصفونهم يمثلون مصالح



مختلفة ، ينافس بعضها البعض بالضرورة .

ويعتبر رئيس الوزارة القائمة صوت الحزب الرسمي ، ولكن حريته في الممسل تحدها مراكز القوة الكبيرة المتساوية داخل حزبه نفسه . وإلى حد ما ، فإن هذه المراكز المختلفة مسؤولة عن طهيمة حزب الماباي التجميعية . وعلى خلاف الوضع في بريطانيا ، فليس هناك سابقة تدل على إمكان تحدث رئيس الوزراء وحده باسم الحكومة . وفي نفس الوقت ، فعلى غرار النظام البريطاني ، يملك رئيس الوزراء السلاح السياسي المطلق ، وهو تقديم استقالته . واستقالته هو وحده يمكنها إسقاط الحكومة بأكملها . وحيث أن الماباي — بحسب كبر حجمه ومركزه الرئيسي في الصورة السياسية — يمكنه توفير قاعدة لبناء حكومة جديدة ، فإن استقالة رئيس وزراء الماباي تفرض على الحزب أن يختار بين الموافقة على مطالب زعيمه والسماح له ، بالتالي ، بإعادة تشكيل حكومته . وبين دخول الانتخابات كحزب منقسم على نفسه . وقد ترددوا في ذلك الاختيار . أحزاب أخرى أكثر اهتماما بنقاء مبادئها ، ولكن الماباي لم يفعل ذلك في الماضي . فترئيس الوزراء غالبا ما يكون الفائز حتما ( ٣٨ ) .

وما زال هناك الكثير لنقله عن حزب الماباي ، مثل تصادم الأجيال داخل الحزب ، ودور " بن جويون " والتوتر السائد بين زعماء الحكومة من أعضاء الماباي وزعماء المستدروت من أعضائه — وكلها أشياء يجب شرحها بالتفصيل . ولكننا ذكرنا الآن ما يكفي لتقدمها ، ويمكننا استكمال ما يجب سرد ، كجزء من القصة نفسها ، من النظام وهو يعطي — وذلك ما نتحول إليه الآن .

كان اهتمامنا في الجزء الأول بمقاييس التشابه - التاريخي والاجتماعي -  
والايدولوجي - للنظام السياسي ، ونحول الآن الى عالم الأمر السياسي -  
المحددة ، الى مسائل مثل كيفية تدارك المولد والقسم السياسي ، وكيفية تقسيم  
المعلومات السياسية ، وكيفية تدعيم المصالح والاهتمامات والتعبير عنها ، وكيفية  
تجنيد الزملاء ، وإجراء الانتخابات ، واتخاذ القرارات ، ان الأنماط التي ندمناها  
فيما سبق تظهر مرات ومرات فيما يلي :

انهما جزءان لقصة واحدة وليسا تحتين منفصلتين ، فالثقافة السياسية ،  
بمعد تفهمها كما يجب ، ليست مجرد مهيار متخلف تلحق به ، كيفما اتفق أيسرة  
الاحرة خاني النظام تعتقد أنها مهمة ، ولا تعرف الى وجه التأكيد ما يجب أن نفعله  
بها ، بل نرى من بقاء الرابطة بين الثقافة والبناء فاعضا ، بطرائق عدة مهمة ، فليس  
يجوز اتخاذ السبيل السهل ثم احماله كلية ، وبالرغم مما في الاتحاد الكامل  
على الاستنتاجات الواضحة من مخاطر كبيرة ، فان الجائزة المتصورة - وهي فهم  
أدق بكثير - لاشل عنها تأثيرا .

الجزء الثاني

كيف يعمل النظام



## الفصل الرابع

### التكليف السياسي

- " من أين أنت يا مردخاي ؟      أنا من إيران •  
 من أين أنت يا مسيتر ؟      أنا أيضا من إيران •
- ان مردخاي واستر من إيران •  
 من أين أنت يا شسيفن ؟      أنا من بولندا •  
 ويكوف ؟      انه أيضا من بولندا •  
 أنا وهو من بولندا •  
 وبانا • من أين هي ؟      انها من فرنسا •
- أنت من العراق • من بغداد • • وهو من إيران • وهي من فرنسا •  
 ونحن الآن : أنت وأنا وهو هي • •
- في اسرائيل •  
 حمدا لله •
- • • من الدرس الأول في كتاب النصوص المصيرية المقررة على المبتدئين •

- - -

ان عبارة " التكليف السياسي " تشير الى الدوافع التي يتعلم بها الناس السياسة • وهي • بشكل عام • تثير السؤال من تعلم " ماذا ؟ ولين ؟ وبأي طريقة ؟ وبأي تأثير ؟ " داخل عالم السياسة •

وان اتضح السؤال نفسه يمنحنا من مناقشة كل المتغيرات التي يشير إليها بالتفصيل . وكل من سبيل المثال ، فاننا اذا حاولنا تعريف القائمين بعملية التكييف فسنلجأ أن نصرف بأن عملية التكييف - حيثما تجرى - لا تتم الا جزئيا فقط بواسطة الهيئات الرسمية ، بينما يترك الجزء الأكبر منها للتعامل " الطبيعي " : لثروة الجيران ، وللأخطا المائلي ، وللتثقيف المصام . ان ما يتم تدريسه رسميا دائما ما يكون أقل بكثير مما يتم تعلمه فعلا ، ان لم يكن أقل منه أهمية . وفي نفس الوقت ، فان المعلومات الخائبة بالجهل - الرسمية في مجال التكييف السياسي الرسمى تتوافر بسهولة أكثر مما تتوافر البيانات من الأجهزة الرسمية وكثيرا ما تكون النتيجة زيادة التأكيد على المصل الرسمى على حساب غير الرسمى .

وبالمثل ، فلا يمكن لمجموعة واحدة أن تكون دائما لجميع مجهودات التكييف بالرغم من أن مناقشات التكييف السياسي تركز بصورة تقليدية على دور الأسس والمدرسة في تعليم الصغار . ففي إسرائيل ، يجب على الأهل توسيع مجال المناقشات ، حيث أن المهاجر البالغ يشبه الدغل من نواحي كثيرة ، فهو أيضا يجب أن يتعلم كيف يجد طريقه داخل النظام السياسي ، ويجب أن يتعرف على الرموز السياسية ، كما يجب أن يفهم يتقبل قيم النظام السياسي .

ومرة أخرى ، فاننا عندما نختبر ما يجرى تعليمه يتضح لنا أن التكييف السياسي قد يعود الى مراجع مختلفة . والنسبة للدول الجديدة تهتم على وجه الخصوص ، بكيفية تعليم الأفراد الانتماء الى الدولة نفسها بصرف النظر تماما من ألقائهم بمكوناتها السياسية . وقد يكون الارتباط بفكرة القومية وبالرموز المتعلقة بهذه الفكرة غاية في القوة ، في نفس الوقت الذي لا قبل نفسه مبادئ مؤسسة سياسية معينة . ومع ذلك فيجب علينا ألا نستنتج ، لهذا

السبب ، أن تناهز المولاه يسير في اتجاه واحد مع تقدم المولاه التوبى لنفسه ، من الالتزام بأنماط معينة دائما . وقد يكون هذا التدور الطبيعي بالنسبة لبعض الناس ، ولكن من المحتمل ، بالنسبة لغيرهم ، أن ينمو الاوتاد بالدولة من خلال الارتباط بعلاقاتها الأخرى . وتصبح هذه العواصم نفسها ، من ثم ، عوامل للتكيف مع الشخصية التوبية .

كيف يتم التعليم ؟ من الواضح أن الاجابة تعتمد على من يقوم بالتعليم . وعلى أى حال ، فهل المدرس ضعيفة أم بيئة سليمة ؟ وإلى أى مدى يكون الجهد مغلفا بالوعي بالذات ؟ وعلى النور من الدروس تبرز أفعال الحكومة أم لتتبع سياسة الجماعة غير فيها ؟ وهل هي عكس الداعة أو المساواة ؟ أم تبشى تنمية شعور ايجابى فعدا أو تنمية متدرة لتى يكون للتقييم العندلقى أثره ؟

وأخيرا ، فإن تأثيرات عملية التكيف مختلفة . وكما يعتمد أسلوب التعليم على المعلم ، فإن أسلوب التعليم يعتمد على الداليل ، فالتجارب والمضمار يستجيبون بطريقتين مختلفتين وكذلك الحال مع الشوشين والشربيين ، وهسى كذلك مع أولئك القادمين من داخل امارات ديمقراطية وأولئك الذين همسعد جذورهم الى مجتمعات دكتاتورية . كيف يستجيب الناس فى الواقع للتداسام السياسى كثن ؟ وكيف يستجيبون لأجرائه ؟ كيف يرون أدوارهم داخل التداسام وباعتبار ، ماهى الدروس التى يتعلمونها ؟

ليس هناك داح لمناقشة كل من هذه المتغيرات على حدة ، وسوف نقسف ، بدلا من ذلك ، عند التركيبات الأكثر أهمية .

## الأسرة كعامل تكيف

الأرد ، في كل المجتمعات قريبا ، فهو عامل التكيف الأساسي . فبها السلطة داخل الأسرة يقدم للطفل تجربته الأولى لمناقشة مع السلطة ، كما أن القيم والتوقعات التي تتعلمها تلك التجربة كثيرا ما ترجع مباشرة إلى الطرائق أكثر تجريدا ، وبالأخص النظام السياسي نفسه . وكما أن الطفل يصبح أبا للمرة فإن أنماط السلطة داخل الأسرة تكون أبا للانسان السياسي .

ولا يقتصر دور الأسرة في التكيف السياسي على ما تلقنه من دروس قيمة لأبنائها من الطاعة ، والولاء ، والتمتع ، والشواب ، والمقاب ، وما إلى ذلك . فالأسرة تلقن دروسا بمرحلة أبدا ، فهي تقدم للطفل معلومات أساسية عن عالم السياسة ، وتشكل سلوكه وآراءه تجاه كل ما هو سياسي .

الأسرة الشوئية : وكما هو متوقع ، فإن هناك اختلافات بارزة بين الأسر الاسرائيلية ذات الأهل النزيه والآخرى ذات الأهل الشرقي . وعلى العموم ، فإن الأسرة الشوئية أكثر اتجاهها إلى التسلسل ، في النظام والايديولوجية طويلا ، وتظهر العلاقة المباشرة بين نظام الأسرة وايديولوجيتها في هذا الجذر من حديث أجري مع شيخ إيراني وهو أب لثلاثي عشر من الأبناء ، من مهاجري ما بعد الاستقلال (١) :

س : كيف يمكنك أن تشارن بين حياتك في اسرائيل وحياتك في إيران ؟

ج : هناك كنت ملثا ، وهناك كان الناس ينصتون عندما كنت أتكلم .

وهناك كان أبنائي يطيعون عندما كنت أمرهم ، وهناك لم يتم



المجالات والمناقشات عندما كنت أترجم أمرا . أما هنا . . هنا هدنا  
ديموقراطية .

يبين هذا الحديث نقطة أخرى كذلك . ان الأجرة الشرعية تمنى أقصى  
صحيته في التأقلم مع البيئة الجديدة بسبب هذه الغزوة التملطية نفسها ،  
فان ما أتلق ذلك الأب الايوانى على وجه الخصوص ، هو عيان أكبر أبناءه  
من يد وأنهم قد اختاروا القيم الجديدة والمبادئ الأكثر تماحا في اسرائيل ،  
ربما يكون قد تناهى أيضا من صلب سلطه كما تفارق الكثيرون من مهاجرين  
الشرق الأوسط التقليديين . وحيث أن المعتاد أن يكون الانحال أسرى من  
آبائهم في الثقافة اللغة الجديدة ، فانهم غالبا ما يقعون بدور الوسيط  
بين الأسرة والبيروقراطية . وهناك مجالات أخرى أيضا يثمر فيها الطفل على  
بلده الجديد بطريقة أصق وأكمل وأكثر طيفية من والديه . وتزداد غريزة  
الأبناء من آباءهم وتتخذ على بعضها البعض ، فيزداد تحول الابناء الى جهات  
أخرى يستمدون منها التوجيه ، ويصبح الآباء أقل قدرة على المشاركة في هجرة  
أبنائهم ، أو حتى تفهمهم . وحيث أن أسرة الشرق الأوسط تميل الى حكم  
الأب تقليديا ، فان الخيار يهدد نفس الأسرة ، نظام الأسرة . ولذلك فانا ، هنا ،  
لا نواجه مذاب الحيرة فقد ، ولكننا نواجه القلة أزميتين : أزمة المديونية  
مع أزمة الهجرة ( أى اعادة التثقيف ) فكل واحدة منهما من عوامل التفرق على  
حد ذاتها ، أما كلاهما معا فعامل قبول وحافز .

وقد جمع " هادلي كاتزويل " بيانات تتضمن معنى التأكيد للمخاوف الخاصة  
التي تخلق بان الأسرة الشرقية . وقد سفلت " هيئة قوية " من الاسرائيليين  
أن تذكر مخاوفها وآمالها الخاصة وأكبر مخاوفها وآمالها بشأن الأمة ، وتسد

جاءت الاجابات متشابهة تقريبا في أغلب الحالات . ولكن هناك استثناء واحدا يبرز من بينها . فالمهاجرين الشرقيين يذكرون مخاوف شديدة أكثر بكثير مما يذكره المهاجرون الغربيين . وحتى جزء من ذلك الاختلاف الى ما يحاينه الشرقيون من قلق أكبر بالنسبة للمساكن الاقتصادية ، ولكن أغلبهم يرجع الى اهتمامهم الزائد بالأسرة ، فاهتمام الشرقي بالآثار يفوق اهتمام الغربي بنسبة ٢٦ الى ١٠ . فيذكر الأبناء كمصدر للخوف الشخصي بنسبة أكبر ، كما أن ٢٣ % من الشرقيين يخافون حياة فائقة برصيدة ، وذلك خوف لم يعبأ به سوى ٧ % من الغربيين .

ومع ذلك فالأسرة أقوى الهياكل الاجتماعية سمودا . وهذا ما يحدث التفسير فانه يقع في مكان آخر أولا ، ثم يتسرب الى العلاقة بين الآباء والأبناء تبعاً بعد . ولغروب مثلاً بالمناقشات السياسية : فالمناقشات السياسية في اسرائيل فائمة تدل على المديونية والتكافل الاجتماعي . وقد أظهر أحد الاستفتاءات أن ذوي الميول التقليدية ( وأغلبهم من الشرقيين ) يشعرون في مثل هذه المناقشات ، سواء مع الأسرة أو مع الأصدقاء ، بنسبة تقل كثيراً من الأشخاص المديريين ( وأغلبهم من الغربيين ) (٢) . أما الانتقاليين ، وهم أولئك الذين بدأوا في التخلص من مفاهيم التقليديه ، والتحرك تجاه الجور المديري الذي يسود البلاد ، فقد اختلفت اجاباتهم بطريقة مثيرة للنتاية . فانهم لم يناقشوا أمور السياسة داخل محيط العائلة مثل التقليديين ، بل كانوا أقرب الى المحررين فونصة مناقشتهم أمور السياسة مع الأصدقاء . ومثل الجدول رقم (٤ - أ) هذه الملاحظات :

جدول ( ٤ - أ )  
نسبة تكرار المنشآت السياسية  
(نسبة مئة)

بيان	التقليديون	الانتقاليون	المدرسون	المجموع
<u>مع الأسرة</u>				
كثاها أو أحياناً	٢٦	٢٧	٤٧	٣٧
نادراً أو أبداً	٧٤	٧٣	٤٣	٦٣
<u>مع الأصدقاء :</u>				
كثاها أو أحياناً	٤٠	٦٥	٧٩	٦١
نادراً أو أبداً	٦٠	٣٥	٢١	٣٩

عندما تبدأ التقليد في الصحف فإن منها يبدأ خارج الأسرة • والتقاليد  
بأنسبة للمهاجرين الشرقيين معناها التقاليد السلطانية •

وبذلك يكون تعاملنا هنا مع صلية معقدة نحتم علينا أن تأخذ في اعتبارنا  
على السوء الشباب التقليدي المعتمد من قيم آبائهم • ومحاولة الآباء المحافظة على  
هذه القيم والتقاليد ونقلها إلى الأبناء • ولتسهيل الشرح • سوف نركز الآن على  
ما يجرى تعليمه بدلاً مما يعرف • وسوف نحقق هذا الهدف فيما بعد • عندما  
نتناقص آثار التكيف •

من الواضح أن أسلوب تنصيب الأسر التقليدية لأبنائها أسلوب تسلطى  
 أى أن قواعد اللعبة " الضمنية " التى تتخذها الأسر التقليدية تؤكد أهمية  
 الطاعة والوفاء والمقاب والسلطة ، والقدر . ولا تثل التلميحات المربحة  
 من ذلك مخالفة للمبادئ الديمقراطية ، ولكن بمزاولة المرة تلو المرة ، والمسألة  
 تلو المسألة ، فإن الأسر التقليدية تهذب " ثقافتها الوطنية " . والتقليديون  
 يفضلون الزمامة الثرية لرجل واحد على دالم الأحزاب المتنافسة ، كما أن نسبة  
 احساسهم بالحريات المدنية تثل كثيرا ، وكذلك فهم لا يبدون اهتماما كبيرا  
 بالسياسة (٣) . يوافق ٨٠ ٪ على عبارة أنه من الأفضل أن يكون لنا حشد  
 قليل من الزمامة الأقوية بدلا من الأحزاب السياسية . " وتلك عبارة لم يوافق عليها  
 سوى ٢٨ ٪ من المستجيبين المصريين . كما أن ٧٢ ٪ يوافقون على عبارة  
 " لا توجد أى ضرورة لوجود الأحزاب السياسية فى دولة راسخة الأسس " . بينما  
 وافق عليها ١٠ ٪ فقط من المصريين . وكذلك وافق ٩٠ ٪ على عبارة  
 " أن ما نحتاجه أكثر من أى شئ آخر هو زعيم نرى ليقول لنا ماذا نفعل " بينما  
 وافق عليها ٢٥ ٪ فقط من المصريين .

ولكن تحليل الأسر التقليدية من قيمة مبادئ السياسة الديمقراطية  
 لا يعنى أنهم يرفضون إسرائيل نفسها ، ولا يقتل من ولائهم لوطئهم الجديسند  
 أن أكثرهم وفد الى إسرائيل بدافع الاضطراب والضرورة لانه اختيار . كذلك  
 لم يكن لخيبة الأمل فى توقعاتهم أثر فى ذلك . وقد تكون خيبة الأمل هذه  
 شيئا حقيقيا جدا ، سواء كان أساسها نوع التجربة التى ذكرها الشيخ الايرانى  
 ليما سبق ، أو غيرها مثل ما ذكره ايرانى آخر بقوله : " عندما جاءوا من

من اسرائيل وقالوا : هاجر الى اسرائيل — رأيت أن المدينة لم يمد إليها  
أى يهود ، فقلت أن هذه هي أرض آبائى ، وليست ايران ، وإنما اسرائيل  
وحدها ، وأن حالى سوف تكون هنا أفضل منها فى ايران ، ولم أكن أعرف  
أنها ستكون أسوأ . ومع ذلك فقد كان ذلك الرجل شديد التعلق " بأرض آبائه " .  
كما أكد بشدة على ضرورة أن هذا هو وطنه الحقيقى الوحيد .

وهكذا كان حال الكثيرين غيره ممن يشاركونه خيبة الأمل سواء فى مستقبل  
المسيحية أو فى الصلات الأخرى ، أو فيما يرضونه من شرقة . ولكن روحانيه  
الأرض المقدسة ، وعودة الميلاد القوي ، وجمع شمل المنفيين تمد تمييزها  
كبيرا من ذلك كله . وهنا أيضا تقدم بيانات كالتفصيل أدلة على ذلك ، فمقدم مسائل  
الأفراد أن يقدموا مدى سعادتهم فى الماضى وفى الحاضر كان الشرعيين أساسا  
كآية من الخزيين ، ولكن عندما دُلب اليهم أن يتبأوا بمدى سعادتهم بمسند  
مؤرخ خمس سنوات كان الشرعيين هم الذين تتبأوا بأهم تقدم مما يشهد من نفس  
المستوى الذى تتبأ به الشرعيين لأنفسهم . وهما يكن الشرع الذى يخلق  
الشرع فإنه لا يبدو تهاددا أساسيا من الدولة نفسها .

والواقع أن الأدلة قليلة على أن التهادد مفهوم يفيد فى مناقشة كيفية  
استجابة الشرعيين التقليديين لاسرائيل أو لندائها السياسى . وإن ما يمسدو  
لأول وجهة كآية إنكار اجتماعى للنداء السياسى ليس إنكارا بقدر ما هو عدم مشاركة  
مقرون بسوء فهم لما تعنيه السياسة الديمقراطية . وعلى العموم فإن ما يستتج من  
آرائهم السياسية من خلال تلك الاستفتاءات لصينات المجتمع ليس له أهمية كبيرة ،  
لأنه يختص بموضوعات لم يفكر التقليديون فيها إلا نادرا ، ومن هنا فمن غير  
المحتمل أن يهتم التقليديون اهتماما كبيرا بهذه الاستجابات الصريحة التى ذكرناها

هنا في معاملاتهم مع صفارهم ؟

ولكل هذه الأسباب فإن الاعتقاد السائد لدى الحكومة هو وجوب أن تتولى بنفسها مسؤولية تكيف الصفار معخصيه الوالد التقليدى حيثما أمكن ذلك . وهذا الاعتقاد سريخ للنهاية ، وقد تم التمييز بمرور فترة من الوقت في المبدأ القائل بأن المهاجرين الباليين ، وبخاصة من الشرق الأوسط ، هم " جيئل المسحره " وليسوا المادة الصالحة لإعادة الميلاد ( النهضة ) . وفي نفس الوقت تكثرت جهود كبيرة لتكيف جيئل الباليين لجعلهم أداة للتكيف السى جانب كونهم مجالالسه .

ولسدينا الكثير لنقول عن المجهودات الفاعلة من هذه المحاولات ومن تأثيرها ، ولتتنا نحن مقصدين أن لم نشرح موضوع الأسرة كصامل في مستعمرة الكيبوتز . فبالرغم من عثر عدد سكان الكيبوتز ، إلا أن دورها التاريخى في الدولسنة كان لا يتناسب مع حجمها . أضف الى ذلك أن الكيبوتز بها كانت أكبر مثال صامد لمخبر الأسرة الملهوى لعملية التكيف لصالح المسئولية الجماعية .

أسرة الكيبوتز : في أغلب مستعمرات الكيبوتز البالغ عددها أكثر من مائتين ( تضم ٣٢ ٪ من سكان البلاد ) لاتتم تربية الأطفال في بيوت آبائهم ، بل في بيت جماعى مع غيرهم من الأطفال من نفس الأعمار . فنفسند جد انتهم ينأمن وأكلون ويدرسون في هذه البيوت الخاصة بالأطفال ، كما أنهم يمضون عدة ساعات كل يوم مع آبائهم . وليست هناك أية محاولة لانكار الأسرة الطبيعىة . ولكن الأسرة أقل نفوذا كما أن مجموعة الكبار أكثر نفوذا منها في أى تنظيم تقليدى آخر . ( ٤ )

كذلك فإن مجموعة الكبار أكثر اتصالاً بهيئات الكمبيوتر الوسمية ، وذلك  
يسهل استكمال التجربة الأساسية للمعيشة الجماعية ، بكل ما تتضمنه من دروس  
ايدولوجية ، منهية ، برنامج تعليمي شامل يؤكد قيم وايدولوجية الكمبيوتر  
وحيث أن النضام بأكمله طوي ، أى أن الكمبيوتر الحربى تثير الناس  
فى أى وقت ، كما أن لأهله الحرية فى ترك الكمبيوتر إذا لم يكونوا راضين  
فيه ، ولذلك فإن أسرار الكمبيوتر التقليدية تزيد من تشجيع الايدولوجية  
الجماعية .

واحد نتائج ذلك أن أطفال الكمبيوتر يميلون الى الايدولوجية أكثر  
من معاصريهم من أطفال المدن . وفى دراسة كاتريل كان تصوير أهله  
الكمبيوتر من اهتمامات ايدولوجية واضحة ، بين تصويرهم من آمالهم ومخاوفهم  
الشخصية والقومية ، أكثر مما حل فيه بين غير الأهله . أما النتيجة الثانية  
فهي أن أهله الكمبيوتر أكثر تجانساً فى ايدولوجيتهم . وأخيراً - ربما أهم  
مافى الأمر - أن أهله الكمبيوتر يحبون أنفسهم أسعد بكثير من باقى السكان ،  
ويتدلى ذلك على طريقة حسابهم لمدى محبتهم فى العائى وفى الحاضر وفى  
المستقبل ، كما أنه يتدلى - بدرجة أقل بعض الشيء - بالنسبة للأهله  
الأخرون .

وتدلى هذه البيانات على مدى نجاح الكمبيوتر فى مد واستمرار طريقته  
فى الحياة بواسطة عملية التكيف . وبالرغم من احتمال صحة هذا الاستنتاج  
صوماً ، إلا أن هناك تعقيدات ضرورية . فمن الواضح أن دراسة كاتريل لم  
تشمل أولئك الذين ولدوا فى الكمبيوتر ثم تركوه بعد ذلك ، سواء الى المدن  
أو الى أى نوع آخر من الحياة الزراعية . وحيث أن مثل هذا " الارتداد " يحدث  
بصورة متكررة ، وحيث أنه الطريقة التى يخرج بها من لم يتكيفوا جيداً مع مجتمع

النيوتز ، فانه من الطبيعي جدا أن يبدو الباحثون على مثل هذه الدرجـة  
المالية من التكيف .

وبصرف النظر عن هذه المشكلة شبه المنهجية فهناك أيضا احترام آخر  
يؤدى به ذلك التفسير ، فلم يطلب الى من اختبروا " تـمـيـنـات للمجتمع " أن  
يقيموا سمادتهم الخاصة وحسب ، بل أن يحددوا أيضا درجات لانجازات الأمة  
( درجة لمقالة الأمة وقت التفسير ) ، ودرجة لفترة ما قبل خمس سنوات ، ودرجة  
لما بعد خمس سنوات ( ) . وقد كان أهـلـه الكيـبوتز أكثر ايجابية في تقييم الماضي  
من مجموع " الحينة " ، بالرغم من أن متوسط تقييمهم للأمة كان أقل بكثير من  
متوسط تقييمهم لسمادتهم المادية . وقد ازدادت الهوة اتساعا بين سكان الكيبوتز  
وباقى السكان الماديين بشكل واضح عند تقييمهم للمستقبل ، ان تنبأ أهـلـه  
الكيـبوتز بمستوى للانجازات أدنى بكثير مما تنبأ به غيرهم . وبما يثير الاهتمام بوجه  
خاص ذلك القارق بين أهـلـه الكيـبوتز فوق سن الثلاثين وأولئك الذين يقلون من  
الثلاثين ، فان المجموعة الأكبر سنا حتى الآن تأكدا بشأن الحاضر والأفضل تفاؤلا  
بالنسبة للمستقبل . ودعى المجموعة الأصغر سنا فانها تنبأ بمصر المشؤم من مما حاربها  
خارج الكيبوتز بالنسبة للمستقبل وان كان القارق دقيقا مع أنه كبير جدا بين أفراد  
الجيل الأكبر سنا .

لماذا يمكن الأمر على هذه الصورة ؟ ان الكيبوتز مشروخ ناتج من وجهة  
النظر الاقتصادية الموضوعية ، فلقد دامت فترة أطول من أى تجربة مماثلة  
فى الأنظمة الاشتراكية المعترف بها ، كما أنها كانت دائما اختياريا بحتا . وبحق  
للجيل الأكبر سنا أن يفخر بانجازاتها ، انه من الواضح أن الكيبوتز كانت مصدر  
أثر زبطلت ما قبل الدولة من ناحية الأثر والروح المعنوية على الصـة . وقد



صعدت الكمبيوتر لأزمة أوائل الخمسينات عندما عمق عدد كبير من مستثمرين الكمبيوتر عندما بدأ " الارتداد " يثير مشكلة خطيرة. الآن لما هي الأسباب التي تجعل الجيل الأكبر منا مثل تلك النخوة الكثيرة ، ولماذا لا يشارك الجيل الأصغر منا تلك النخوة ؟

لا توجد اجابة تلك السؤال فيما واجهته مستثمرات الكمبيوتر من أزمات ظاهرة خلال السنوات الثلاثين الماضية . ولكنها توجد في الأزمات الايديولوجية العميقة . والأمر يعتنى البساطة هو أن الكمبيوتر لم تعد لها نفس الأهمية التي كانت لها من قبل . فقد تظل معتقة لأسلوب صحي للحياة - أسلوب تماما انساني أمين وهادف ، ولكن أهمية دورها في الدولة انقلت من المركز الى المحيط ، فأصبح أبناء المدن لا يفكرون في الانضمام الى الكمبيوتر بمسند اتمامهم للخدمة العسكرية . بل لقد أصبحت النخوة العامة الى الكمبيوتر توحى بأنها مجتمع غريب ، وأصبح مجتمع المدن يفخر اليها " مكان ينطرح لأن يقضى فيه الأبناء طاما أو عامين " ، لا كبدل جدي لأساليب الحياة التقليدية .

وفي خلال الجدل المستمر حول أسباب انخفاض أهمية الكمبيوتر ، يفترض البعض أنه نتيجة حتمية لاتساح البيروقراطية أو الهجرة الجماعية . كذلك يفترض غيرهم أن الحكومة هي المسؤولة عن ذلك . فقد أصبحت الاشتراكية عمود فلسفي أنها مجرد وسيلة أخرى لإدارة أعمال الحكومة ، وليس باعتبارها أسلوبا للحياة . وفي هذا العدد اتخذت الحكومة قرارا بالانتماء عن الاعتماد على طويصة البيروقراطية ، والاتجاه الى ما يعرف " بالتشاورية ملامحتين " ( ومنها ما هو الحرفي " قيادة الدولة " State Pioneering ) . ويمكن هذا القرار

على المنداق المفادى بإنشاء شبكة مستحركات كيبوتز جديدة ليمر لها علاقة بالاشتراكية بميزاتها المبررة ، وإنما تؤكد - بدلا من ذلك - فوائده الأمن لإنشاء مستوطنات جديدة في منداق الحدود . وأما هنا وهناك أو تلك الذين يلتصقون بالعلم من انخفاض أهمية الكيبوتز على الكيبوتز نفسها ، مبررين مفادهم بأنها قد فشلت بمسألة توفير التصدي لتحديات الدولة ( في مجالات استحباب المهاجرين ، أو التصنيع ، أو دعم المهنيين داخل بناء الكيبوتز ، أو توفير تعليم أعلى للضاربين ) ، وتبعا لذلك المنداق فإن نظام الكيبوتز يدعج واحدا من أكثر أنظمة المجتمع الاسرائيلي محافظة وهو بذلك أبعد من أن يكون المجدد المرادى كالي لذلك المجتمع .

والواقع أن أى مجموعة من هذه الحجج صحيحة فإنها جميعا تمكن أزمة المعنى الحقيقية التي تحدث بالكيبوتز الآن . وبدون أزمة الأزمة - السبب الأول للتقييم الذي قدمه الجيل الأكبر منا ، ويمكن قراءة هذا التقييم على النحو التالي : " أن الأمور تسير سيورا حسنا تماما إلى الحد الذي يمتدني شخصيا . وأنا لأرى أى سبب لتوقع عدم استمرارها على هذا المفعول أو أن تتحسن بالفعل . ولكن الأمة تمناني من أزمة ترجع إلى انهيار القيم القديمة ، ويفكر ذلك في مشاكل الكيبوتز نفسها إلى حد ما ، ولكنه يبدو أيضا في المدن حيث صار أغلب اهتمام الناس موجها للطاق والمركز والميت . وأنا لأرى علاجا سريعا ، وبالضيق سوف تتقدم الأمة ماديا خلال السنوات الخمس القادمة . ولكن التقدم الحقيقي لا يمكن قياسه عن طريق النمو الاقتصادي أو زيادة عدد السكان فقط ، أودعي عن طريق إيجاد علاقات أكثر صلابة مع جيراننا العرب . أن التقدم الحقيقي يتطلب عودة إلى العمل الرائد وتجديده له ، فإذا لم نجد

حالا لتدهور قيم اليبشور، ونصعد أنفسنا في مآزق مخيف .

ولا يمكن أن تمنى نازة الجيل الأحداث ، الأكثر شدة في المستقبل ، أنه أكثر غمولا بالنسبة للولوج إلى القيم القديمة ، فلا أحد يحشد ذلك ممكنا .  
واذن فان معناها أن ذلك الجيل لا يشعر بأهمية تلك القيم بنفسه ، ودرجة شعور آباءه ، أو أنه يتعلق بها بطريقة مختلفة تماما .  
والحالي ، فاما أن هليسة التكيف لم تكن ناجحة تماما ، أو أنها كانت " أنجح من اللازم " ، وقد يشعر المرء بأن الجيل الواصل قد أجاده مهمة تربية جيل جديد على الحسابات البيئية الايديولوجية إلى درجة أصبحت بها الايديولوجية شيئا لا يفصل عن الحياة بالنسبة للشعوب .  
لقد أصبح الحمار المحرق للسنوات الأولى ، روتينيا وجزءا من أسلوب الحياة القائم ، والحالي أسلوبها الدنيوي ، فليس هناك تذكير يذوق ولا علم يرفرف ، ولا هناك تفرد .  
ان المرء يولد في الكمبيوتر ويحيا فيها ، وهذه نهاية الأمر تقريبا .

تقريبا ، وليس تماما ، وليس بعد ، أيضا ، فان المشروع بأكمله مازال يشعر من أن يواجه ذلك كله ، ومازال تجربة انسانية بارزة لدرجة لا يصبح أن يدماغ مصها بالعلم ، وان كان قد فقد مكانه الفريد تحت الشمس ، فليس السبب هو خسوف الشمس بقدر ما هو وجود شعوب كثيرة الآن ، بمنزلة يزيد اثراتها من غيره في الوقت الحالي على الأمل .

ومن حين الحدث أن مهمتنا هنا ليست التنوير ، ستسير عليه الكمبيوتر صوما في المستقبل .  
فعلينا الآن أن نلتفت الأنوار إلى التجديد الذي قدمه الكمبيوتر للتكيف السياسي ، وأن نفكر .  
بذلك أن الكمبيوتر قد لامت نجاحا كبيرا وانجا في هذا المجال .

### المدرسة كعامل تنميط

يبدؤ المجتمع أحدى مجهوداته في سبيل تنميط البشار داخل المدرسة ،  
 فهنا تدرس طائفة المواطن الصالح ، وتلقن المعلومات السياسية الأساسية ،  
 والحس الى اجماع الرأي ، معنى كما في حالة الغزاة ، أن دخول الافعال من  
 الهيئات الاجتماعية والاقتصادية والخدمية المختلفة نفس المدرسة أمر واجب ، كما  
 أنه من حق كما في حالة تعزيز منهج دراسي يؤكد التاريخ واللغة المشتركين مساهمة  
 على التربية الوطنية . ولكن عند اسرافيل في تلك التجربة الاجتماعية والسياسية  
 يؤثر بشدة على طريقة قيام المدارس بوظيفتها .

التقسيم المدرسي كخبرة تعليمية : ان التعليم في اسرافيل مجانس  
 واجباري . خلال المرحلة الابتدائية (حتى ١٤ سنة ) ، والتنام شامل لدراسة  
 كبيرة ، فان ٩٨٣ تلام من بين كل ألف، تتراوح أعمارهم بين ست سنوات وثلاث  
 عشرة سنة يلتحقون بالمدارس ، ويصل ذلك الى حوالي ١٦ ٪ من مجموع سكان  
 البلاد . أما بعد المرحلة الابتدائية فلا توجد شبكة متسقة من المدارس الثانوية  
 تشمل تحولا تعليميا مهديا ، أو مدارس ثمانية أو مدارس قيسية  
 ذات اتجاهات دراسية أكاديمية . وبالرغم من ارتفاع تكاليف الالتحاق بمثل هذه  
 المدارس (سروقات التعليم وتقدان الدخل المحتمل على الوجه ) ، فان نصف  
 من تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والخامسة عشرة يلتحقون بالمدارس بمسند  
 المرحلة الابتدائية . وبالرغم من وجود غارث ، وانح بين نهاية الدراسة الابتدائية  
 وأول صفوف الدراسة التالية لها ، والمبسوط المستمر في عدد التلاميذ بمسند  
 ذلك ، فان معظم الأطفال يحصلون على قسط من التعليم بعد الحف الثامن على  
 الأقل . (٥)

وهذه الأرقام تمثل التوسع السريع في خدمات التعليم الثانى ، على عام ١٩٥١ - ١٩٥٢ كان ٢٣ ٪ من مجموعة ١٤ - ١٧ عاماً متدربين نفسى المدارس ، على حين التحق ٤٧ ٪ منهم بالمدارس خلال العام الدراسى ١٩٦٤ - ١٩٦٥ . وتشير الناحية الحالية للتعليم بعد المرحلة الابتدائية الى أن ذلك التوسع فى سبيل الاستمرار ، كما أنه من المنتظر أن يصبح التعليم الثانى مجانياً ربما يصبح اجبارياً أيضاً فى المستقبل القريب .

ومع ذلك تبقى اختلافات خطيرة بين تعليم الأطفال الشرقيين والشرقيين ، ويكون مصاحباً ثقافياً فى المرحلة الابتدائية . أن المنزل الشرقى مزدحم ، مما يجعل من الصعب على الطفل أن يستذكر دروسه ، كما أن الأسرة الشرقية أقل تكريساً للتعليم وأقل مقدرة على مساعدة الطفل فى عمله المدرسى . كذلك فإن المهارات والمعارف التى تلقى فى المدارس أقل ارتباطاً بثقافة الشرقى . وفلاوة على ذلك فهناك واقع من التقسيم السكى للمجموعات المدرسية مما يحصل مدارس كثيرة الى مراكز تجمع لواحدة أو الأخرى من المجموعتين المدرسيين الرئيسيين . وأخيراً ، فإن المدرسين أنفسهم غريبون بدرجة مريبة ، وبالرغم من تزايد نسبة المدرسين الشرقيين كل عام فإنها لا تزال ٢٥ ٪ من مجموع المدرسين الأجانب أصلاً . وحيث أن أكثر من نصف تلاميذ المدارس الابتدائية ( ٥٥ ٪ ) شرقيو الأصل فإن عدم التقارب يترجم جلياً ، كما أن جذور المعلم الثقافية تلحق أثره تقديمه للمناهج وخروجها فى المواضيع الأكثر حساسية .

والأمر أسوأ حالاً فى المرحلة بعد الابتدائية ، فهنا نجد أنه عمالوة على الصوامل التى سبق ذكرها فإن الفوارق الاقتصادية بين المجتمعين مؤثرة على نسبة الالتحاق بالمدارس . وقد أصبحت الأرقام الآن مزرقة للجميع ، فيسجل

مواليد اسرائيل من أبناء الشرقيين أعلى نسبة في الالتحاق بالمدارس إذ أن ٧٠ % من مرحلة ١٤ - ١٧ عاماً يدرسون في أي نوع من التعليم بعد الابتدائي ، يليهم في المرتبة أفراد الجيل الاسرائيلي الثالث (٥٥ %) ثم أبناء المهاجرين الشرقيين ٤٩ % (٦) ثم مواليد اسرائيل من أبناء الشرقيين (٣٨ %) والمهاجرين الشرقيين ٢٦ % (٧) أنف الى ذلك أن أكثر من نصف التلاميذ الشرقيين الملتحقين بالمدارس الثانوية يلتحقون بالمدارس الثانوية العلمية ، أما بين التلاميذ الشرقيين فإن الرثم يزيد قليلا من الثلث .

وتظهر آثار هذه الفوارق العنصرية بصورة مقزاةة في درجة الدراسة

الجامعية ، فخلال العام الدراسي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ كان ١١٨٨٧ طالبا يدرسون للحصول على الدرجات الأولى في مهاد اسرائيل المختلفة للدراسات العليا ، وقد كان ٤٢ % من هؤلاء من الجيل الثاني الاسرائيلي الشرقي ، كما كان ٢٧ % من أبناء المهاجرين الشرقيين و ٦ % من الجيل الثالث و ١٣ % من أصل غير معروف ويأتي بعد ذلك ١٢ % يمثلها المجموع الكلية للطلبة من أصل شرقي ، بينهم أكثر من ثلاثمائة من الجيل الثاني الشرقي ، وألف ومائة من المهاجرين الشرقيين يوجد ٨٦ من الطلبة الشرقيين من الجيلين الأول والثاني يدرسون لدرجات عليا من بين ٣٠٠٠ طالب (٨) . وطالوة على ذلك فإن نسبة ترك الدراسة بين الطلبة الشرقيين عالية جدا ، فهي تبلغ أكثر من ٥٠ % .

إن هذه الفروق بين المجتمعين من ناحية التحصيل العلمي تفسر أن الوظائف التي تتطلب دراسة خاصة أو تدريباً مهنياً تكون من حيز غالبى

الحمل الخريين بأريئة أوتوماتيكية . ولو كان ميل اليشوف الى العمل الجسماني واليدوي ما زال ساددا لما كان ذلك الوضع يشل مشكلة الناصرة ، ولئن المركز والمكانة يتسبان ، يسهو مغايدة ، من الأيدي الدافئة بفعل الصورة السبق حدثت في الولايات المتحدة . وهكذا الأمر تماما مع الدخل ، وبذلك تذلل المسألة الدائرة وتستمر .

التشاكل المنصري كحيلة تعليمية : بالرغم من كل هذه المشاكل ، فإن أغلب الآباء الاسرائيليين يعتبرون التعليم مفتاحا لاتمام جسر بين التسميين المتدينين . وحيث أن اقامة هذا الجسر من الأهداف ذات الأولوية التي تساندها اهتماما بالغا يمحى للسياسة التعليمية . وهكذا ، فقد أنشئت بناديق خاصة للملح الدراسية لمؤنة الشباب الشرثيين بعد المرحلة الابتدائية ، كما أن وزارة التعليم والثقافة تقدم نوطا من التخفيضات في المدرجات الدراسية لأكثر من خمسين ألف تلميذ شرثي في المدارس الثانوية . كذلك تبذل مجهودات جبارة لتوسيع التعليم السابق على المرحلة الابتدائية للتصوير جزئيا من الحرفان الثقافي . وكذلك يتزايد التأكيد على التجارب العلمية والثقافة المدرسية وزيرها من المسائل لرفع مستوى القدرات التعليمية بين صغار الشرثيين .

كذلك كانت المناهج الدراسية محل الاهتمام . وقد شرع منذ بضعة سنين العمل على تشجيع الاندماج من طريق التأكيد على المواد ذات الأهداف والمعنى بالنسبة لأغلبية كل المجموعات المنصرية ، ويقضى ذلك تأكيد التاريخ الديني على حساب التاريخ اليهودي لشرق أوروبا . وقد اتفقت تلك الخطوة الى الوراء ، في مبدأ الأمر ، بحساس بالغ لدرجة خلقت معها صورة غير مرضية . ان لم تكن مشوهة — للتاريخ اليهودي . وهذا ما تبين أن الدولة لا يتخبرسون

وهم على جهل بأجزاء كبيرة من التاريخ خارج غلمايين لحصص بل وهم أيضا على درنة كبيرة من التحيز ضد أدب وتم سلوك مائة جميل من اليهود ، أميد التأكيد على التاريخ اليهودي بعد العهد التوراتي. واليهام أصبحت التفرقة جزوا رئيسيا من مقر العلوم الانسانية ، وتستخدم كصوص لمواد التاريخ والادب والجغرافيا واللغة ، ولكن تجنب دراسة التاريخ الأكثر حداثة من ذلك لم يعد له نفس بقة الاكلام .

ومع ذلك ، وبالرغم من المجهودات المختلفة - وقد كانت ولا تزال هشة في أبعادها وتطبيقاتها - فلا تزال هناك مشاكل حرجة تتقارح . وليس من ذلك بسبب تعقدها أو ارتفاع تكاليفها ، بل ان المسألة الرئيسية هي ذلك المنهج حول ما يمتيه الاندماج : فهل الهدف هو بوثقة تقع فيها كسل موصوفة من طائر اسرائيل الثقافية المختلفة أنزل ما في ما فيها الثاني له لبق مزيج جديد شامل ؟ ان لتأثيره البوثة جاذبيتها ، ولكنها تفتقر الى التطبيق العملي . ان ثقافة البلدان الغربية راسخة الأص لدرجة لا يأخذ منها الشرقي أية مواهل من حارب الثقافت مأخذا جديا : فهل الهدف ان هو نشر ثقافة جوهرية ؟ اذا كان الأمر كذلك فكيف يمكن تعريف تلك الثقافة ؟ وإذا كانت هي ثقافة مجتمع الميشوف فان الشباب الغربي نفسه لا ينادي يكون متحاذقا منها كالشباب الشرقي . هل يكون الهدف ان هو امتصاص الغرب للشرق امتصاصا كاملا ؟ ان الاسرائيليين مفردون في الحساسية بالنسبة للامتصاص الجبري لدرجة لا تسمح لهم بالتصريح بذلك جهرا ، ومع ذلك يبدو أن ما يبنى من الجسور ينادي يكون دائما عملية ذات اتجاه واحد يسير المرفوع فوقها دائما تجاه الغرب وحده . وإذا تمت هذه الحركة فمسلا ، فقد تؤدي في نهاية الأمر الى تخفيف حدة الانقسام المنعزلة مشكلة . ولكن



الأمر - كما يراه " كينيز " - هو أننا نصير في الأمد التصور ، وإذا كان الشباب المرنون يتجه إلى الغرب حقاً فإن النتيجة المباشرة لذلك ستكون زيادة التوتر بين الوالد والابن . وفي هذه الحالة يكون القلق الشخصي البالغ هو ضمن تحقيق الفائدة الاجتماعية المتوقعة .

وفلاوة على ذلك فمن السابق لأوانه القول بأن هناك حركة كبيرة في هذا الاتجاه على الإطلاق أو أن نظام التعليم قد حقق أثراً واضحاً على المشكلة المنصرية . فإذا كان الهدف هو تعليم مهارات تكنولوجية تمكن الشخص من تعلمت أعلى من مستوى والده من قبله ، فإن المدارس تؤدي مهمة جيدة في هذه الناحية . أما إذا كان هناك اهتمام أكثر بزيادة التفاهم والتسامح بين القوميل المنصرية فإن النتائج يصعب تحديدها . وثمن الصعوبة بدرجة كبيرة في عدم توافق المعايير المتزايدة لقيام نسبة النجاح . وباختصار فإن معنى الاندماج ليس أكثر وضوحاً في إسرائيل منه في غيرها من البلاد ذات المجتمعات المتعددة المنصرية .

ومن الممكن ، بل ربما من الواجب ، أن نخرج من ذلك كله بدريشة مختلفة . لم يكن لدى أصحاب النظريات الصهيونية ، وكذلك أصحاب فكرة العمل الرائد الأوائل ، أي تصور لمجتمع تعددي أو أي التزام له . ففي القرن الأوروبية حيث تفتت خططهم وايدولوجياتهم كانت وحدة اليهود ، وليس تنوعهم ، هي أبرز صفاتهم .

وحق عندما نما الميشوف وأصبح أكثر تنوعاً في طائفة ، كان من الممكن الاحتفاظ بحلم إسرائيل التي لا تعرف الاختلاف أو التمييز - ثبت مواثيقها

من نفس بذرة العمل الزائد . ولكن الحلم توقف فجأة باعلان الدولة ، وسدا  
وكأنه قد نفذ كل ثلاثة كانت تربطه بالحقيقة ، وأصبح تعداد العناصر المكونة  
لدولة الصني على أنواع الانقسام التي نالت منها بالتفصيل ( الشرع ضد  
الغرب ، الشيخ ضد الشباب ، الديني ضد الدنيوي ، والمرب ضد اليهود )  
يتطلب شيئا جديدا لفهم صورة اسرائيل . وكان على المرء ان يستنتج  
ان اولئك الذين رفضوا ، طوال الوقت فكرة ارتباط وحدة العملاء الشخصيين  
بالعمل الوطني ، وفضلوا عليها اعتبار اسرائيل ملاذا ، قد كانوا على حق . أو  
ان يستنتج ان المعنى الحقيقي للدولة سوف يتمكس على حياة أقلية ضئيلة  
من شعبها ، أو ان يبحث عن وسيلة جديدة تجعل الحلم القديم مطابق الحقيقة  
الواقعة الحالية . وبمثل هذه الوسيلة ، على سبيل المثال ، قد يمثل في اعتبار  
اسرائيل مجتمعا محددا يترتد فيه الناس بشدة بوباد يهود يتهم المشركين  
ويجذبون لهم فيه ، مع ذلك ، شخصية دينية هادئة أيضا ، حيث يمكن  
للدولة ، ككل ، أن تستفيد من ذلك المشاغل - أو التوتر في بعض الأحيان -  
بين المجموعات المختلفة .

وقد وجدت كن من هذه الحلول أنصارها . والمشكلة تكمن في أن الحلول  
لا تكمل بعضها البعض ، بل هي - على العكس - تمثل آراء مختلفة تماما :  
فان النذور الى اسرائيل باعتبارها ملاذا ، مثلا ، يؤدي الى مطلب " جعلها  
طبيعية " ، وإلى رفض المفهوم التاريخي لسير اسرائيل الخاص ، وهو مفهوم  
واسع الانتشار . واعتناق مبدأ " اتفاق البقية " يؤدي الى اتساع المهسوة  
فيما بين مناصبه . من يرون أن الحلم ما زال فعالا ومسترا ، وان كان بالنسبة  
للقلة ومن نفذوا أيديهم من الأحلام . أما الالتزام بعدا التمددية فانه ينقضي

اتقوا ذلك " بوحنة السحر " التي تتدغمها الذرة السابقة ، فان التمدد ينسحب  
تبل كل شيء ، ينسحب الشرعية على الفوارق البارزة ، ويتشبه الموتو كأمر حتمى ،  
وعنى كأمر مرغوب فيه ، لقد تحدث الحلم عن مهاجرين تحولوا وأرتدوا  
أندرسهم ولوسهم في صول جماعى من الاستيعاب العالى .

ولا تزال هناك ، بالطبع ، دوافع كثيرة للخرق من هذه العدة . لقد  
اتمتع الكثيرون من الاسرائيليين بأن الدولة نفسها تستطيع أن تكون حاملا  
الحلم ، وأن مالم يجد في قدرة المواطن أن يفعله على أساس الإيمان ، مثلا ،  
يمكن للدولة تحقيقه كسألة من مسائل السياسة . وهناك آخرون فيرون — يحتل  
الكثيرون منهم مراكز قوية — من يتشبهون بالحلم نفسه ، من أن ينسحب أو يتغيروا  
منه . وهم يؤكدون بحاراة أن تحقيق معجزة عودة الميلاد الوطنى لم تكن  
انجازا أقل قيمة مما يتنازع من تحقيق معجزة النهضة ، وأن من كانت لهم الإرادة  
والحكمة والشجاعة لتحقيق المعجز الأولى تادرون على تحقيق الثانية ان المستقيم  
المتشائمون حدود الميت . وقد نفى هؤلاء المثاليون أيديهم من دعاية  
" الديمية " ، فانهم يرون فيهم ورثة للمهاينة " المحسنين " من لم يدركوا  
ما يمكن للالتزام أن يحققه . كما أنهم يرون مبدأ " الأخلية المستترة " باعتبار  
أمراتها لا يستحق الاهتمام ، كما أنه أمر محظوظ ويزدهر . كذلك فانهم  
يرفضون " التعددية " ، وأن كان ذلك بصورة أقل وضوحا ، فهم لا يستلزمون  
فيهم الروابط الطائفية الا عندما تكون هذه الروابط مهيئة على اختلاف  
ايدولوجى . وأخيرا ، فانهم يرون فيهم بأولئك الذين يرون في أجهزة  
الدولة بدلا مناسباً للالتزام الشخصى ولابتكار ، فهم يشعرون بأن ما يجب  
أن يربط الاسرائيليين ببعضهم ببعض هو التزامهم المشترك أكثر منه جنسيتهم  
المشتركة .

وليس هذه مناقشة مستورة تجري داخل الهيوت الخاصة لفكرين هيرسون ،  
فهى تغلب على أكثر مجادلات اسرائيل السياسية ، بلفات متلفة ، وفى بيئات  
مختلفة ، هغوارق متلفة أيضا . وليس تقليد اسرائيل الايديولوجى وحده هو  
الذى يمحط للمسألة كل هذه الأهمية . وبالرفع من استجابة أغلب السياسة  
المامة للمشاكل الوقتية ، الا أن الكثير منها أيضا يستمد من فهم مجزأ بعض  
الشيء لما يعنيه المجتمع أصلا . ومن المحتمل أن يكون ذلك هو الحال فى جميع  
البلاد الأخرى ، ولكنه أمر واقع فى اسرائيل على كل حال ، حيث تصح الايديولوجية  
الشاملة تقليدا ، وحيث تكون الدولة فى حاجة ملحة الى تبوير ذاتها كدولة  
جديدة . لذلك فانه ليس من الحكمة ترك هذه المجادلات جانبها باعبارها شغلا  
عقيا ومعيدا عن العالم الواقعى للسياسة الميضية واتخاذ القرارات ، فان اسرائيل  
البحر مازالت هشة وورنة ولينة لدرجة تجعل لنتائج هذه المجادلات - اذا أمكن  
التوصل الى حل لها - صلة كهرة بما يمكن أن يكون عليه القدر .

المدارس والسياسة : لم تكن المدارس محصنة ضد الثورة المهارفسي  
السياسة ، ففى عهد الميهوف كانت هناك ثلاث أنظمة تعليمية أساسية فى المجتمع  
اليهودى ، وكان كل منها يحكم موقفا ايديولوجيا منفصلا . وكان أحدها تحت رعاية  
الهستدروت ويمتلك المبدأ الاشتراكى ، والثانى تحت رعاية المجتمع الدينى ، والثالث  
غير منحاز رسميا وان كان هو فى الواقع نظام الصهيونيين المموبيين الذين تحولوا  
تدريجيا من الصهيونية اللايديولوجية الى تمثيل مصالح الطبقة المتوسطة .

وقد نشبت معارك مريرة وحامية الوطيس حول هذه "الاتجاهات" فى التعليم  
بعد الاستقلال . ومع ذلك فان شبح أنظمة الدراسة المتنافسة ، حيث تسمى  
الاتجاهات المختلفة الى الحاق أكبر عدد ممكن من التلاميذ فى مدارسها ظل يلاحق  
كثيرا من الناس ، وأخيرا هأنفست الاتجاهات رسميا ، واستبدل بها نظام مدرسى

شامل تديره وزارة التعليم والثقافة . وقد استثنت المدارس الدينية من ذلك تبعاً لفكرة أن الدين من الأهمية والحمد عن العياسة بدرجة كافية بحيث تسمح به بعض الانفصال . ومن ذلك نجد أخضعت المدارس الدينية لإدارة المركزية ، كما جسدت أدنى المستويات التعليمية بالنسبة لجميع المدارس .

والهم يذهب ثلثا تلاميذ المدارس الابتدائية إلى مدارس الحكومة العادية ، ويذهب حوالي ٣٠ ٪ إلى مدارس الدولة الدينية ، كما يذهب حوالي ٦ ٪ إلى مدارس مستقلة يديرها حزب أجودات إسرائيل ، يعتقد هؤلاء أن مدارس الدولة الدينية متحررة أكثر من اللزوم في آرائها الدينية . وقد تم فعلاً تحديد نظام التعليم من الناحية السياسية بطريقة فعالة . وعلى خلاف الكثير من أعمال الحكومة ، ربما أغلبها ، فإن التعليم لم يتم أبداً بالتخيز السياسي أو التملل السياسي .

ومع ذلك فإن عدداً من الأحزاب يحترض على تحطيم الاتجاه المالي . وأن حزبي أحدت أقوداه ، هابام ، وعلى السواء ، يعدان موافقة الهاباي على التضحية بالتعليم الاشتراكي تنازلاً لا مبرر له للسياسة الدينية ، كما يريان فيه سبباً لتدهور ايدولوجية اليسوف . و " السياسة الدينية " هي طريقة تناول السياسة التي تؤكد المماومة والحلول الوسط بدلاً من الايدولوجية . ويعتقد الحزبان الممار اليهما أنه لا يوجد اختلاف جوهري بين الايدولوجية الدينية التي حصلت على التنازلات والايدولوجية الاشتراكية التي حرمت من الاضراف الرسمى . ولما يفضلان عمداً تحقيق التوازن باحباء المدارس الاشتراكية بدلاً من ايمان التعليم الديني .

وقد جرى حوار مماثل بشأن حركات الشباب داخل المدارس ، وقد كان من الأمور التقليدية أن تدير النشاط المدرسي حركات الشباب التابعة للأحزاب المختلفة التي سمح لها بالدخول إلى المدارس بغرض تجنيد الأعضاء . وقد أصبحت المناغسة حامية كما كان متوقفاً وخصوصاً بنهاية الاتجاه العالي . وفي النهاية ومنعت حركات الشباب لفترة من الزمن من مواصلة نشاطها داخل المدارس ، وكانت هذه حركة أدت إلى تقلص كثير من حجبها . وقد

كانت الحكومة هذ ما الخطوة السياسية أكثر حيوية من مؤيحي الاتجاهات ، حيث أن لحركات الشباب صوما قيمة ايجابية • و مرة أخرى ، نصر نقاد سياسة الحكومة الأمر بأنه ابتعاد من قيم اليسوف حيث أن كل حركات الشباب تقريبا كانت تدعو لأخلاقيات الريادة وتشجيعها (١١) .

وبالرغم من كل شيء ، فإن الحكومة قد حققت نجاحها بوجه عام في جسر الفجوة بين التلاميذ الفلسطينيين دينا • أما ما يعطيه الاسرائيليين لهذا النجاح من قيمة فيختلف عنها ، حيث أن بعض الاسرائيليين على الأقل ما زال ملتزمًا بمفهومه الخاصة و " الأكثر انقسامًا " من التلميم " التالي " • كما أن استمرار ذلك النجاح لم يتأكد بعد ، ولكن هذا ما يودر ذكره طالما أن هذه هي إحدى النقاط التي انتشرت فيها " الانحطاطية الجديدة " بصورة بارزة ، وعلقة لها أهميتها القصوى لو أمكن تحقيق مبدأ الدنيوية .

اللمسة : ان مسألة اللغة تخلق جصرا ديبميا تثقل بواسطته مسن هذا الجو الخاص بالمدارس الى البرز التالي حيث تتناول تكييف الفلسطينيين • لقد كان احياه اللغة العبرية أحد مجالات نجاح المستوطنين الأوائل المدعيه ، وهو نجاح تصدهم عليه حركات وانية كثيرة واجهت مشاكل مماثلية من تصد ن اللغات ، وثابت لها آمال مشابهة في احياه ونش و لغة قديمة مشتركة • ولقد عايد احياه العبرية هبات ضخمة في يادي الأمر ، فإن اللغة كانت تستغنى الى مفردات اللغة الحديثة ، وكان الارثوذكس يفضلون الاحتفال بها للأقارب الدنيوية الهتة ، كما كان من أسهل الأمور أن يرثد المستوطنون أنفسهم الى اللغة الروسية أو الييدية التي كانت لغتهم الاعلية • وبالرغم من كل هذه المقبات فقد أصبحت العبرية هي اللغة الحية لأغلب يهود فلسطين بسدون جدال ، وهذا يشهد بتعاضد ودية حركة مبدأ العمل الرائد •

وقيام الدولة ثارت مشكلة اللغة العبرية من جديد ، وبشكل مختلف ،

فقد أصبحت العبرية زبدا لا حيا ، وبورينا من أجل تفاهم أناس تختلف أصولهم ولغاتهم اختلافا شاسعا وبينا ، فاسرائيل ، برغم كل شيء ، أصبحت من أن تسج لنفسها بموث اللغات المتعددة ، وهو أمر يدفع أي عدد من الدول الأخرى لنمنا بأهظا له . وذلك أصبحت المسألة ضرورة صلبة ملحة ، بصرف النظر تماما عما صاحبها من الالتزام الايديولوجي في أول الأمر ، فان الاندماج - فيها كان ممنا - لا يمكن أن يتم دون لغة مشتركة .

مع ذلك فقد كانت المشكلة جسيمة ، فقد كان المنتظر من الصفار أن يدبروا أمورهم بأنفسهم ، وأن يجدوا طريقهم في المدرسة أو في الجيش . وقد تحقق ذلك التوقع بوجه عام ، ولكن ماذا عن الكبار ؟ فمن بين أكثر من ثمانمائة ألف يهودي تجاوز أعمارهم الخمسة عشرا ما من وصلوا الى اسرائيل بعد عام ١٩٤٨ لم يكن يعرف اللغة العبرية معرفة حقيقية سوى عدد لايزيد من أصابع اليد الواحدة . والواقع أنه بالرغم من مجهودات الحكومة الجسارة فلما زال في اسرائيل حوالي ٢٥٠ ألف يهودي لا يتكلمون العبرية ، وبثل هذا العدد من لاعتبر العبرية لغتهم الأولى . وفي نفس الوقت هناك أكثر من ستمائة ألف لا يتكلمون غير العبرية ، وحوالي ثمانمائة ألف يتكلمون بها كلغتهم الأولى . وأغلب أولئك الذين لا يقرعون العبرية مطلقا أو يستعملونها كلغة ثانية هم من النساء اللاتي تجاوز سنهن الخمسة والأربعين عاما . ويعرف ٩٧ % من الذكور بين الخامسة والعشرين والثلاثين بعض العبرية ، كلغة يستعمل ٨٥ % من نساء نفس المجموعة اللغة العبرية كلغتهم الأولى . (١٢)

ولم يكن هذا النجاح النسي في غرس اللغة العبرية في قلوب الاسرائيليين الجدد مصادفة ، فان حوالي مائتين وخمسين ألف فرد خلقوا دروسا في العبرية للكبار تحت اشراف وزارة التعليم والثقافة بين عامي ١٩٥١ و ١٩٦٥ ، كما استفاد الكثيرون غيرهم من برامج الانشطة المخصصة لتعليم المهاجرين الجدد لغتهم الجديدة أو من الفصول الختامية أو من الصحف العبرية المطبوعة باللغة العبرية " الأساسية " . وما يستحق الذكر أن الدروس الرسمية كانت تتضمن أكثر من مجرد تقديم اللغة . وكما يبين النص الذي استعملنا به هذا الفصل ، فان دروس اللغة العبرية قد استخدمت للثبية الوطنية أيضا (١٤) .

وأخيرا ، فان النجاح الذي أحرز مع اللغة العبرية قد خلق مشكلة جديدة لبعض مصلحي اسرائيل ، فحين تصبح العبرية هي اللغة الوحيدة المستعملة تصبح عزلة اسرائيل عن باقي العالم أشد وأبرز ، والمشكلة خامدة في الوقت الحاضر . وعيد الهيئات الأخيرة أن ثلث الاسرائيليين البالغين ممن الممر أكثر من خمسة عشر عاما يتحدثون بلغة واحدة على الأقل بالإضافة إلى العبرية ، ولكن نفس البيانات تدل على أن النسبة تقل بالنظام مع التقدم في العمر وتصل إلى أكثر من ٥٠ ٪ في مجموعة سن الخامسة عشرة إلى السابعة عشرة ، وتنخفض إلى حوالي الثلث تحت سن الخامسة عشرة ، والاسرائيليين على وجه عام يمدى السهولة التي يمكن بها للمزلة أن تؤدي إلى الفصل ، حتى أنهم ينظرون إلى ذلك الانتقال بعين القلق ، ومن ثم فقد كرسوا جهودا بارزة لتشجيع تعلم اللغة الانجليزية أو الفرنسية في المدارس الثانوية العامة .













Bibliotheca Alexandrina



0564630